البصائر

البصائر

مَجَلّةٌ عِلميَّةٌ محكَّمة تَصْدُرُ عن جَامِعَةِ البَترا الأردنيّة

المجلد 14 – العدد 1 محرّم 1432هـ / كانون أول 2010م

هيئةُ التّحريرِ

رئيسُ التّحرير

أ. د. مروان المُؤلّا

نائب رئيس التّحرير

أ. د. أحمد موسى الخطيب

الأعضاء

أ. د. زهير محيي الدين
أ. د. تيسير أبو عرجة
أ. د. محمود عطا حسين
أ. د. زهير الصبّاغ
د. هدير ميرزة
د. علي المقوسي

لجنةُ التَّدقيقِ اللغويِّ

د. هارون الربابعة
د. نبيل علي حسنين
د. إبراهيم حسين خليل

أمينةُ السِّرِّ

الآنسة هنادة المومني

المراسلات باسم رئيس التحرير

مجلة البصائر
جامعة البترا
ص. ب (961343)
عمان (11196) - الأردن

الاشتراك السنويّ في المجلة:

1. داخل الأردن:
   أ. الأفراد (5) خمسة دنانير أردنيّة.
   ب. المؤسسات (10) عشرة دنانير أردنيّة.
2. خارج الأردن:
   أ. الأفراد (10) عشرة دولارات أمريكيّة.
   ب. المؤسسات (20) عشرون دولاراً أمريكيًّا.

جميع الحقوق محفوظة

حيثُ لا يُسْمَحُ بإعادة إصدار هذه المجلة، أو أي بحث فيها، أو تخزينها، في نطاق استعادة المعلومات، أو نقلها، بأي شكلٍ من الأشكال دون إذْنٍ خَطِيٍّ مُسَبَّق من رئيس التَّحرير.

التصميم والإخراج الفني
د. نبيل حسنين

قواعد النشر والتوثيق في المجلة

1. أنْ لا يزيدَ حجمُ البحثِ عَن خمسٍ وعشرين (25) صفحة (A4)، أو سبعة آلاف وخمسمائة (7500) كلمة.

2. أن لا يكون البحثُ قد سَبَقَ نَشرُه، أو أُرسل إلى مجلة لنشره، وأنْ يُرفِقَ الباحثُ إقراراً خطيًّا بذلك.

3. أن يُراعىٰ في البحث ما يلي:

- الأخذ بالأصول العلمية إحاطة، واستقصاء، وخطوات بحث، والحرص على التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع.
- الكتابة بلغة سليمة ومراجعتها.
- الترقيم الآليّ عند التفريعِ، والتنقيطِ، والتوثيقِ.
- العنايَة بِما يَلحق به من خصوصيات الضبط، أو الرسم، أو الأشكال.

4. أنْ يُرسلُ البحثُ إلى هيئة التحرير بثلاث نسخ مطبوعة حاسوبياً بخط (Traditional Arabic 16)، إذا كان البحثُ مرقوماً بالعربيّة، و(Times New Roman 14) إذا كان مرقوماً بالإنجليزيّةِ،، مع القرص المضغوط الّذي يَحتوي على المادة المطبوعة بعد إجراء التصويبات، وعنوان بريده الإلكترونيّ.

5. أنْ يُرفق بالبحث مُلخص في حدود مائتي (200) كلمة باللغة التي كُتب بها، وآخر باللغة الإنجليزيّة، شَرطُ أنْ يَحْتَوِيا على: عُنوان البَحث، واسم الباحث، ودرجته العلميّة، ومعلوماته الجامعيّة.

6. تدوين الإحالات المرجعية في نهاية البحث مسلسلة بأرقام تبدأ من الرقم (1) بين **قوسين**، ولا تُعتمد أية طريقة أخرى فيها مهما تكن مادة البحث وطبيعتها، على أنْ يكونَ ذلك آلياً باستخدامِ الحاسوب، (في Microsoft Word مثلاً: مراجع ← إدراج حاشية سفلية)، مع مراعاة أنْ يكونَ حجم خطّ هذه الإحالات (12).

7. أن يُلتزَم بأصول التوثيق المعتمدة في المجلة، وتشمل عندما تَرِدُ أَوَّلَ مَرَّةٍ التوثيق الموصوف أدناه كاملاً:

• إنْ كانَ المرجعُ **كتاباً** على النحو الآتي:

المؤلف بدءاً بالاسم الأول فالعائلة أو الشهرة، ويليه فاصلة، ثُمَّ **اسم الكتاب** بارزاً متبوعاً بفاصلة، ثُمّ (اسم المترجم أو المحقق إن وُجد) متبوعاً بفاصلة، ثُمَّ معلومات النشر محصورة بين قوسين، (مكان النشر متبوعاً بنقطتين: الناشر متبوعا بفاصلة، سنة النشر)، ويلي القوس الأخير فاصلة يتبعها رقم الصفحة، هكذا:

محمد بن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ط2، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، 1974م، ص 306.

• إنْ كان المرجعُ **مجلةً** على النحو الآتي:

المؤلف بدءاً بالاسم الأوّل فالعائلة أو الشهرة، ويليه فاصلة. عنوان البحث بين علامتي تنصيص متبوعاً بفاصلة. **اسم المجلة** بارزاً، فعدد المجلة متبوعاً بتاريخها ففاصلة، فرقم الصفحة، ثم نقطة، هكذا:

عبد المعطي إرشيد، "مُحدِّداتُ أَسعارِ الأسهمِ في بُورصَةِ عمَّان"، **مَجلة البصائر**، م8/ع 2 أكتوبر 2004، ص 202.

• إذا تكرر ذكر المرجع في حاشيتين متتاليتين دون أن يكون بينهما فاصل، توثق الحاشية بذكر: **المرجع (المصدر) نفسه**، أو **نفسه** بالحرف البارز متبوعاً بفاصلة، فرقم الصفحة. إمّا إذا كانت الصّفحة نفسها من المصدر نفسه، فيُذكر الموقع نفسه بالحرف البارز.

• إذا تكرّر ذكر المرجع في غير حاشية، وكان يفصل بين كلّ حاشية وأخرى مرجع أو أكثر، توثق الحاشية بذكر اسم المؤلف متبوعاً بفاصلة، فعبارة **المرجع المذكور** بالحرف البارز، ففاصلة، فرقم الصفحة.

8. يُحكِّمُ البحوثَ أساتذةٌ مُختصون في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات.

9. يُبَلَّغُ الباحثُ بنتيجةِ التَّحكيمِ خلالَ ثلاثةِ أَشهر من تاريخ وصولِ البَّحث للمجلةِ، وبموعدِ نَشْره إنْ أجازه المحكِّمون، وأُجريت التعديلات التي يطلبون إجراءها.

10. يُزوَّدُ الباحث بنسخة واحدةٍ من العدد الذي نُشر فيه بحثه، وبعشرين فصلة (مُستلة) من بحثه.

11. يخضعُ ترتيبُ البحوثِ في المجلة لاعتباراتٍ فنيّةٍ.

12. الأفكارُ الواردةُ في البحوثِ المنشورة لا تُعّبر بالضّرورة عن رأي المجلة.

المُحتوياتُ

- المنهج الأسطوري والشعر الجاهلي تجربة الدكتور نصرت عبد الرحمن، د. محمد عبيد الله ص 13

- تحديد الأسباب الإدارية والمالية لفشل الشركات – دارسة تحليلية على شركات التضامن الأردنية، د. علي عباس ص 46

- اللغةُ الحواريةُ في رواية ما بعد الاستعمار: إنيس حبيبة روحي لإيزابيل إلليندي أنموذجا، د. رزان إبراهيم ص 85

- أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على ربحيّة المصارف التجارية الأردنية، د. الآغا ود. برقاوي، وأ.د. عبدويان ص 115

- العلاقةُ بينَ الأداءِ الماليّ والمخاطِرِ النظاميّةِ دارسة تطبيقية على المصارف التجارية الأردنية ومخاطر أسعار أسهمها النظامية في بورصة عَمّان، د. الرفاعي، ود. سلامة ص 167

- موقف الأرمن في إقليم قيليقية من الحملة الصليبية الأولى 490 هـ/ 1095 م، د. فاطمة الطراونة ص 199

_ 1948 (the Green Line): A Sociolinguistic Study, Prof. Dweik & Dr. Kittaneh ص 5

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
2000 / 703 د

رقم التصنيف الدولي
ISBN 1605 - 9522

المنهج الأسطوري والشعر الجاهلي

تجربة الدكتور نصرت عبد الرحمن

د. محمد عبيد الله

قسم اللغة العربيّة وآدابها

جامعة فيلادلفيا

الملخص:

يتناول هذا البحث تجربة الناقد والأستاذ الجامعي الراحل نصرت عبد الرحمن في مجال قراءة الشعر الجاهلي وتحليله في ضوء المنهج الأسطوري. ويضع البحث تجربة الناقد الراحل في سياقها الثقافي والنقدي، ضمن محاولات تجديد قراءة التراث بشكل عام، والشعر الجاهلي بوجه خاص. ويبرز البحث الأسباب التي أسهمت في تقوية التوجه إلى المنهج الأسطوري في نهاية عقد الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، كما يبرز الأصول والمرجعيات التي أفاد منها نصرت عبد الرحمن في تأسيس منهجه ووضع قواعده وأدواته. كما يعنى البحث بمناقشة تلك الأدوات الفنية والثقافية، من خلال تتبع علاقة الشعر بالدين والأسطورة، وموقع الصورة والمجاز واللغة والرمز في النقد الأسطوري، وصولا إلى إبراز ثقافة الناقد الأسطوري ونوعيتها لأنها تمثل عنصرا أساسيا ضمن أدواته المنهجية. وقد اعتمد البحث على الكتب والبحوث الأساسية لنصرت عبد الرحمن، وبوجه خاص على كتابيه: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، والواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي، فهما خير ما يمثل منهجه الأسطوري.

The Mythical Approach and Pre-Islamic Poetry: Dr. Nusrat Abdul-Rahman's Experience

Dr. Muhammad Ubaid-Allah
Arabic department
Philadelphia university

Abstract:

The present research focuses on the experience of a critic and university instructor, the late Nusrat Abdul-Rahman, in the area of reading and analyzing pre-Islamic poetry in the light of mythical approach. In this endeavor, the paper places the experience of the late critic in its cultural and critical context, with a view to shedding new light on reading our heritage in general, and pre-Islamic poetry in particular. The research especially underlines the reasons behind the special attention directed during the late sixties and early seventies of the last century to handling the mythical approach; and it emphasizes the principles and sources Nusrat Abdul-Rahman referred to in establishing his method and laying down its principles and tools. The research elaborates about those aesthetic and cultural tools by tracing the relation between poetry and religion on the one hand, and with myth on the other; and the roles of the image, metaphor, language and the symbol in mythical criticism. From all the above, the research comes to

a consideration of the nature of the cultural equipment of the mythical critic Abdul-Rahman, as this equipment represents a basic element among his research tools. The research refers to Nusrat Abdul-Rahman's outstanding books and researches, and especially to his two books: The Artistic Image in Pre-Islamic Poetry and Fact and Myth in the Poetry of the Pre-Islamic Poet Abu Dhu'aib al-Hudhali, since the researcher takes these last two to be Abdul-Rahman's best expression of his mythical method.

يرتبط اسم الناقد والأستاذ الجامعي الراحل "نصرت عبد الرحمن" (-1937 2000) بالمنهج الأسطوري، فلا يكاد يذكره تلاميذه وزملاؤه إلا ويذكرون معه المنهج الأسطوري الذي قدّم في مجال تطبيقه والتعريف به بحثا وتأليفا وتدريسا جهودا مبكرة رائدة، أسهمت في الإفادة من هذا المنهج في مجال دراسة الشعر الجاهلي، و"تجريب" تطبيقه في التعامل مع الشعر العربي القديم، وهو ما فتح الطريق أمام دراساتٍ لاحقة تأثرت بعمله، وتفاعلت معه، ليتأسّس للمنهج الأسطوري حضور واضح ضمن المنجز النقدي العربي المعاصر.

ويُعدّ كتاب نصرت عبد الرحمن المعنون بـ (الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث) من أوائل الدراسات العربية المكتملة التي اتخذت من هذا المنهج هادياً لها وأقدمت على الأخذ بمفاتيحه وبعض أدواته لتطبيقها في مجال الشعر الجاهلي. وقُدِّمت هذه الدراسة أول مرّة بصورة رسالة جامعية لمرحلة الدكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة عام 1972، بعنوان: "الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء الدراسات النقدية الحديثة" وظهرت بشكل كتاب مطبوع عام 1976، في طبعتها الأولى، مع تعديل طفيف في العنوان بين الرسالة والكتاب المنشور. وظهر الكتاب في طبعة ثانية عام 1982 وأُلحِق به بحثان جديدان لا يبتعدان عن تطبيقات المنهج الأسطوري، الأول: المطر: مواضع وروده في جانب من الشعر الجاهلي، والثاني: سيدة المطر في شعر أبي ذؤيب.

ونشر الأستاذ الراحل كتابا آخر وسمه بـ "الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي" وصدر في عمان عام 1985. والكتاب كما يذكر مؤلّفه في المقدمة "تفصيل لنظرة مجملة" وردت في البحث الذي ذكرناه آنفا "سيدة المطر في شعر أبي ذؤيب". ويمكن الإشارة إلى بحث آخر له –مما يتصل بالنقد الأسطوري– بعنوان: "دلالة "عَمْر" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي".

ورغم إخلاص نصرت عبد الرحمن للمنهج الأسطوري وسعيه لتعليمه وتدريسه وتشجيع طلبته على اختبار أدواته وتطبيقه، فإنه لم يخصّص مقالة أو بحثاً مستقلاً يعرض للأسس النظرية والأدوات والإجراءات التي تميز بها هذا المنهج. وقد كان جلّ تركيزه يتوجه إلى الجانب التطبيقي، فاكتفى في سائر مؤلفاته وبحوثه بالكلمة الموجزة دون أن

يتلبَّث في مقدماته ليكشف لنا مرجعية المنهج وأصوله وأدواته ومفاهيمه، أي ما يتصل بالأبعاد النظرية والمرجعية للنقد الأسطوري.

وفي ضوء ذلك فإن قراءة دراساته يمكن أن تساعدنا على استخلاص تلك الأبعاد النظرية في المنهج، من خلال تفصيل تلك النظرات الموجزة، والالتفات إلى بعض المرجعيات التي أشار إليها باقتضاب. ولا يتوقف الأمر عند المرجعيات وحدها، بل يتعداه إلى خصوصية المنهج عند الناقد الراحل، فقد طوّر لنفسه نهجاً مختلفاً في قراءة الشعر الجاهلي، ولم تكن المرجعيات إلا مرشداً وهادياً، وما عدا ذلك فقد انطلق ببصيرة خاصة وذوق عربي رفيع في قراءة الشعر الجاهلي، وفي بناء أصول وقواعد تأثرت بها الدراسات اللاحقة وظلت تدور في فلكها، وهو جانب يستحق أن يتابع في دراسات لاحقة.

الشعر الجاهلي: قراءات جديدة:

نال الشعر الجاهلي حصّة كبيرة من اهتمام النقاد والدارسين منذ بدايات القرن العشرين، وقد بدأ هذا الاهتمام بتحقيقه ونشر دواوينه ونصوصه، ثم تعدّاها إلى دراسته والبحث فيه، ومن أبرز معالم الاهتمام به ومراحل دراسته: الاهتمام بتوثيقه والبحث في قضايا الشك والنحل والرواية، بأثر من مناهج المستشرقين. ويذكر هنا كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" الذي نشره عام 1926، وخلّف نقاشا حاداً وطويلاً. ومن إيجابياته نقْلُ الشعر الجاهلي من موضوع دراسي يُتداول بين المختصين إلى موضوع عام يتناوله المثقفون عامة، وينال اهتماماً عند الجمهور العام. وقد يكون كتاب ناصر الدين الأسد "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" الذي قدّمه بصورة رسالة جامعية عام 1954، ثم نشر في العام التالي عن دار المعارف المصرية عام (1955) أبرز علامة في إنهاء هذا النقاش الطويل واختتام الاختلاف في توثيق الشعر الجاهلي وقضايا روايته.

العلامة الأخرى في الاهتمام بالشعر الجاهلي هي تلك الدراسات التي تناولت موضوعات الشعر وأغراضه وبعض أعلامه، ويتداخل معها مزيج من الدراسات التاريخية والاجتماعية التي بحثت في قضايا نشأة الشعر الجاهلي وتطوره، كما بحثت عن الحياة العربية كما يصورها ذلك الشعر. وقد وسّع شوقي ضيف هذا التيار وبسط فيه وجعله

في سلسلة من الكتب تحمل كلها عنوان: تاريخ الأدب العربي، وخص العصر الجاهلي بأول هذه الكتب. وقريب من هذا دراسات ومؤلفات لمحمد خفاجي وأحمد الحوفي ونجيب البهبيتي ويوسف خليف وحسين عطوان وعفيف عبد الرحمن ومحمود الجادر وعادل البياتي ويحيى الجبوري وغيرهم ممن عنوا بتاريخ الشعر الجاهلي وبعض موضوعاته وأغراضه، بمناهج بحثية جامعية لا تبدو متأثرة بمناهج النقد الحديث وبطرق القراءة التي تقترحها.

أما الاتجاه الثالث فقد تركّز في النصف الثاني من القرن العشرين، أو في الثلث الأخير منه على وجه التحديد، وما يجمع بين أطرافه وتجاربه محاولة رواده وأصحابه تطبيق المناهج النقدية الغربية في مجال قراءة الشعر الجاهلي، لإعادة اكتشافه وإبرازه على نحو جديد، وقد شاع في عنوانات هذه الكتب ومقدّماتها الإشارة إلى هذه المعاودة والجدّة، كعنوان مصطفى ناصف" قراءة ثانية لشعرنا القديم" وعنوان صلاح عبد الصبور: "قراءة جديدة لشعرنا القديم"، أو استعمال عبارة "في ضوء النقد الحديث" كما في عنوان كتاب نصرت عبد الرحمن وعناوين أخرى مشابهة، أو الإشارة إلى المنهج الجديد في العنوان: دراسة بنيوية، دراسة نفسية...ومن أبرز المناهج التي ظهرت بعض تطبيقاتها في مجال الشعر الجاهلي: المنهج الأسطوري، والمنهج النفسي، والمنهج الواقعي، والمنهج البنيوي، والفلسفة الوجودية، ونظرية النظم الشفوي، والمنهج الطقوسي (طقوس العبور)، والمنهج السيميائي وغيرها.

وتستند هذه المداخل والمناهج إلى مرجعيات نقدية غربية واضحة دون خفاء، بل إنها تلجأ صراحة إلى مناهج النقد الحديث بمسمّياتها المختلفة، تلك المناهج التي تعرّف عليها العرب ضمن الانفتاح على التأثيرات الأجنبية في العصر الحديث، وقد اجتهد النقاد في "تبيئتها [1] أي إجراء تعديلات عليها لتغدو مناسبة للبيئة وللثقافة العربية، كما عنوا بتسويغ تطبيقها على الشعر الجاهلي والإبداع العربي بعامة، وما يزال النقاش دائراً حول هذه المسألة لا يكاد يخفت حتى يعلو من جديد، ربما لأن المسألة تتعدّى مسألة التأثر والتأثير لتتداخل مع مشكلات الهوية والخصوصية، فتغدو قضية النقد ذات مساس بالمشكل الحضاري العربي وتشتد أزمتها مع أزمته[2].

سياق المنهج الأسطوري وأسباب الأخذ به:

أما المنهج الأسطوري، فإضافة إلى السياق العام لظهوره ضمن التأثر بالمناهج الغربية، مما ذكرناه آنفا، فيمكن التعرض بإيجاز للأسباب التي أسهمت في ظهوره، والعوامل التي شجعت الأخذ به، وتطويعه لقراءة الشعر العربي، ويمكن الإلماح إلى ما يلي:

أولا: ظهور النقد الأسطوري الغربي، واطلاع النقاد والدارسين العرب على بعض منجزات ذلك النقد، وقد شكّلت تلك المرجعيات أصولاً ومنابع أفاد منها النقّاد الأسطوريون العرب.

ثانياً: الاهتمام المتزايد بالأساطير والمعتقدات عند الشعوب المختلفة قديماً وحديثاً، وقد نشطت الدراسات الآثارية ودراسات النقوش ونشاط الحفريات..، ونتج عن ذلك اكتشاف حضارات كاملة ونشر نصوصها الدينية والأدبية باللغات المعاصرة. ومن جانب آخر نشطت الدراسات والبحوث الأنثربولوجية ودراسات الإثنوجرافيا وغيرها، واتجهت إلى دراسة جماعات معاصرة تقترب في وعيها من وعي الجماعات القديمة، وانتقل تأثير ذلك كلّه إلى المجال النقدي والأدبي من ناحية تقدير الأسطورة وإعادة الاعتبار إليها وإلى الثقافات الإنسانية القديمة ذات الطابع الأسطوري، حتى غدا وجود التفكير الأسطوري ميزة من ميزات الشعوب، يؤكد مخيلتها وذهنها الخلاق. وثبتت "الأسطورة " إلى جانب المداخل الكبرى المؤثرة في مسيرة الحضارة الإنسانية والتفكير الإنساني، فصارت تعد إلى جانب: الفلسفة، والعلم، والدين. وأكدت الدراسات استمرار التفكير الأسطوري، وصناعة الأسطورة وإبداعها بوصفها منعطفا مهماً من منعطفات المخيلة البشرية حتى في العصر الذي يوصف بأنه عصر العلم والعقل.

ثالثا: نشر نصوص الأساطير الإنسانية من مختلف الثقافات والشعوب، حتى غدت قراءة كتب الأساطير من مستلزمات الثقافة المعاصرة، ولم يتوقف الأمر على الأساطير اليونانية والرومانية ذائعة الصيت، بل تعدّاه إلى أساطير الشعوب جميعها، وظهرت معاجم وموسوعات كثيرة إلى جانب الكتب الأصول في الأساطير، ومن مختلف الثقافات العالمية. ومن بين ما نشر نصوص أساطير الشرق القديم، كأساطير

حضارات بلاد الرافدين والأساطير الكنعانية والفينيقية والأساطير الفرعونية وغيرها، وجرى الإفادة من هذه النصوص في الإبداع العالمي المعاصر ونشأ نشاط نقدي يتتبعها ويتتبع توظيفها، وكان هذا الرافد من بين الروافد المهمة في تطوير حقل دراسة الأسطورة في مجال الأدب.

رابعا: في المجال العربي **شهد النصف الثاني من القرن العشرين صعوداً قومياً اقتضى العودة إلى التراث وإعادة اكتشافه وقراءته** بمسوّغات شتى. وقد ظهرت آثار ذلك الاهتمام -في المجال النقدي- في صورة دراسات مكثفة متتابعة اتخذت من التراث مجالاً لها، ونال الشعر الجاهلي نصيباً وافراً بوصفه المرحلة الأقدم والأصل الذي نشأت عنه "الأمة العربية" فهو أصل من أصولها القومية، وكان لا بد من مناهج وطرق جديدة في النظر إليه، ووجد النقاد في مكتسبات النقد الغربي ما يفتح لهم سبيلا للقول بعد استنفاد الدراسات التقليدية والتاريخية لأغراضها واكتمال البحث في القضايا التي شغلت الدارسين والنقاد في النصف الأول من القرن العشرين.

خامسا: وكان هناك هاجس بارز يتمثل في **إنصاف الإنسان العربي القديم، وإثبات تحضره، وتقدمه بحسب زمنه،** وأن لديه ثروات من المعارف والأساطير لا تقل عن أساطير الشعوب الأخرى، خصوصا وأنه جرى تمجيد حضارات أخرى نظرا لعقلها الأسطوري وعُدّ خلو الثقافة العربية من الأساطير عيباً يبرزه كثير من المستشرقين ويذمون العقل العربي من أجل ذلك..فكان الرد العلمي هذه الدراسات في إبراز الأساطير العربية ونشر نصوصها أو دراسات عنها، ثم انتقل مجال البحث من الميثولوجيا إلى الأدب والشعر.

سادسا: كذلك لا نغفل **تأثير الشعر العربي والأدب العربي المعاصر الذي وظف الأساطير ونشّط البحث فيها،** خصوصا مع التوجه في مرحلة الستينيات من القرن العشرين بشكل مركّز إلى الأسطورة العربية والانصراف عن الأساطير اليونانية والأجنبية، ضمن موجة الصعود القومي، فكانت العودة إلى التراث متعدّدة الغايات ولكنها في نهاية الأمر شكلٌ من أشكال الحسّ القومي واكتشاف الأمة العربية لذاتها وأصولها، وربما نظراً لهذا وبسبب منه وضح التركيز على المشترك في الوعي العربي، ومن ضمنه المعتقدات والأساطير القديمة، مقابل الميل إلى إخفات صوت الاختلاف.

ويمكن أن نعد عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين هي الحقبة الذهبية لهذا المنهج، فقد شهدت إعداد رسائل جامعية تحولت إلى كتب منشورة، وشهدت إسهامات متنوعة من أجيال مختلفة تنوعت نظراتها وطرائق تطبيقها وفهمها لهذا المنهج. ومن النقاد والباحثين الذين أسهموا في تلك الدراسات: أحمد كمال زكي، إبراهيم عبد الرحمن، نجيب البهبيتي، نصرت عبد الرحمن، علي البطل، أنور أبو سويلم، عبد القادر الرباعي، عبد الفتاح محمد أحمد، أحمد شمس الدين الحجاجي، قصي الحسين، أحمد إسماعيل النعيمي وغيرهم.

المنهج الأسطوري: المرجعيات والأصول:

المنهج الأسطوري من المناهج التي تربط النص الأدبي بما هو خارجه، وتستند إلى "المعرفة القبلية" فهو من المناهج التي ظهرت مع ربط الأدب بالعلوم الإنسانية وبالفلسفة على وجه الخصوص، فلم يعد الأدب مجرد كلمات أو تعبيرات عاطفية، وإنما غدا مرتبطا أشد ارتباط بتفكير الإنسان وفلسفته، وهكذا جرى الربط بين الرؤية الفكرية/الفلسفية والنظرة الجمالية المنبثقة عنها.

وقد أشار نصرت عبد الرحمن إلى هذا الربط في الأساس النظري لكتابه: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، قائلا: "ولا أقيم تفرقة حادة بين الفلسفة والشعر: فالفلسفة والشعر انبثاق للوجدان وخروجه من القوة إلى الفعل، فإذا أخذ شكلا عقلانيا فهو الفلسفة، وإذا ما أخذ شكلا يلتحم فيه العقل والروح فهو الشعر"[3].

ويفتتح التمهيد الموجز لكتابه بالإشارة إلى الدكتورين ومساط (wimsatt) وبروكس (Brooks) في كتابهما: (النقد الأدبي، تاريخ موجز)[4] ويمتدح ما قاما به عندما درسا النقد الأدبي في ضوء الفلسفة. وهذه الإشارة يمكن أن تحيلنا على بعض المرجعيات النقدية والفكرية والمنهجية لنصرت عبد الرحمن. وإذا ما عدنا للكتاب المذكور فإننا واجدون فصلا مهما نحسب أن الناقد الراحل قد تأثر به في تكوين منهجه الأسطوري، ونعني الفصل الحادي والثلاثين المعنون بـ "الأسطورة والنموذج البدئي"، فهذا الفصل يقدم تلخيصا مكثفا وتحليلا شديد الإيجاز لاتجاهات النقد الأسطوري الغربي، ويضعنا في صميم المرجعيات الفكرية والمنهجية التي أفاد منها الأسطوريون العرب، وفي مقدمتهم نصرت عبد الرحمن الذي سعى إلى "عوربة" هذا المنهج واستيعاب خلفياته، والظهور في التحليل والتطبيق بمظهر عربي مبين لا تكاد تبين آثاره أو مرجعياته الأجنبية.

ويشير مؤلفا "النقد الأدبي: تاريخ موجز" إلى أنه "كان من إحدى عواقب التطور الرمزي في الأدب أن ازداد الاحترام لرمزية الإنسان البدائي، وبخاصة للأساطير

والخرافات التي عبر بها عن نفسه بصورة مميزة"[5]، كما يشير الناقدان إلى الناقد والمفكر الإيطالي فيكو في كتابه (العلم الجديد) ووضعه "نظرية أن الأسطورة كانت نوعا من اللغة الشعرية، اللغة الوحيدة التي كان الإنسان قادرا عليها في مرحلة تطوره البدائي، وهي مع ذلك، ولكل ذلك، لغة صحيحة لها مبدأها البنيوي ومنطقها الصحيح"[6]. كما يتعرض المؤلفان أيضا بوضوح إلى "فلسفة الأشكال الرمزية" ومنطلقاتها في كتاب الفيلسوف آرنست كاسيرر الذي عنون كتابه بالعنوان نفسه. وقد رأى أن "علينا أن نفكر باللغة والأسطورة بوصفهما فرعين مختلفين من جذع واحد يصدران عن دافع واحد للتشكيل الرمزي..." وهو يعتقد أن الرموز شكلتها حاجات الإنسان وأغراضه، فالرمز ليس أحد مظاهر الحقيقة: إنه الحقيقة ، ففي الرمز تكون المطابقة تامة بين الذات والموضوع"[7]. وينتهي كاسيرر إلى تعريف الإنسان مقترنا بالرمز: "إن القدرة على وضع مثل هذه الرموز واستعمالها هي التي تجعل الإنسان إنسانا: الإنسان حيوان صانع للرموز"[8].

كما عرض الناقدان لجهود ويلبور أوربان في كتابه (اللغة والحقيقة الواقعية) وبحثه للأشكال واللغة الرمزية، وكذلك جهود الآنسة سوزان لانغر، في كتابها (الفلسفة في فتح جديد/1942) وهي متأثرة بكاسيرر ومتممة لجهوده في مجال فلسفة الأشكال الرمزية. ويشير المؤلفان في تعليق عام على نقاد الأسطورة بقولهما: "إن العديد من نقاد عصرنا قد تمسكوا بمزيد من الجرأة بالرابطة بين الأسطورة والأدب على اعتبار أنها تزودنا بمفتاح جديد للنقد الأدبي"[9]. ويشيران إلى ما يفيدنا كذلك في فهم مذهب الأسطوريين ومصادر بحثهم، "إذا أردنا أن نناقش نقاد الأسطورة هؤلاء وجدنا أنهم أكثر إلماما بعلم النفس من الفلسفة. كما أنهم تأثروا بشدة بالدراسات الأنثربولوجية..وقد شدهوا كثيرا باكتشاف ..أن الأسطورة والشعيرة والشعر توجد في بدايات كل حضارة.."[10].

ويصل المؤلفان إلى (نورثروب فراي) مؤلف الكتاب الشهير(تشريح النقد) وفكرته تتمحور حول "الأنماط العليا" أو "النماذج البدئية" وهو مصطلح مستمد من عالم النفس الشهير "كارل يونغ" وقد أفاد منه مؤلف تشريح النقد وطوّره في مجال النقد الأسطوري. ومن الباحثين البارزين في النقد الأسطوري الآنسة مود بودكين التي عرفت بكتابها (نماذج بدئية من الشعر/1934) وفي تحليلاتها "تجري المقارنات بين الرموز في القصيدة والرموز كما وردت في الحياة القبلية والدينية وتستعمل بشكل عام المعطيات

الخاصة بعلم النفس والديانة المقارنة بالطريقة ذاتها التي تستفيد بها من حقول المعرفة الأخرى"[11] .

ويقول مؤلفا "النقد الأدبي: تاريخ موجز" بأكبر قدر من الوضوح: " إن نقد الأسطورة الجديد يدين لكارل يونغ أكثر مما يدين لأي رجل آخر"[12] . وقد ربط يونغ بين الشعر والحلم والأسطورة وألح على دور اللاشعور الجمعي، وعلى الصور والأنماط البدئية أو العليا، وهي مفاهيم تلقّفها النقد الأسطوري ونقلها إلى مجال "النقد الأدبي "بحيوية ومهارة، وتأثر النقاد الأسطوريون العرب بهذه النظرات ما شاء لهم التأثر.

ويمكن الإشارة إلى أن مؤلفات نصرت عبد الرحمن لا تدل على تأثره بنورثروب فراي ولا تتضمن إشارة مباشرة أو ضمنية إليه، ولذلك نحسب أن ذكره للأنماط العليا والنماذج البدئية يقتصر على صورتها عند "كارل يونغ". وقد أشار صراحة إلى يونغ، وأخذ عنه مبدأ أن "الشعر تعبير عن الوجدان الجماعي"[13]، فقد جعل يونج "الشاعر معبرا عن الوجدان الجماعي للأمة أو اللاوعي الجماعي"[14] .

وبسطاً لهذه الفِكرةِ يُمكنُ أنْ نَستعين بكتاب آخر لنصرت عبد الرحمن لنعرف طبيعة قراءته ليونغ واستخلاصه لأفكاره الرئيسة. وقد وقف عند مفهوم "اللاشعور" عند يونغ، ووضح ذلك بأنه "لا يحوي التجارب الفردية فقط ولكنه يحوي التجارِب الإنسانيّة من عهودها السحيقة أيضا. وقد أطلق يونغ على هذه التجارب الإنسانية التي يحملها الفرد (اللاوعي الجماعي). ويعرف يونغ اللاوعي الجماعي بأنه: طابع نفسي معين يتشكل بفعل الوراثة.. ونجد في بنية الجسد الإنساني عقابيل مراحل تطور سلفت، ولنا أن نتوقع وجود نفس بشرية ملائمة لقانون النشوء... والصور التي يأتي بها الشاعر–والشاعر حالم– ترتد إلى بداءة إنسانيّة وهو كما يراه: يتصيد رؤى قوم عاشوا في عالم الظلام، حيث الأرواح والأشباح والأرباب"[15]. ويشير نصرت عبد الرحمن إلى أن "نظرية يونج في النماذج الإنسانيّة Archetypes قد خلفت آثارا في النقد...ومن النقاد الذين أولعوا بهذا التصنيف الناقدة مود بودكين Maud Bodkin "[16].

أما "الأنثربولوجيا الثقافية" فمنبع آخر أفاد منه النقد الأسطوري، وهو يتداخل مع الأسطورة ومع الدراسات الثقافية، وقد نتج عن النشاط الأنثربولوجي اكتشاف عادات وأنماط ثقافية وأساطير وطقوس متنوعة، جرى ربطها بالأدب والتفكير في علاقتها بالآداب القديمة والجديدة. ومن أبرز علماء الأنثربولوجيا الذين انتقل تأثيرهم إلى النقد الأدبي: تايلر مؤلف "الثقافة البدائية" وصاحب التعريف الشهير للثقافة. وأيضا هناك (جيمس فريزر) مؤلف الغصن الذهبي، وهو كتاب متعدد التأثيرات على النقاد والمبدعين في الغرب والشرق. ويمكن الإشارة إلى كلود ليفي شتراوس مؤلف "الأنثربولوجيا البنيوية" فقد أسهم في تطور دراسات الأسطورة والثقافة الإنسانية على مبادئ جديدة، لكن تأثيره كما يظهر لنا محدود في النقاد الأسطوريين العرب الذين عنوا بالشعر الجاهلي[17].

الشعر الجاهلي والأسطورة والدين:

عدّ نصرت عبد الرحمن الفكر والفلسفة مفتاحا للشعر ورأى أن "دراسة الشعر يجب أن تسير جنبا إلى جنب مع دراسة الفكر، وما أضر دراسة الشعر العربي غير الفصل الحاد بينه وبين الفكر"[18].

وعندما يتعلق هذا المنهج بالإبداع القديم مثل الشعر الجاهلي، فإن تلك "الفلسفة" تغدو ممثلة في الديانة العربية القديمة، أي في "الوثنية" بوصفها ديانة جمهور العرب قبل الإسلام، وتغدو معرفة تلك الديانة أصلا سابقا لفهم الشعر الجاهلي وتفسيره. وهنا يمكن التساؤل عن دلالات هذه المسميات وحدودها عند الناقد الراحل: الأسطورة، الفلسفة، الدين، إذ يوحي التمهيد في كتابه: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي بأنها متقاربة في فهمه وذهنه، وعندما يعرض لفلسفة الشاعر الجاهلي ورؤيته للكون فإنه يربط ذلك بالديانة الوثنية وبالوعي الجمعي، فالفلسفة هنا ليست تفكيرا فرديا وإنما هي وعي جمعي يستند أكثر ما يستند إلى ديانة العرب قبل الإسلام.

يقول: "فإذا كان الشعر والفلسفة جانبا الوجدان الجماعي لأمة من الأمم، فإن شعر أية أمة يفهم وفق فلسفتها"[19]. وهو في فهمه للفلسفة يحددها أكثر في "نظرة الشاعر إلى الكون" وإذ يربط هذه الأصول والمرجعيات بالشعر الجاهلي يقول: "والغريب أن ندرس الشعر الجاهلي منفصلا عن نظرة الشعراء إلى الكون ...فنظرة الشاعر إلى

الكون لا يستغنى عنها أبدا في نقد الشعر، لأن تلك النظرة هي التي تنير الطريق أمام الناقد فلا يخبط في ليل مظلم"[20].

وفي التحليل والتطبيق انحصر معنى ما دعاه بـ "نظرة الشاعر إلى الكون" في ديانة الشاعر ومعتقده، ليغدو الشعر الجاهلي عنده شعرا دينيا يعبر عن وجدان جماعي وفكر جماعي هو "الفكر الوثني". ويذهب في موقع آخر إلى أن "معرفة معتقد الشاعر هي السبيل لكشف شعره.....فالشاعر الجاهلي ينظر إلى الأشياء نظرة تساوق معتقده: فالمرأة عنده شمس وغزالة ومهاة، والرمز والمرموز إليه واحد، فالمرأة شمس والغزالة هي الشمس، والمهاة هي الشمس"[21].

والأسطورة عنده –كما يبدو– هي المعتقد: "وما نسميها اليوم أسطورة كانت ذات يوم معتقدا"[22]. أي أن الأسطورة –في رأيه– دين توقف الاعتقاد به، فهي عند من يؤمن بها دين ومعتقد وليست "أسطورة" يداخلها الخيال. وهذا يعني وفق منهجه أن الشعر الجاهلي لا ينطوي على "أساطير" بمفهومها المعاصر الذي لا يحمل معنى الاعتقاد والإيمان، بل بمفهوم الشاعر الجاهلي الذي يؤمن بها وينطق عن اعتقاد وليس تخيلا أو توظيفا فنيا. فالأسطورة عند الجاهلي –وفق فهم نصرت عبد الرحمن– دين يؤمن به الشاعر، وينظر من خلاله إلى الكون والأشياء. ومن هنا نفهم قلة استخدام نصرت لمصطلح الأسطورة، ويميل عوضا عنه إلى مفردات: المعتقد والدين والديانة.

وميّز نصرت عبد الرحمن بين استخدام الشاعر الحديث للأسطورة وورودها عند الشاعر القديم، فما يرد في الشعر الجاهلي من رموز دينية أو اعتقادية ينشأ عن اعتقاد الشاعر وإيمانه فليست المسألة مسألة توظيف أو خيال، كما هو الحال في الشعر الحديث، وفي دراسته "الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي" يقول: "إذا صاحب الخيال اعتقاد صار أسطورة..فالأسطورة خيال صنعه الإنسان فصدقه واعتقد به"[23]، ويستكمل الإيضاح في الهامش بالتفريق بين ورود الأسطورة في الشعر القديم والحديث بقوله: "هذا غير استعمال بعض الشعراء اليوم الأسطورة، فهم اتكأوا عليها من غير اعتقاد: فبدر شاكر السياب مثلا اتكأ على الأسطورة العراقية القديمة وأفاد من معانيها، ولكنه لم يكن يعتقد بها ولذلك تعد عنده خيالا. أما الشاعر العراقي القديم صاحب ملحمة جلجامش، أو (هكذا في الأعالي/إيلوما إيليش)...فكان ينطق عن

...فإنها تغدو رمزا، قد يصبح جزءا من منظومة رمزية أو أسطورية"[27].

وفكرة الصورة المكررة أو النمطية وارتباطها بدلالة رمزية من المبادئ الأساسية في النقد الأسطوري عند نصرت عبد الرحمن، فالصور التي استوقفته هي الصور النمطية التي تتكرر عند سائر الشعراء، وهي بسبب تكرارها ومعاودتها تغدو في مستوى الرمز بما تحمله من دلالات مرتبطة بالوعي الجمعي الذي يعبر عنه الشعراء.

كما يشير مؤلفا "نظرية الأدب" إلى أن "الأسطورة هي الاصطلاح المفضل في النقد الحديث، وهي تشير إلى حقل هام من المعاني أو تحوم حوله، يشترك فيه الديانة والفلكلور وعلم الإنسان، وعلم الاجتماع والتحليل النفسي، والفنون الجميلة"[28].

ويشيران أيضا إلى الفرق بين الدراسة التقليدية والجديدة في النظر إلى الصورة، وإلى تحول النظرة إليها للابتعاد بها عن التزيين والزخرفة: "قد نتهم الدراسة الأدبية التقليدية لكل سلسلة (الصورة، المجاز، الرمز، الأسطورة) بالمعالجة الخارجية والسطحية. فبما أنه نُظر إلى هذه السلسلة في معظم الأحيان على أنها **تزيينات وزخارف بلاغية**، فقد درست كأجزاء يمكن فصلها عن الأعمال التي تظهر فيها، أما نظرتنا فترى معنى الأدب ووظيفته قائمة بشكل أساسي في المجاز والأسطورة"[29].

فمفهوم الصورة وحدودها —في فهم نصرت عبد الرحمن- مستمد من النقد الحديث كما هو واضح من مقابلة كلامه بكلام مؤلفي "نظرية الأدب". وهي عنده ذات أصول معرفية دينية وليست تزيينية زخرفية، وفهمها وتفسيرها مرتبطان بمعرفة صانعها وصاحبها من ناحية معتقده ورؤيته الدينية.

ويصوغ نصرت عبد الرحمن فقرة شديدة الدلالة على منهجه وعلى علاقة الصورة بالمعتقد والأسطورة عنده: "وأحشى أن أقول: إن الفصل بين صور الشعر الجاهلي والمعتقد، كالفصل بين الصور التي تملأ المعابد الفرعونية والمعتقد الفرعوني القديم، فما فهمنا تلك الصور إلا يوم فهمنا المعتقد الفرعوني"[30]. فقد غدا الشعر الجاهلي هنا —ولو على سبيل التشبيه- معبدا دينيا مغمورا بالصور التي لا تعرف معانيها ودلالاتها من دون إلمام بالديانة نفسها، وهو تشبيه دال على إيمان الناقد بمنهجه ورؤيته مع علمه بما يواجه هذه الرؤية من مصاعب، ليس أقلها شحوب المعلومات عن الديانة

اعتقاد ولم يكن يظن أنه ينطق عن خيال"[24].

الصورة والمجاز في المنهج الأسطوري:

وفي ضوء الأساس السابق (الشعر والفكر /الشعر والوجدان الجماعي) يطور نصرت عبد الرحمن النظرة إلى الشعر وأدواته بما يتناسب مع الأساس الفلسفي/الفكري، ومن هنا تتغير النظرة للصورة الفنية والاستعارة واللغة الشعرية بوجه عام.

ينظر الناقد الراحل إلى الصورة الفنية نظرة جادة عميقة تبعد بها عن "الزخرف وأصباغ البلاغة" وفق تعبيره، وهي عنده "تتصل اتصالا مباشرا بنظرية المعرفة في الفلسفة، أو ترتبط بنظرة الإنسان إلى الكون، وأنها تحمل في حناياها حقائق شعرية، تنأى بها عن الزخرف الشعري وصندوق الأصباغ وعن البلاغة"[25]. ولكن ما يعترض فهم الصورة في الشعر الجاهلي وتفسيرها "أننا لا نعرف كثيرا عن الإنسان الجاهلي صانع الصورة، ولا نعرف من أمر نظرته إلى الكون إلا أشتاتا من المعلومات. ولكن تلك الأشتات ضرورية لتفسير الصورة الجاهلية وفق نظرة الجاهلي ذاته"[26].

الصورة —وفق نصرت عبد الرحمن- لا تفسر نفسها بنفسها، بل لا بد من معلومات ومعارف مسبقة تساعد في استقبالها وتفسيرها، ويصعب التواصل معها من دون معرفة أصولها الأسطورية والدينية، ولذلك فإن الاعتماد على الأشتات والتفاريق الناقصة يقرّبنا من منابع الصورة ويمكّننا من فهمها.

أما إخراج الصورة من وظيفة التزيين ففكرة بارزة ومبدأ معروف في النقد الحديث الذي استند إليه نصرت عبد الرحمن في منهجه وعنوان كتابه، وعلى سبيل المثال نجد عند رينيه ويليك وأوستن وارن في كتابهما الشهير (نظرية الأدب) ما يشير صراحة إلى ذلك المبدأ في الفصل الخامس عشر المعنون بـ: "الصورة، المجاز، الرمز، الأسطورة"، وهو فصل أحسب أن له أصداء منهجية في نقد نصرت عبد الرحمن، وفي مجال الربط بين الصورة والرمز والأسطورة على وجه التحديد. ومما جاء فيه مما له علاقة بموضوعنا: "هل يوجد أي معنى هام يفترق فيه الرمز عن الصورة والمجاز؟ نحن نفكر مبدئيا في معاودة الرمز وإلحاحه، فالصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز، أما إذا عاودت الظهور بإلحاح

العربية القديمة بما لا يسمح له أن يتقدم في التحليل أكثر ما تقدم ولو على سبيل الظن والترجيح.

ويربط نصرت عبد الرحمن بين الصورة Image والتصور Imagination، مبتعدا عن مصطلح "الخيال" منتقدا تعريبه مقابل (Imagination) فهذا في رأيه "تحطيم للمادة اللغوية التي إذا بدأت بالصورة وجب أن تنتهي بالتصور"[31]. ووفق ذلك لا يغدو منبع الصورة خارجيا بل هو منبع داخلي "وأخطر ما في نقد الشعر أن نظن أن الصورة ظل للعالم الخارجي، فتظل عيوننا محدقة في المادة، وما الصورة كذلك، فهي تنبع من أرقى ملكات النفس الإنسانية وهي التصور، والعلاقة بين المشبه والمشبه به وإن تبدى فيها الحس فهي في حقيقتها علاقة معنوية، قد لبست لباسا حسيا"[32].

ويرى أن المعاني تتصور في الشعر في عدة أنواع من الصور ذكر منها ستة أنواع: الصورة التقريرية، الصورة التشبيهية، الرمز الأيقوني، الاستعارة، الرمز غير الأيقوني، الكناية. والتزاما بمنهجه لا يرى في هذه الصور أو الأنواع أمورا فنية أو جمالية خالصة، وإنما هي متصلة بالفكر وبالتصور. فالتشبيه –عنده– "من أكثر قضايا النقد تعقيدا، وهو ينغرس في أعماق الوجدان البشري... فالتشبيه أخطر من أن يكون الغرض منه التزيين أو الإيضاح... والتشبيه أخطر من أن يقال عنه: العلاقة بين المشبه والمشبه به حسية"[33].

وهو يلح على هذه الفكرة تأكيدا للوظيفة الفكرية–المعنوية للتشبيه وللصورة بعامة، "فقد بات من سقط المتاع القول بأن وظيفة التشبيه في الشعر الجاهلي هي التزيين أو التوضيح، فما الشاعر طاهيا يريد أن يزين ما يطهو كي يلذ للناس التقامه. وما هو بمعلم يفترض في تلاميذه الغباء فيسعى إلى إيضاح ما لا يحتاج إلى توضيح. ولكن التشبيه يضرب في أعماق الوجود الإنساني الذي يسعى إلى اقتناص الحقيقة. والمشبه والمشبه به إذا كثر ترددهما يدلان على علاقة رمزية أبعد من العلاقة الظاهرية بين الطرفين"[34].

وهو يرى أن الرمز الأيقوني "هو الصورة التي تدل على صورة مادية بينهما

علاقة تشابه، وتحمل الصورة المادية معنى: فالصليب عند النصارى رمز للصليب الذي صلب عليه السيد المسيح عليه السلام –حسب المعتقد النصراني– وهذا الصليب رمز للمخلص الذي فدى البشرية بنفسه، ولذا أصبح الصليب الحالي رمزا لمرموز أو رمزا لمادة ومعنى معا. **وهذا الرمز هو ما سنجده بكثرة في الشعر الجاهلي**"[35].

أما الاستعارة، فيرى فيها رأيا جديدا مستمدا من منهجه ورؤيته ومغذيا له في آن إذ "يبدو أنها واكبت البشرية من الاعتقاد إلى المجاز: من الاعتقاد بأن كل ما في الكون ذو حياة: فالشجرة تغني، والشمس تبتسم، والسماء تبكي، والصبح يتنفس.... ومنذ أن أصبحت البشرية تعي أن الشجرة لا تغني، والشمس لا تبتسم، والسماء لا تبكي، أصبح ذلك الاعتقاد مجازا"[36]. وهو يرى الاستعارة بعيدة عن التشبيه غير معلقة به، خلافا للشائع في درس البلاغة العربية، وعنده أن "التشبيه قد ولد تشبيها يعرف قائله أنه يضع طرفين...والاستعارة ولدت مع الاعتقاد أي مع الحقيقة. وأظن أن اختلاف منبتهما الإنساني يجعل ارتباط الاستعارة بالتشبيه أمرا مشكوكا به"[37]. ويضيف أيضا: "ويغلبني الظن بأن الاستعارة صورة منفصلة عن التشبيه، وتتبدى لي أحيانا كأنها نوع من وحدة الوجود الصوفي حيث تزول الحواجز بين الذات وما حولها"[38].

وأبعد من ذلك أنه يقرأ كثيرا من "الاستعارات" و"المجازات" بوصفها تنطق عن اعتقاد، أي حقيقة، وبذلك يتحول ما يعده الناس مجازا واستعارة عنده إلى حقيقة وواقع، فإذا قرأ قول أبي ذؤيب:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فإنه لا يرى فيه الاستعارة المكنية الشائعة التي تتردد في كتب البلاغة، وتدرس للطلبة والتلاميذ، إذ وفق المنهج الأسطوري يتصور أبو ذؤيب المنية على هيئة وحش حقيقي له أظفار، فهي ليست استعارة وتصويرا وإنما يعبر الشاعر عن تصوره وينطق باعتقاده، وأما من قرأوا هذا القول في الحقب التالية فوجدوا في قوله خيالا لأنهم لا يعتقدون اعتقاده، كما أنهم لم يدققوا في أصل تصوره ومنبع تعبيره.

وهذا وأضرابه من قراءات وتأويلات يثير مشكلة "الحقيقة والمجاز" في الشعر الجاهلي، وقد عرض لها في حديثه عن الاستعارة كما عرض لها في ثنايا كتبه ودراساته.

هل نفهم الشعر الجاهلي على الواقع أم على المجاز؟؟ يتساءل ويمثل في محاولة الجواب برثاء أبي ذؤيب لنشيبة بن عنبس:

ولو أنني استودعته الشمس لارتقت إليه المنايا عينها ورسولها

ويعلق على البيت بقوله: "إذا كان أبو ذؤيب يعتقد أن المنايا قوة مشخصة لها ذات ورسول فهي واقع عنده، وإذا لم يعتقد فهي مجاز"(39).

وكذا يفعل في قراءته لبيت آخر لأبي ذؤيب:

أمنك البرق أرقبه فهاجا فبـــت إخاله دهما خلاجا

ويشير إلى اعتساف الشراح في فهم البيت وشرحه لأن "أبا ذؤيب يمكن ألا يعني امرأة حقيقية وإنما يعني أنثى تملك القدرة على البرق بالقوة والفعل، وبذلك يكون أبو ذؤيب غير متخيل بل يكون اعتقاده صادرا عن واقع"(40).

اللغة في النقد الأسطوري:

وينقلنا ما سبق إلى عناية الناقد الأسطوري باللغة، إذ لا غنى عنها في أية قراءة نقدية مهما تكن أسبابها وأدواتها، وهي في ضوء الصعوبات والعوائق التي تحيط بعمل الناقد الأسطوري ذات قيمة كبيرة، إذ يعول عليها في كثير من توجيهات القراءة وتأويلات التركيب والتعبير. ويؤكد نصرت عبد الرحمن أن: "اللغة ظاهرة ماثلة نراها في الشعر بكل خصبها وفتائها، ولكنها ليست ظاهرة تسير إلى المجهول كما يفهم من الفنومنولوجية، ففلسفة الشاعر هي الأفق النهائي الذي تصل إليه اللغة، ولذا تبدو المعرفة القبلية Apriori ضرورة لا غنى عنها لفهم الشعر"(41).

ومعنى هذا أن اللغة الشعرية بمعناها الممتد اللانهائي لا وجود لها في هذا المنهج، أو على الأقل بصيغته التي ظهرت عند نصرت عبد الرحمن، بل اللغة محدودة غير ممتدة، لأنها تنتهي إلى "فلسفة الشاعر"، وإذا كانت تلك الفلسفة عند الناقد الراحل هي

"الدين الوثني" فإن أفق اللغة في الشعر الجاهلي يحدّ بتلك الديانة. وهذا الرأي فيه الكثير من الصواب لو كان الشعر الجاهلي شعراً دينياً اعتقادياً كالشعر الديني الذي نقرأه في مختلف العصور، ولكن المسألة كما نراها أعقد من ذلك، فليس الدين هو الأسطورة، كما أن الشاعر الجاهلي ليس شاعراً شديد التدين، ولو فرضنا الدين عنده فليس بالضرورة أن يستخدم شعره مغلقا على موضوع الدين وحده، وفي زماننا الراهن مثلا ما أكثر الشعراء المتدينين، ولكنهم لا يعبرون في شعرهم تعبيرا مباشرا محدودا بالدين، فتأثيرات الفكر أعقد من أن تكون على النحو الذي تصوره أستاذنا الراحل.

ولا يبدأ الناقد الأسطوري من اللغة الشعرية، ليتحاور معها ويقرأ من خلالها "فلسفة الشاعر" بل هو يدخل إليها وقد كوّن فكرة عن تلك "الفلسفة" وكأن مهمة تلك اللغة تتوقف على حمل تلك الفلسفة التي لا يبعد معناها وحدّها عن الديانة أو المعتقد في حالة الشعر الجاهلي.

ونلحظ لمسات من الأسلوبية المعاصرة، أسلوبية "ليو سبيتزر" على وجه الخصوص كما تأثر بها وعرضها لطفي عبد البديع في كتابه المبكر "التركيب اللغوي للأدب" ويقتبس نصرت عبد الرحمن فقرة طويلة دالة، وإن تكن غير منسجمة تماما مع المنهج الأسطوري، إذ الأسلوبية تقوم على الأثر والإبداع الفردي، وعلى خصوصية الأسلوب الفردي، بينما لا محل للفردية في القراءة الأسطورية التي تفتش عن المشترك في الوجدان الجمعي وعن أمارات الدين عند الشاعر. ومع ذلك نمضي مع الراحل فيما تتطلبه دراسة لغة الشعر "تتطلب دراسة لغة الشعر ما تقوله الأسلوبية المعاصرة من أن الأثر الأدبي كل، مركزه روح الخالق الذي يعدّ مبدأ التماسك الداخلي وهذه الروح تشبه أن تكون نظاما شمسيا تنجذب نحوه الأشياء،...وينبغي أن تفضي كل جزئية إلى التوغل في مركز الأثر الأدبي بناء على ما تقرر من أن لكل منها علتها وأنها تتكامل مع سائرها، ورُبَّ جُزئيَّة تأدّى منها المرء إلى مفتاح الأثر الأدبي كله... والسبيل إلى الأثر تلك المعرفة الفطرية التي تعضدها أوجه النظر والاستنباط من طريق الحركة المتصلة بين مركز الأثر وجوانبه"[42].

ويستند المنهج الأسطوري إلى اللغة والدلالة المعجمية للكلمات والأسماء، ويأخذ نصرت عبد الرحمن بدلالة اللغة ويبني عليها بعض قراءاته وتفسيراته، ومن أمثلة ذلك: "ويرى بعض المستشرقين —كما يقول جواد علي —استنادا إلى معنى كلمة ودّ بأن هذا

الصنم يرمز إلى الود، أي الحب. وعلى الرغم من خطر هذا المنهج وعدم دقته فإن اللجوء إليه يعد منفذا عندما توصد المنافذ الأخرى"[43].

كما يلجأ إلى اللغة في أمثلة أخرى من لجوئه لها في تفسير طبيعة إلاهة هذيل المعروفة باسم "سواع" فيقول: "وإذا اقتفيت منهج المؤرخين فاتبعت **المنهج اللغوي** لمعرفة طبيعة سواع من اسمها، **وهو منهج يلجأ إليه حين تنعدم المصادر**، ألفيت أن معنى سواع يرتبط بالإخصاب، وهو معنى رأيناه في صفة أم عمرو"[44].

الرمز في النقد الأسطوري:

لا نكاد نجد تعريفا واضحا أو صريحا للرمز فيما كتبه نصرت عبد الرحمن، ولكننا من خلال تلميحاته وتطبيقاته يمكن أن نستنبط مفهومه للرمز. ويمكن أن نستأنس بما جاء في كتاب آخر له (في النقد الحديث) الذي تعرّض فيه للنقد الرمزي، ويذهب إلى أن للرمز مفهومين، "أولهما: هو أن ينوب شيء عن شيء آخر، فإذا تشابه شيئان أحدهما مادي والآخر غير مادي أو كان الأول محسوسا والثاني معنويا عقليا، فإن المادي يضحي رمزا للمعنوي"[45]. "وثانيهما: أن الرمز تفاعل بين شيئين، أحدهما ظاهر والآخر خفي... ولتوضيح هذا المفهوم نحتاج إلى التساؤل: إذا كانت شجرة الزيتون مثلا ترمز إلى السلام، فهل يعني هذا أن ليس لتلك الشجرة قيمة إلا أنها تدل على السلام؟ وإذا كان الهنود يقدسون البقرة لأنها رمز للخصب فهل يدل هذا على أن كل قيمة البقرة رمزها للخصب؟ فلكل شيء قيمة في ذاته، والوعي هو الذي يعطي لها قيمة باطنية إنسانية، وإن التقاء هاتين القيمتين هو الرمز. ولذا فإن الرمز تفاعل بين شيء ظاهر وشيء خفي باطن"[46].

ويعنون نصرت عبد الرحمن الباب الثاني من كتابه "الصورة الفنية..." بـ الصورة والرمز الديني" وأما نوعية الصور التي تلفته ليتوقف عندها فهي الصور المكررة أو النمطية، ولا يعنى بالصور المفردة التي يمكن أن تدل على الإبداع الفردي للشاعر، أما الصور المكررة (النمطية) فإنه يقارب بينها ويدرسها كما لو كانت لشاعر واحد، أي عبر السكوت عما يمكن أن يكون بينها من فروق، إذ يعنيه تشابهها وتكرارها أكثر مما يعنيه البحث في افتراقها، إذ النمطية أنفع وأجدى للباحث والناقد الأسطوري، وهذه الصور

المكررة كما نفهم أو نستخلص من تحليله أقرب شبها بالأنماط أو النماذج العليا التي أشار لها يونغ، وتشابه الصور وتكرارها أمر لافت ويحتاج إلى تعليل، وقد تنوع الجواب على التكرار أو النمطية بين النقاد والمناهج التي عرضت للشعر الجاهلي، وإذا كنا هنا معنيين بالمنهج الأسطوري أكثر من سواه، فإن جواب نصرت عبد الرحمن يتمثل في أن تكرار الصور ونمطيتها يعودان إلى وحدة المعتقد الجاهلي/الوثني، فوحدة التصور هي التي تقف وراء نمطية صور الشعراء، خاصة إذا كانت هذه الصور في مآلها التعبيري ذات وظيفة مرتبطة بالدين الوثني. وهو يرى أو يخال "أن الصور المكررة في الشعر الجاهلي معتقد جاهلي يمكننا أن نسميها اليوم أساطير"[47].

أما الرموز التي يتوقف عندها فمرتبطة بالمرأة، وهي كثيرة الترداد والتكرار في الشعر الجاهلي، وإذا كانت نتيجة بحثه هي أن "المرأة التي جاءت في الشعر الجاهلي "يرجح" أن تكون رمزا جماعيا لوجدان جماعي ديني للشمس"[48]، فإن المرأة التي يتكرر ذكرها في الشعر الجاهلي وفق هذا رمز وليست حقيقة، أو هي امرأة مثال وليست واقعا يعرض له الشاعر. أما سبيله لبلوغ هذه النتيجة فتهمنا لأنها تبرز جانبا من إجراءات النقد الأسطوري وطريقته في التحليل للوصول إلى نتائجه التي تعتمد على المعرفة القبلية قبل أن تتكيف مع المادة الشعرية. ويمكن إيجاز المقدمات المنطقية التحليلية في هذا المجال الرمزي على النحو الآتي:

- صور المرأة صور نمطية مكررة، إذن هي من نوع الصور البدئية أو النماذج العليا التي تدخل في الوجدان الجماعي، لا الفردي.
- كثر تشبيه المرأة بـ :الشمس، والغزالة والدمية والمهاة.
- الشمس معبودة عند الجاهليين وليست مجرد كوكب مضيء.
- الجاهلي لا يعقل أو لا يمكن أن يشبه المرأة بإلهته، إن لم يكن للمرأة نفسها شيء من القداسة أو الرمزية الدينية.
- الصور الأخرى لها صلة بالشمس: فالغزالة والمهاة من أسماء الشمس، كما أن الغزال نفسه مقدس يحرم صيده، إلا كأضحية مقدسة.

• وهو يلجأ في الوصل بين هذه الصور إلى المعلومات الميثولوجية حول الديانة العربية، كما يتوسع في إكمال الجوانب الناقصة بما يتصل بموضوعه من ديانات الشرق القديم، ويلجأ إلى اللغة في تفسير كلمة "الغزالة" و"المهاة" وكل هذا ينتهي به إلى أن "الشعراء يشبهون المرأة بالشمس مباشرة أو بما يرمز إلى الشمس، كالغزالة والمهاة. أيمكن أن تكون المرأة في الشعر الجاهلي رمزا للشمس؟؟"[49].

وقد اختار الناقد الراحل ثلاث قصائد لإثبات صلة المرأة بالشمس، واحدة للأعشى واثنتين لقيس بن الخطيم، وانتهى في تحليلها إلى النتيجة ذاتها، ويبدو أنه تنبه على قلة نماذجه من الشعر في هذا الباب أي النماذج التي يمكن أن تسند نظرته الأسطورية-الرمزية، ولذلك احترز من الاتهام بالتعميم، وأشار إلى أنه يلجأ إلى مبدأ منهجي يقرّه العلم وهو مبدأ "الاستقراء الناقص"، فإذا كانت دراسة الكل غير ممكنة فإن دراسة الجزء الدال كافية لتعميم ما يصل إليه الدارس من نتائج على بقية الشعر الجاهلي. ولكن النماذج انتقائية إلى حد بعيد أي أن المنهج الأسطوري لا يصلح لأي قصيدة ويشبه في هذا الأمر بعض المناهج الانتقائية الأخرى التي تختار نماذج توافقها ثم تعمم النتائج على غيرها، فنحن هنا لسنا أمام عينة كافية رغم تماسك التحليل وحماس صاحبه وحيويته وذكائه في الربط بين الكسر والتفاريق والأشتات ليخرج منها نسيجا جديدا لافتا.

أما لوحة البكاء على الطلل أو الوقوف على الطلل، فتفسر في هذا المنهج بأنها لوحة رمزية تمثل ما يخلفه رحيل الشمس على الديار من آثار: "فما من امرأة حقيقية تقفر ديار قومها إذا ما رحلت، ولكنها الشمس التي كان يعبدها الجاهليون هي التي يؤدي رحيلها إلى إقفار الديار، فالشمس رمز الخصب عند الإنسان"[50]. والشاعر لا يبكي امرأة حقيقية فقدها بل يبكي الأم والإلاهة الكبرى: "فسيدة الطلل هي الشمس ربة الجاهليين"[51].

ورحلة الظعائن التي قد ترد مع الموقف الطللي، وقد تكون بديلا عنه في القصيدة الجاهلية لا يبعد تفسيرها عما سبق، فالمرأة الراحلة التي يعاين الشاعر رحيلها ويراقب ركبها باكيا، ليست إلا الشمس في رحلتها اليومية ورحلتها الفصلية التي تؤدي إلى تبديل الفصول، أي أنها انعكاس لدورة الشمس وما يتبعها من تغيرات. فكل ما له صلة بالمرأة

في القصيدة يغدو مرتبطا بالشمس استنادا إلى أن المرأة في الشعر الجاهلي رمز وليست حقيقة، وهي رمز ثابت غير متحرك أو متغير، رمز للشمس أو اللات التي عبدها الجاهليون، وقد مثلوها بحسب المعلومات الأثرية بامرأة حسناء.

أما رحلة الشاعر فإن رمزيتها تأخذ مسارا آخر، وهي كما يعرف قراء الشعر الجاهلي رحلة في الصحراء يصور الشاعر فيها راحلته أو ناقته، ويكثر أن يقصّ فيها قصصا للحيوان الوحشي: ثور الوحش وبقرة الوحش وحمار الوحش، ومن الطيور: القطاة والعقاب. وينتقل إلى هذه القصص من خلال تشبيه دائري طويل عبر تشبيه الشاعر ناقته بتلك الحيوانات، ولكنه يترك المشبّه ويفيض في تفصيل المشبه به ليقص لنا قصة كاملة يعود بعدها للتذكير بناقته أو أن هذا ما شبّه به الناقة.

أما ما يرد في لوحة الرحلة من صور أو قصص للحيوان الوحشي، فإن نصرت عبد الرحمن يستند في تفسيرها إلى منطق السماء ونظرة الشاعر الجاهلي إلى مجموعاتها الكوكبية والنجمية، ويلجأ إلى كتب الفلك والديانات ليقدم تحليلا جديدا يؤكد أن هذه الصور ليست تصويرا للواقع أو البيئة المحيطة، وإنما هي انعكاس لرؤية الشاعر للسماء ولصور كواكبها. ويكاد يجد لكل قصة شبيهاً في السماء نظراً لغنى علم الفلك عند العرب، ورصده المجموعات الكوكبية بدقة وتفصيل، كما يكشف الناقد الراحل عن الدلالات الدينية لتلك الصور. فالرحلة وفق هذا التحليل رحلة رمزية يتأمل فيها الشاعر السماء ومجموعاتها ويسير على هديها. ونلاحظ أن الناقد في سبيل توضيح المعلومات الفلكية عمد إلى وضع صور ولوحات توضيحية للنجوم وللمجموعات المرتبطة في رأيه بقصص الرحلة الجاهلية.

أسماء النساء والرمز:

وتوقف نصرت عبد الرحمن عند تكرار أسماء النساء في الشعر الجاهلي وقفة لافتة مسوغة، ومع أنه لا يصل إلى غاية يرتضيها فإنه يفتح بابا للتأمل، يكاد من طرف خفي يتعارض مع ما رجحه وانتهى إليه من أن المرأة في الشعر رمز الشمس المعبودة في الديانة الجاهلية الوثنية، وهو يشير إلى حيرته: "ولست أدري ما إذا كان كل اسم يدل على صفة للشمس أم على معبودات أخريات" وحين يتوقف عند الأسماء نلاحظ أن

المعاني الرمزية للأسماء تتنوع في صفات كثيرة متناقضة يصعب ربطها جميعا بالشمس، ولكنه لا يلغي رمزيتها، وينتهي بعد تتبع جملة من الأسماء المكررة ورأيه في الوظيفة الرمزية لكل اسم إلى أن "وراء كل واحدة منهن رمزا فالمرأة أكثر من أن تكون لحما ودما وعظاما"[52].

ثقافة الناقد الأسطوري:

لا تقتصر ثقافة الناقد الأسطوري على الخبرة الجمالية أو جملة المفاهيم الفنية التي تلزم دارس الأدب، بل تبدو هذه العدّة أو الخبرة أقل أهمية من أمور أخرى سنحاول إيجازها هنا كما تبدو في مؤلفات نصرت عبد الرحمن.

وفي مقدمة ذلك حاجة المنهج الأسطوري إلى معرفة قبلية تتصل بالسياق الحضاري والديني الذي أحاط بالشعر، وأكثر ما يعني الناقد الأسطوري من ذلك السياق موضوع الدين الوثني والمعتقد العربي قبل الإسلام فهو في نظره أبرز مفاتيح ذلك الشعر، إذ لا يفهم الشعر إلا بفهم المعتقد ومعرفته.

وكما جاء في كتاب: الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي، فإن نصرت عبد الرحمن يعدّ الشعر الجاهلي "وثيقة حضارية" ، وكما يقول بلغته: "أصدر في النظر إلى حضارة الجزيرة العربية على أنها جزء من حضارة الشرق القديم، وهي مؤثرة فيها متأثرة بها وأستدلُّ على ذلك بالنقل والعقل"[53] ويبني على ذلك قضية منطقية:"وإذا كان الشعر الجاهلي وثيقة حضارية تدل على حضارة جزيرة العرب، وحضارة جزيرة العرب جزءا من حضارة الشرق القديم فنحن أمام قضية منطقية مؤلفة من مقدمتين صحيحتين غير صوريتين، ينتج منهما أن الشعر الجاهلي جزء من حضارة الشرق"[54]. وينتهي إلى رأي يؤكد هذا المنحى الحضاري في ثقافة الناقد الأسطوري وشدة اقتضائه من أجل فهم الشعر الجاهلي: "وقد أتى على الناس حين من الدهر اعتقدوا فيه أن فهم ذلك الشعر لا يحتاج إلى فهم حضارة الشرق، فهو عندهم يكفي نفسه بنفسه، فحطموا بذلك أحد جناحي ذلك الشعر"[55]. وما يؤخذ على هذا الرأي أنه في التطبيق يحصر معنى "الحضارة" بما فيها من تنوع في معنى الأسطورة والدين القديم وحده، مع أن الحضارة كما هو معلوم تتسع لمفردات ومضامين كثيرة من بينها "الدين" لكنه

ليس العنصر الوحيد أو الغالب رغم تقدير دوره وتأثيره.

ويترتب على هذه الاعتبارات أن دارس الشعر الجاهلي من منظور المنهج الأسطوري ينبغي أن يلم بأمرين إلماما كافيا: دراسة الحضارة العربية قبل الإسلام، ودراسة حضارات الشرق القديم. وهذا الإلمام يفتح مصادر الناقد الأسطوري ومراجعه على حقول الميثولوجيا والديانة العربية القديمة، والتاريخ القديم، والآثار، ودراسة النقوش، وعلم الأديان المقارن، كما يقتضي منه الإلمام بأساطير الشرق القديم وأديانه، وقد يتوسع إلى حضارات أبعد، ليكون بمقدوره معرفة طبيعة الأساطير ودلالاتها المتحوّلة، فهو هنا يتجه أكثر ما يتجه للميثولوجيا القديمة وما يلحق بها من مصادر أو مراجع تساعد على إيضاحها وتفسيرها.

أما بيان هذه الإحاطة بالحضارات الشرقية القديمة فبادية في قراءات نصرت عبد الرحمن من خلال المقارنة والاستدلال واستكمال الناقص من الديانة العربية وقياس المجهول منها على المعلوم من الحضارات المجاورة، وفي هذا تناول حضاري للشعر يفيد في توجيه فهمه وجهة جديدة مختلفة عن القراءات والاجتهادات الأخرى.

وحسبنا في هذا المقام أن نذكّر بمقدار إفادته من رحلة جلجامش، وكثرة ترداده لذكرها في مواضع كثيرة من دراساته، وقد أفاد منها عندما قارن رحلة الشاعر الجاهلي برحلة جلجامش، ولاحظ "أن بين رحلة الشعراء الجاهليين وملحمة جلجامش البابلية كثيرا من الشبه، ففيهما ثور وحشي يحتل جزءا أساسيا، وفيهما تجواب طويل. ولكن الملحمة البابلية تحدد الهدف من الرحلة وهو الوصول إلى الشمس لنيل الخلود، أكان الشاعر الجاهلي يطمع في الوصول إلى الشمس لنيل الخلود؟"[56]. وبعد لأي من المضي مع رحلة الشاعر الجاهلي وربطها بمنطق السماء، يعود مجددا إلى استكمال المقارنة وتأكيد الفكرة التي تتأتى من مبدأ وحدة غاية الرحلة بين الملحمة البابلية-السومرية والشعر الجاهلي، ويقول: "يوم مات أنكيدو صاحب جلجامش... هال جلجامش الموت، فعبر الدروب، وجاب البحور، لملاقاة الشمس ونيل الخلود منها، ورأى الشاعر الجاهلي الفناء متمثلا في الطلل، فناح عليه، وغنى للشمس التي لا تشيب أبدا، وركب ناقته العنتريس والثور والظليم وحمار الوحش، وجعل مساره مشابها لمسار الشمس كما كان يعتقد الجاهليون كي يظفر بالخلود"[57].

وربط الناقد الراحل في قراءته للأسطورة عند أبي ذؤيب الهذلي بين (سواع وأم عمرو) الهذلية وعشتار البابلية، وقد ورد الاستشهاد بعشتار والمقارنة معها مرات متكررة، في كتاب: الواقع والأسطورة...ووفق الفهرست التفصيلي الذي أثبته الناقد الراحل في آخر كتابه نجد اسم عشتار متكررا شديد الوضوح مع المفردات التالية: أسطورة عشتار (ص179)، عشتار (ص143، 184-179)، عشتار والإخصاب (ص-182 184)، عشتار والخصب (ص184-183)، عشتار والزهرة (ص184-183)، عشاق عشتار (ص180-179). وهذا التكرار يدلنا على تمثّله لها وتأسّيه بها وهو يحاول أن يفكّ لغز "أم عمرو" الهذلية العربية، كما يؤكد هذا المنحى أهمية البعد المقارن في المنهج الأسطوري وأنه لا يستغني عنه، مهما تكن محاذير المبالغة في استخدامه، ولذلك فإن قراءاته لديانة هذيل وأسطورتها مدينة لأساطير بلاد الرافدين، ولعشتار بوجه خاص، فبدت أم عمرو صورة من صور (عشتار) ، رغم تباعد البون بين هذيل/القبيلة العربية التي عاشت في الجاهلية الأخيرة في القرن السادس الهجري، والحضارة العراقية القديمة التي أنتجت أسطورة عشتار قبل ذلك بعشرات القرون ، ولم يبق منها في العراق نفسه وفي زمن وجود هذيل وتدينها بسواع بقية، ولسنا نعرف إن كان بعد الزمن يسمح بالمقارنة وما يستتبعها من استدلال من الناحية المنهجية؟!

خاتمة:

لقد اجتهد الناقد الراحل الدكتور نصرت عبد الرحمن في اشتقاق منهج أسطوري عربي استنادا إلى ما ثقفه من أصول ومرجعيات غربية، ولكنه طوّرها وكيّفها مع الشعر الجاهلي، وقد فتحت ريادته الباب واسعا أمام دراسات عربية أخرى أخذت بالمنهج الأسطوري، وافترقت قليلا أو كثيرا عن منهجه وطريقته، ولكنها جميعا تمثل طريقة مغايرة واجتهادا مختلفا لقراءة الشعر الجاهلي الذي تشير قابليته لقراءات متعددة أكثر ما تشير إلى خصوصية ذلك الشعر وفرادة الشاعر الجاهلي. أما نقد المنهج الأسطوري[58] وإبراز نواقصه والمآخذ التي أخذها بعض النقاد عليه، فكثير منها يتصل بطبيعته المنهجية من ناحية أنه أقرب إلى المنحى الوصفي الذي يغيب القيمة الفنية أو لا يبرزها، وطائفة أخرى تعترض على النتائج التي ينتهي إليها بسبب ربط الشعر بالدين والمعتقد الجاهلي، ولعل هذا الجانب المتصل بنقد المنهج الأسطوري وقراءته عند النقاد الآخرين يحتاج بحثا مستقلا في غير هذا المقام.

الملاحظات الختاميّة:

1. استخدم هذا المصطلح المفكر العربي الراحل **محمد عابد الجابري** في مجال التفاعل بين الثقافات في المجال الفكري والمعرفي، وقد تكرر في غير دراسة من دراساته المعروفة. والمصطلح كما هو واضح مشتق من لفظة (البيئة).

2. من الأمثلة على هذا النقاش الذي يربط النقد بالثقافة وبقضايا الهوية والتبعية في العقدين الأخيرين: كتابا د.عبد العزيز حمودة: **المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك**، ط1، (الكويت: عالم المعرفة، 1998). و: **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية**، ط1، (الكويت: عالم المعرفة، 2001). وكذلك كتاب: د.وهب رومية، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، (الكويت: عالم المعرفة، 1996). وقد عني رومية بالمنهج الأسطوري مثالا على "النقد الجديد" في رأيه، ولكنه بالغ كثيرا في نقمته على المنهج وأصحابه. ويمكن كذلك متابعة صور من ارتباكات الهوية وأسئلتها وصلة ذلك بالنقد الأدبي في أعمال مؤتمر قسم اللغة العربية وآدابها الرابع بجامعة البترا وعنوانه: **استقبال العرب للنظريات النقدية الغربية**، ط1، (عمان، منشورات جامعة البترا، 2008).

3. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ط2، (عمان: دار الأقصى، 1982)، ص 18.

4. وقد نشرت لهذا الكتاب ترجمة عربية عن جامعة دمشق في أربعة أجزاء بعنوان: **النقد الحديث، تاريخ موجز النقد الحديث**، وترجم الكتاب: حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي، (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1976). والجزء الذي يعنينا هو الجزء الرابع الذي عرض فيه المؤلفان للنقد الأسطوري تحت عنوان: الأسطورة والنموذج البدئي.

أما إشارة نصرت عبد الرحمن لهذا الكتاب ففي كتابه: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص11.

5. ويمزات وبروكس، **تاريخ موجز النقد الحديث**، ج4، المرجع المذكور، ص192.

6. **المرجع نفسه**، ص192.

7. **المرجع نفسه**، ص 194-193.

8. **المرجع نفسه**، ص195.

9. **المرجع نفسه**، ص205.

10. **الموقع نفسه**.

11. **المرجع نفسه**، ص214.

12. **المرجع نفسه**، ص215.

13. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، المرجع المذكور، ص6,

14. **المرجع نفسه**، ص18.

15. نصرت عبد الرحمن، **في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية**، ط1، (عمان: مكتبة الأقصى، 1979)، ص 191-190.

16. **الموقع نفسه**.

17. أوجزنا في الحديث عن مرجعيات المنهج وأصوله واكتفينا بما يخص **نصرت عبد الرحمن** وثقافته على نحو مباشر. وللتوسع في الاطلاع على تلك الأصول يمكن مراجعة كتاب الباحث عبد الفتاح محمد أحمد، **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**، ط1، (بيروت: دار المناهل، 1987). وقد خصص الفصل الأول من كتابه لعرض تلك الأصول، من ص88-13. وجعلها في أربعة عناوين: اللاشعور الجمعي موطن الأنماط العليا، الأنثربولوجيا الثقافية، الفلسفة الرمزية، النقد الأدبي.

18. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية....المرجع المذكور**، ص19.

19. **المرجع نفسه**، ص18.

20. **المرجع نفسه**، ص20.

21. **المرجع نفسه**، ص125-124.

22. **المرجع نفسه**، ص136.

23. نصرت عبد الرحمن، **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي**، ط1، (عمان: دار

الفكر للنشر والتوزيع، 1985)، ص10.

24. المرجع نفسه، هامش (31)، ص10.

25. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية...المرجع المذكور**، ص5.

26. الموقع نفسه.

27. وارين، أوستن و ويليك، رينيه، **نظرية الأدب**، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، ط1، (دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1972)، ص244.

28. المرجع نفسه، ص246-245.

29. المرجع نفسه، ص249.

30. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية..المرجع المذكور**، ص5.

31. المرجع نفسه، ص12.

32. المرجع نفسه، ص15.

33. المرجع نفسه، ص14.

34. المرجع نفسه، ص110.

35. المرجع نفسه، ص15.

36. المرجع نفسه، ص16.

37. الموقع نفسه.

38. المرجع نفسه، ص17.

39. نصرت عبد الرحمن، **الواقع والأسطورة...المرجع المذكور**، ص9.

40. المرجع نفسه، ص10.

41. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية...المرجع المذكور**، ص20.

42. المرجع نفسه، ص20.

43. نصرت عبد الرحمن، **الواقع والأسطورة...المرجع المذكور**، ص132-131.

44. المرجع نفسه، ص187.

45. نصرت عبد الرحمن، **في النقد الحديث، المرجع المذكور**، ص150.

46. المرجع نفسه، ص152.

47. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية...المرجع المذكور**، ص150.

48. المرجع نفسه، ص127.

49. المرجع نفسه، 119.

50. المرجع نفسه، ص131.

51. المرجع نفسه، ص130.

52. المرجع نفسه، 158.

53. المرجع نفسه، ص8.

54. الموقع نفسه.

55. المرجع نفسه، ص9.

56. نصرت عبد الرحمن، **الصورة الفنية...المرجع المذكور**، ص138.

57. المرجع نفسه، ص150.

58. من أبرز القراءات النقدية لهذا المنهج: د.شكري عزيز ماضي، **من إشكاليات النقد العربي الجديد**، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997). وقد خص النقد الأسطوري بالفصل الثالث الذي عرض فيه لغياب القيمة في النقد الجديد. وقرأ فيه جانبا من تجربة نصرت عبد الرحمن. وكذلك: وهب

رومية، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، (الكويت: عالم المعرفة، 1996). وهما أبرز قراءتين ناقدتين كشفتا عن عيوب المنهج، باختلاف اللهجة والأسلوب بين الناقدين، إذ بدا وهب رومية أميل إلى القسوة والعنف ربما لأنه متخصص في الشعر الجاهلي فظهر ضيقه بالقراءات المخالفة شديدا عنيفا، ولكن معظم ملاحظاته –لو خلصناها من ذلك العنف– منطقية ووجيهة. أما شكري الماضي فبدا أكثر توازنا بسبب هدوء لهجته واتخاذها الاتجاه النقدي وقد كشف فيها جملة من مآخذه على المنهج الأسطوري مما يقع في باب غياب القيمة. وهناك قراءات أخرى سابقة أو لاحقة بدت أقرب إلى العرض والتحليل وأكثرها رسائل جامعية تحولت بعضها إلى كتب منشورة منها: دراسة عبد الفتاح محمد أحمد، **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**، ط1، (بيروت: دار المناهل، 1987). وهي في الأصل أطروحة دكتوراه أشرف عليها المرحوم د.علي البطل، الذي أسهم في المنهج الأسطوري في أطروحته/كتابه: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، ط1، (بيروت: دار الأندلس، 1980). وكذلك أطروحة عماد الخطيب: **الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1996. وكتاب محمد بلوحي، **آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي**، ط1، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2004).

تحديد الأسباب الإدارية والمالية لفشل الشركات

دراسة تحليلية على شركات التضامن الأردنية

الدكتور علي عباس

جامعة الشرق الأوسط

الأردن

الملخص:

تتعرض نسبة مرتفعة من شركات التضامن الأردنية سنوياً للفشل والتصفية، ولما كانت هذه المشكلة تؤثر سلباً على جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية الوطنية، وتتسبب في فقدان آلاف الوظائف القائمة والمتوقعة، وزيادة معدلات البطالة بين المواطنين. فإن هذه الدراسة هدفت إلى تحديد الأسباب المؤثرة على فشل الشركات، وقد أجريت الدراسة التحليلية على شركات التضامن في الأردن من خلال استبانة صممت لهذا الغرض، جرى توزيعها عشوائياً على 120 شخصاً، كانوا قد وقعوا على معاملات التصفية النهائية في دائرة مراقبات الشركات. ولأجل اختبار الفرضيات فقد تم استخدام بعض الأساليب الإحصائية المناسبة. وخلصت الدراسة إلى مجموعة استنتاجات كان أهمها أن السبب الإداري احتل المرتبة الأولى. والسبب المالي احتل المرتبة الرابعة بين أسباب فشل شركات التضامن.

Determine the administrative and financial reasons for the failure of companies analytical study on corporate solidarity of Jordan

Dr. Ali Abas
Middle East University
Amman

Abstract:

There is a high ratio of Jordanian partnership companies are facing yearly failure and liquidation، this problem surly is negatively affected the national economic and social development efforts، and thus lead to lose thousands of jobs. Therefore this will increase the rate of unemployment.

This research aims at identifying the reasons behind companies failure. This analytical study was applied on partnership companies in Jordan. The study used questionnaire to collect data and was distributed randomly on 120 authorized persons were had registered names in the ministry of trade and industry. The hypotheses have been tested by using adequate statistical tests، the results showed that the managerial reason is the first، and the fourth reason was financial .

المقدمة:

شهد الاقتصاد الأردني تطوراً هاماً في أدائه العام في مختلف القطاعات الإنتاجية والخدماتيّة خلال السنوات العشر الأخيرة، وقد نتج عن هذا التطور الكبير زيادة في الطلب من جانب المستثمرين على تسجيل وتملك الشركات المحددة أشكالها في قانون الشركات الأردني (وهي: الشركات المساهمة العامة محدودة المسئولية، الشركات الخاصة، الشركات ذات المسئولية المحدودة، شركات التضامن، وشركات التوصية البسيطة).

تعتبر شركات التضامن ذات أهمية بالنظر إلى العدد الذي يتم الإقبال على تسجيله سنوياً من جانب المستثمرين ولدورها في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن، إلا أن عدداً كبيراً نسبياً من هذه الشركات المسجلة تتعرض للفشل والتصفية، ومن ثم انقضاء حياتها تماماً.

وبصورة عامة فإن فشل نسبة مرتفعة من شركات التضامن الأردنية يعتبر من المشكلات التي يجب النظر إليها بجدية، والعمل على معرفتها ومواجهتها للحد من تأثيراتها السلبية على الوضع الاقتصادي العام في الدولة، فالشركات عامة ومنها شركات التضامن عادة ما تقوم بتنفيذ المشروعات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة الحجم التي تدعم الاقتصاد الوطني وتوفر فرص العمل، وإن فشلها في أداء هذا الدور يتسبب في فقدان آلاف الوظائف القائمة، وآلاف فرص العمل المتوقعة الإدارية منها والفنية والمهنية. وهكذا نلاحظ أن فشل هذه الشركات له أبعاد أخرى تتجاوز مصالح الشركاء والدائنين، مما ينعكس تأثيرها التراكمي على أصحاب المصالح الآخرين، وعلى تطور الدولة وقواها المختلفة.

المبحث الأول

منهجية الدراسة

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

في ضوء ما تقدم؛ فإنه يمكن طرح مشكلة الدراسة على النحو الآتي:

إن الاقتصاد الأردني يفقد سنوياً من خلال لجوء المستثمرين إلى تصفية شركاتهم التجارية، ومنها شركات التضامن، آلاف الوظائف القائمة والمتوقعة، كما ينتج عن ذلك إضعاف لجهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن. ولذلك فإن هناك مصلحة وطنية هامة في الحد من استمرار هذه المشكلة وتفاقمها، والتخفيف من آثارها السلبية على أصحاب المصالح الآخرين، ويعتقد الباحث أنه يوجد العديد من الأسباب التي تكمن وراء المشكلة، مما أثار في ذهنه السؤالين التاليين:

1. ما هي الدوافع الداخلية الكامنة وراء اتخاذ المستثمرين الأردنيين قرارات تصفية شركاتهم؟
2. ما هي الدوافع الخارجية الكامنة وراء اتخاذ المستثمرين الأردنيين قرارات تصفية شركاتهم؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تستهدف تحديد الأسباب الرئيسية لفشل عدد كبير نسبياً من شركات التضامن الأردنية، والتوصل إلى وضع التوصيات التي تحد أو تخفف من تأثير هذه المشكلة على جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن، بالإضافة إلى الحد من تأثيرها على زيادة البطالة من خلال فرص العمل المفقودة نتيجة فشل هذه الشركات في مواصلة تحقيق أهدافها، والحفاظ على فرص العمل القائمة حالياً والمتوقعة مستقبلاً، كما تكمن أهميته في أنه الأول من نوعه من حيث مجال التطبيق، ومن حيث أبعاده، وأهدافه، والنتائج التي سيتم التوصل إليها، ناهيك عن كونه يشكل

مرجعاً للمعلومات المفيدة، وإطاراً فكرياً وثقافياً يساعد أصحاب منظمات الأعمال ومديريها على تجنب إيصال مؤسساتهم إلى حالة الفشل التام، وبالتالي تصفيتها.

أهداف الدراسة:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحديد الأسباب التي تكمن وراء فشل بعض شركات التضامن، ووضع إطار للمشكلة.
- معرفة ما إذا كانت توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية والمالية الكامنة وراء فشل شركاتهم.
- تقديم مجموعة من المقترحات الاسترشادية للحد من استمرار وتفاقم المشكلة بين الشركات الأردنية، بما يضمن استفادة أصحاب الشركات القائمة من النتائج التي سيتوصل إليها الباحث.

فرضيات الدراسة:

انطلاقاً من مشكلة البحث، وفي ضوء ما ستكشف عنه الدراسات التي تطرقت إلى هذه المشكلة، فقد صنف الباحث أسباب فشل شركات التضامن إلى أسباب داخلية: (إدارية، مالية، فنية)، وأخرى خارجية: (تسويقية، سياسات حكومية)، وسيقوم الباحث لاحقاً باختبار صحة هذه الفرضيات.

الفرضية الرئيسية الأولى: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الداخلية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة معنوية 0.05 ويشتق من هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية، هي:

HO1: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن

في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، عند مستوى دلالة معنوية (0.05).

HO2: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المالية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة معنوية (0.05).

HO3: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة معنوية (0.05).

الفرضية الرئيسية الثانية: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الداخلية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة معنوية 0.05 ويُشتَقّ من هذه الفرضية فرضيتان، هما:

HO4: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة معنوية (0.05).

HO5: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة معنوية (0.05).

أنموذج الدراسة:

استكمالاً لمعالجة مشكلة الدراسة، وتحقيقاً لأهدافها فقد تم بناء أنموذج فرضي، كما هو في الشكل أدناه، الذي يحتوي على متغيرين: الأول: مستقل يتمثل في الأسباب الداخلية والخارجية التي تؤدي إلى فشل الشركات.

والثاني: متغير تابع، وهو فشل الشركات وتصفيتها.

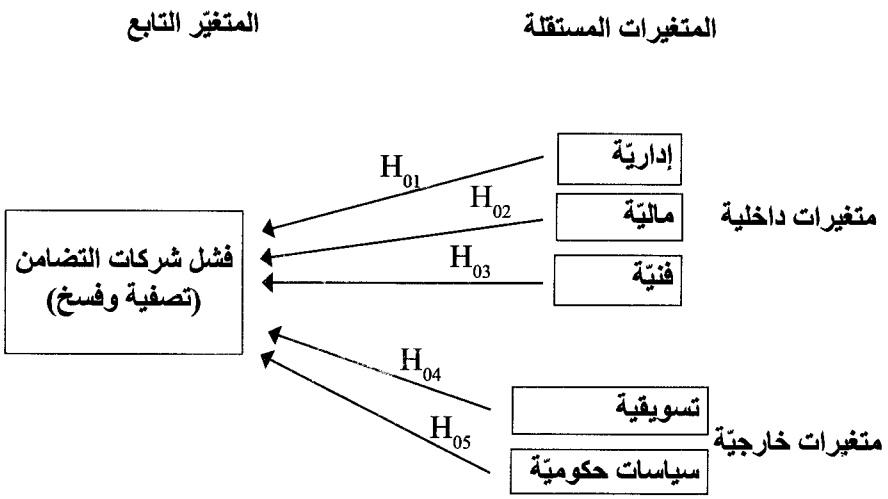

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الاستكشافي المسحي [1]، ويسميه آخرون بالمنهج السببي [2] للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة لتحليل نتائج الدراسة، واختبار مدى صحة الفرضيات التي بُني عليها، بالنظر إلى ملاءمته لأهداف الدراسة.

1. مجتمع الدراسة والعينة:

يمثل أصحاب شركات التضامن التي تعرضت للفشل والتصفية خلال عام 2008 المجتمع الطبيعي للدراسة، وعددها 950 شركة، وتم اختيار عينة من هذه الشركات بطريقة احتمالية لتتناسب مع طبيعة الدراسة، و لما كان من الصعب جداً تحديد هذا المجتمع وحجمه بسبب تشتت أماكن تواجد الشركاء، فقد استعاض الباحث عن ذلك باختيار شخص واحد من كل شركة (وهو الشخص الذي وقّع على وثيقة انقضاء الشركة والموثق اسمه لدى دائرة مراقبة الشركات بوزارة التجارة والصناعة) كطريقة لتقدير حجم المجتمع لهذه الدراسة والبالغ في هذه الحالة 950 فرداً، ممثلين بعينة بلغت

15.78 % من عددهم، أي ما يعادل 150 مبحوثاً، تم اختيارهم كعينة احتمالية بالطريقة العشوائية البسيطة لتحقيق أكبر قدر ممكن من المصداقية. وتم توزيع استبانة الدراسة على 150 مبحوثاً من خلال البريد العادي والمقابلات الشخصية، حيث تم استعادة 130 استبانة، أي بنسبة استجابة بلغت 86.7 %، و بعد استبعاد الاستبانات غير الصالحة للتحليل أصبح حجم العينة الصالحة للتحليل 120 مبحوثاً أي بنسبة 12.6 % من الحجم الكلي لمجتمع الدراسة، وهي نسبة ممثلة وفق المعايير الإحصائية المعروفة والمتداولة.

حدود الدراسة:

تم تعميم نتائج الدراسة ضمن الحدود التالية:

1. حدود مكانية: تقتصر هذه الدراسة على عينة مختارة من شركات التضامن في الأردن، والتي تعرضت للفشل والتصفية خلال العام 2008 فقط.
2. تتحدد نتائج هذه الدراسة وفق الفترة الزمنية وهي عام 2009.
3. حدود بشرية: تم توزيع استبانة الدراسة على شخص واحد من كل شركة (وهو الشخص الذي وقع على وثيقة انقضاء الشركة والموثق اسمه في سجلات دائرة مراقبة الشركات بوزارة التجارة والصناعة).

التعريفات الإجرائية للدراسة:

1. فشل الشركة: يقصد بهذا المصطلح أن شركة التضامن لم تحقق عائداً يقل عن تكلفة رأس المال، أو أن إنفاقها أكثر من إيراداتها.
2. الإفلاس (Bankruptcy): وهي الحالة التي تصبح فيها الشركة بحكم القانون غير قادرة على سداد ديونها للغير.
3. التصفية (Liquidation): وتعني كافة الإجراءات اللازمة لإنهاء العمليات المبتدئة للشركة وتحصيل ديونها، وسداد الديون المستحقة عليها، وبيع بضائعها

وممتلكاتها لسداد الديون، وتوزيع الباقي على المساهمين والشركاء.

4. الشركات المفسوخة: وهي الشركات التي تم تصفيتها قانونياً وشطبت (فسخت) من سجلات وزارة التجارة والصناعة.

أدوات الدراسة:

من أجل الحصول على البيانات والمعلومات اللازمة لتحقيق أهداف الدراسة والتأكد من صحة الفرضيات، فقد تم اعتماد الأدوات التالية:

1. بخصوص الحصول على المعلومات المتعلقة بالجانب النظري اعتمد الباحث على الكتب والمراجع العربية والأجنبية، والرسائل الجامعية، والمقابلة الشخصية، والدراسات السابقة المتخصصة في مجال البحث.

2. الاستبانة: وقد استخدمت كأداة قياس، تم تصميمها، وعرضها على مجموعة الباحثين المتخصصين من أساتذة جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، وعدد من الجامعات الأردنية الحكومية، متوخياً الدقة والموضوعية لجعل المستجيب واعياً لهدفها ومكوناتها.

وقد اشتملت هذه الأداة على جزأين:

الجزء الأول: وقد أعطيت الرمز (F)، ويحتوي على المتغيرات المتعلقة بالخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة.

الجزء الثاني: ويحتوي على (30) فقرة، تم تصنيفها في أربعة مجالات، أُعطِي لكل مجال رمز خاص به لاستقصاء وجهات نظر المستجيبين حول الأسباب التي أدت إلى فشل شركاتهم وتصفيتها. وقد تمت صياغة فقرات الاستبانة في صورة عبارات خبرية مفتوحة، واستخدم لهذا الفرض مقياس ليكرت الخماسي، حيث أعطيت الإجابة موافق بشدة (5 نقاط) موافق (4 نقاط)، محايد (3 نقاط)، موافق قليلاً (2 نقطة)، غير موافق (نقطة واحدة)، وقد توزعت فقرات الاستبانة على المجالات التالية:

• البيانات المتعلقة بالمتغيرات الديمغرافية للمستجيبين، وقد أعطيت الرمز (F)، وتضم ثلاث فقرات حول الحالة الاجتماعية، والعمر، والمستوى التعليمي.

المجال الإداري	(A) ويحتوي على الفقرات	(1-6)
المجال المالي	(B) ويحتوي على الفقرات	(7-12)
المجال الفني	(C) ويحتوي على الفقرات	(13-18)
المجال التسويقي	(D) ويحتوي على الفقرات	(19-24)
مجال السياسات الحكومية	(E) ويحتوي على الفقرات	(25-30)

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

تم اختيار الأساليب الإحصائية لمعالجة بيانات الدراسة بما يتلاءم و أهدافها، بغية الوصول إلى مؤشرات معتمدة تدعم أهداف الدراسة واختبار فرضياتها، حيث تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية (SPSS) لتحليل بيانات الاستبانة، كما تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

• معامل كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) للتأكد من ثبات (أداة) الاتساق الداخلي لأبعاد الاستبانة.

• اختبار قيمة T لعينة واحدة للتحقق من الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم.

• المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية من أجل الإجابة على أسئلة الدراسة وأهميتها النسبية.

المبحث الثاني

الإطار النظري للدراسة

الإطار النظري للدراسة:

أجمع معظم الكُتاب والباحثين الذين تعرضوا لموضوع فشل الشركات على مفاهيم متقاربة حول أسباب تصفية الشركات، فقد عرف بعضهم مفهوم التصفية بالمعنى التجاري بأنها " الإجراءات اللازمة لإنهاء العمليات المبتدئة للشركة و تحصيل ديونها، وسداد الديون المطلوبة منها، وبيع بضائعها وممتلكاتها لسداد هذه الديون وتوزيع ما قد يتبقى من أموال وحقوق أخرى على المساهمين أو الشركاء وفق مساهمة كل منهم. النعيمي [3]، الشخانبة [4]، [5] R. Hirish and others، [6] wikipedia ، بدران [7].

وتشير دراسة (حمدان: 2008) إلى أن الشركة التجارية تمر بخمس مراحل قبل الوصول إلى حالة الفشل والتصفية وانقضاء حياتها، وهي على التوالي:

الإحساس بظهور المشاكل، والضعف المالي، والإعسار المالي، ثم الإعسار الكلي، وأخيراً الإعلان عن الإفلاس؛ أي الدخول في إجراءات التصفية. وتبدأ إجراءات التصفية إما باتفاق الشركاء (تصفية طوعية)، أو بقوة القانون في حال عدم اتفاقهم (تصفية إجبارية)، فإذا أوفت الشركة بحقوق الدائنين وتم تبرئة ذمتها تماماً فإنه من الممكن وقف تنفيذ إجراءات التصفية، وغير ذلك يعني الاستمرار بإجراءات التصفية حتى النهاية، حيث تنقضي حياتها، وتصبح في عداد الشركات المفسوخة [9].

إن مشكلة فشل الشركات هي موقف قد تتعرض له العديد من الشركات الصناعية والتجارية والخدمية والمالية.. إلخ، فلا تقتصر على منطقة جغرافية معينة ولا في دولة بعينها، بل هي منتشرة في جميع الدول والمناطق، ويكمن وراء هذه المشكلة أسباب معينة، قد تكون إدارية، وقد تكون مالية، أو لأسباب تتعلق بالسياسات الحكومية.

وعلى سبيل المثال يظهر البيان التالي عدد الشركات التي تعرضت للفشل والتصفية خلال الفترة من 2003 - 2007 في الولايات المتحدة الأمريكية(10)، وعلى التوالي 35037، 34317، 39201، 19690، 28322).

أما عدد الشركات التي تعرضت للفشل والتصفية في الأردن خلال الأعوام 2003-2008 فإن البيانات الإحصائية التالية تعكس حجم المشكلة في الأردن على النحو الآتي: بلغ عدد الشركات المسجلة خلال هذه الفترة في وزارة التجارة والصناعة 44926 مؤسسة، قدرت إجمالي رؤوس أموالها عند التأسيس بنحو 8 مليارات دينار أردني. وخلال الفترة نفسها كان عدد الشركات التي تعرضت للفشل والتصفية وعلى التوالي 1230، 1373، 1117، 1137، 953، 950، أي ما مجموعه 6760 شركة أو ما نسبته 15 % من إجمالي الشركات خلال الفترة ذاتها[11].

نلاحظ أن هذه الحقائق ملفتة للانتباه حيث تعبر هذه الإحصائيات عن حجم المشكلة في الأردن، بالمقارنة النسبية مع دول أخرى، ففي كندا تم تسجيل 19232 حالة تصفية عام 2006، وفي بريطانيا 20461 حالة عام 2005. وفي النمسا كانت نسبة الشركات التي تم تصفيتها إلى إجمالي الشركات المسجلة عام 2004 هي 10%، وهي أقل نسبة بين الدول الأوروبية، أما في فرنسا واليونان فقد كانت النسبة ذاتها 20% [12].

ويذكر مرجع آخر أن حالات فشل وتصفية الشركات تزيد في الدول المتقدمة وتقل في الدول النامية [13].

إن لدى معظم دول العالم قوانين تتعامل مع حالات الإفلاس والتصفية: ففي أستراليا قانون إفلاس الشركات (ITSA) على شبكة الإنترنت، وفي كندا القانون الاتحادي، أو الوكالة الاتحادية (مكتب مراقبة الإفلاس)، وفي بريطانيا تم تحديث قانون الإفلاس عدة مرات كانت آخرها عام 2002، وفي هولندا يتكون من ثلاثة أجزاء، الأول: إعلان الإفلاس بهدف التصفية وينطبق على الأفراد والشركات، و الثاني: ينطبق على الشركات، وهدفه التوصل إلى اتفاق مع الشركاء، أما الثالث: فهو يستهدف الأفراد فقط، وفي الولايات المتحدة يخضع قانون الإفلاس للولاية القضائية الاتحادية وفق المادة

(1) الباب الثامن البند (4)، الذي يسمح للكونغرس بسنّ قوانين موحدة بشأن قضايا الإفلاس في جميع الولايات [14]. انظر قوانين الولايات المتحدة الأمريكية [15]، وفي سويسرا يجبر قانون الشركات المتعثرة على إعادة هيكلة ديونها أو تبني حلول متشابهة قبل اللجوء إلى التصفية القانونية في إطار الفصل (1) من قانون الإفلاس. ويعتبر القانون الأردني التصفية إجبارية وفق المادة (35) من قانون الشركات الأردني المؤقت رقم (1) لسنة (1989)؛ بأنه لا تنفسخ الشركة إلا بعد أن تتم إجراءات تصفيتها [16]. نلاحظ مما سبق أن قوانين الإفلاس والتصفية تتباين في بعض الجوانب وتتفق في جوانب أخرى.

الدراسات السابقة:

العربية والأجنبية:

- دراسة (حمدان [17]): أشار فيها إلى أنه ليس من السهل تحديد أسباب نمطية للفشل في جميع الشركات إلا أنه صنف بعض الأسباب من وجهة نظره إلى أسباب فنية وإدارية ومالية وتسويقية.

- دراسة (خشارمة [18]): كشفت عن أن ضعف المهارات التسويقية وعدم الاختيار المناسب لمكان التسويق تعد أسباباً رئيسية للإفلاس.

- دراسة (عبد الفتاح [19]): هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أسباب تعثر الشركات بصورة عامة، وتوصلت إلى أن أسباب التعثر داخلية، مثل: سوء الإدارة، وسوء التخطيط، وفشل السياسات المالية؛ كضعف التحصيل، وسوء التسعير.

- دراسة (الحسني [20]): ركزت على الأسباب الخارجية للفشل المالي، وصنف هذه الأسباب إلى نوعين، الأول يمكن التحكم به، مثل المشاكل التسويقية، وعدم توفر ميزة تنافسية، ورداءة المنتج، وطبيعة المنتج.

والثاني: يصعب التحكم به، مثل: فرض الرسوم والضرائب الحكومية العالية، أعباء القروض، الأزمات السياسية، عدم استقرار الدورات الاقتصادية، والتطور التكنولوجي المفاجئ.

• دراسة (عبيدات [21]): وقد توصلت إلى أن أسباب فشل الشركات متنوعة، ويمكن أن تكون داخلية، مثل ضعف الإدارة، وعدم كفاءة السياسات التشغيلية، وارتفاع المديونية، والتوسع غير الحكيم. أو خارجية مثل: الظروف الاقتصادية المحيطة، والتشريعات القانونية، وبيئة المنافسة، وعدم توفر المصادر اللازمة للتمويل وارتفاع تكلفتها، والمنافسة الشديدة، وتزايد التوقعات المتشائمة للمستثمرين.

• دراسة (مطر [22]): هناك مظهران للفشل المالي، الأول: اقتصادي ويتمثل بفشل المشروع في تحقيق عائد مناسب على الأموال المستثمرة فيه، والثاني: مظهر مالي، يتمثل في وصول المشروع إلى درجة العسر المالي (Insolvency)، وإلى أبعد من ذلك؛ أي إلى وضع التصفية (Liquidation). ويشير مطر إلى أن هناك مجموعة من الأعراض التي تصيب الشركات الفاشلة ومن أهمها: عجز الشركة عن تسديد أقساط ديونها المستحقة، وبروز ظروف اقتصادية ومالية تؤثر على نشاط الشركة، طلب تسهيلات جديدة غير مبررة، وظهور دائنين جدد.. إلخ.

• دراسة (الزبيدي [23]): في إشارة إلى نموذج أرجنتي (Argenti) الذي ركز على أنه إذا كانت الإدارة ضعيفة الأداء فإنها ستهمل النظام المحاسبي ولن تستجيب للتغير، كما أنها سترتكب واحداً أو أكثر من الأخطاء التالية: التوسع في العمل، أو التورط بمشاريع غير ناجحة، أو التوسع في الاعتماد على مصادر التمويل المقرضة.

• دراسة [24] Routledga and Gaddenne : أرجعت هذه الدراسة كل أسباب إفلاس وتصفية شركات التضامن في أستراليا إلى سوء الإدارة، وأن هذا السلوك هو السبب الرئيسي الأول الذي يقف وراء كل أعراض الفشل الذي يقود إلى التصفية.

• دراسة [25] R. Hisrich and others: أشارت إلى أن الفشل يحدث عندما تواجه الأعمال حالة من الضعف الاقتصادي، وزيادة المنافسة وارتفاع التكاليف، ودخول الشركة أسواقاً جديدة لا تملك عنها معلومات كافية.

• دراسة [26] Dun and bradstreet corp: حول أسباب الفشل والأهمية النسبية لها، وقد توصلت إلى النتيجة التالية:

• عدم كفاءة الإدارة 93 %، الإهمال 2 %، التزوير 1.5 %، الكوارث الطبيعية 0.9 %، أسباب أخرى 2.5 %.

• دراسة [27] Http://www.sterling : ظهرت حديثاً في بريطانيا، ذكرت أن أهم الأسباب التي تؤدي إلى الفشل هي: فقدان الشركة لأسواقها الرئيسية، وفشل الإدارة في استقطاب المهارات المناسبة لعمليات التخطيط، وضعف كفاءة نظام المعلومات الإدارية، والاحتيال (Fraud)، وعدم تمكن الشركة من الحصول على التمويل طويلة الأجل، والحاجة إلى رأس المال النقدي العامل، والتوسع في المشاريع.

ملخص الدراسات السابقة:

لوحظ من استعراض الدراسات السابقة التي أمكن الحصول عليها من مصادر عربية وأجنبية حول أسباب فشل الشركات أن معظمها ركّز على فشل الشركات المساهمة العامة من وجهات النظر المحاسبية والمحاسبين، ولم يكن للكُتّاب والباحثين الإداريين دور يذكر، كما أن الأسباب التي توصلوا إليها حول فشل الشركات غطّت غالبية الاحتمالات، ولم يجد الباحث دراسات سابقة تناولت أسباب فشل شركات التضامن في الأردن، لذلك يحتمل أن تكون هذه الدراسة الأولى من نوعها من حيث الهدف ومجال التطبيق، وهو ما يُميّزها عن الدراسات السابقة المذكورة.

المبحث الثالث

نتائج الدراسة واختبار الفرضيات

وصف عينة الدراسة:

في هذه الفقرة سيتم عرض وتحليل النتائج المتعلقة بالمتغيرات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة من حيث الحالة الاجتماعية، والعمر، ومكان الإقامة، والمستوى التعليمي. ويظهر الجدول (1) تلك المتغيرات.

جدول (1)

وصف المتغيرات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة

الرقم	المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية (%)
1	الحالة الاجتماعية	متزوج	102	85
		غير متزوج	18	15
	المجموع		120	100
2	العمر	20 – 30 سنة	13	10.8
		31 – 40 سنة	24	20
		41 – 50 سنة	49	40.8
		51 – 60 سنة	25	20.8
		61 سنة فأكثر	9	7.5
	المجموع		120	100

3	المستوى التعليمي	دون الجامعي	61	50.8
		بكالوريوس	56	46.7
		دراسات عليا	3	2.5
المجموع			120	100

تضمنت الدراسة ثلاثة متغيرات رئيسية تصف الحالة الاجتماعية والعمر والمستوى التعليمي لأفراد العينة، وكما هو واضح في الجدول رقم (1)، حيث بلغ ما نسبته 85 % من أفراد العينة أنهم متزوجون، مما يدل على أن لهؤلاء مسئوليات وأهدافاً تجاه أسرهم، ويحرصون على نجاح أعمالهم والمحافظة على مصادر رزقهم. وتبيّن أيضاً أن (13) فرداً؛ أي ما نسبته 10.8 % تقل أعمارهم عن 30 سنة، ويحتمل أن يكون هؤلاء من الخريجين وأصحاب المهن حديثي العهد في مجال أعمالهم وتنقصهم الخبرة والتدريب اللازمين للنجاح في أعمالهم، وأن (24) فرداً؛ أي ما نسبته 20 % تتراوح أعمارهم بين 40-31 سنة، يفترض أنه أصبح لديهم الخبرة الكافية في مجال أعمالهم، ويحتمل أن يكون لفشل أعمالهم أسباب لا تتعلق بهم وحدهم، أما من تقع أعمارهم ضمن الفئة 50-41 فقد بلغ عددهم (49) فرداً أي ما نسبته 40.8 %، وتمثل هذه النسبة الأعلى ضمن هذا المتغير، ويتوقع من هؤلاء أن يكونوا أكثر خبرة وأكثر حكمة في اتخاذ قراراتهم.

أسئلة الدّراسة:

جدول (2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجال الإداري

الرقم	المجال الإداري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أهمية الفقرة
1	سوء الإدارة (مثل المركزية بين أعضاء الإدارة التسلط،التنسيق)	4.25	0.55	2
2	تغييرات متكررة في إدارة الشركة وهيكلها التنظيمي	4.43	0.60	1

الرقم	المجال الإداري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أهمية الفقرة
3	استمرار الصراعات بين رؤساء الوحدات الإدارية	4.15	0.66	3
4	عدم كفاءة السياسات التي تطبقها الإدارة	3.99	0.78	4
5	فقدان الشركة للقيادات الإدارية الكفؤة	3.55	0.94	6
6	ضعف التخطيط العلمي	3.91	0.80	5
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		4.05	0.72	

يشير الجدول (2) إلى إجابات أفراد عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بالأسباب الإدارية لتصفية شركات التضامن. حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لمتغيرات المجال الإداري بين 4.43 للتغييرات المتكررة في إدارة الشركة وهيكلها التنظيمي، وبانحراف معياري بلغ 0.60، و 3.55 لفقرة فقدان الشركة للقيادات الإدارية الكفؤة. وبانحراف معياري بلغ 0.94.

إن من أهم الأسباب الإدارية لتصفية شركات التضامن هو فقدانها أو افتقارها للقيادات الإدارية الكفؤة القادرة على وضع الخطط الاستراتيجية، والتي تأخذ في الاعتبار متغيرات البيئة الخارجية وما فيها من فرص وتهديدات، وكذلك البيئة الداخلية وما فيها من صراعات وتجاوزات إدارية.

جدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجال المالي

الرقم	المجال المالي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أهمية الفقرة
1	ضعف الرقابة الإدارية والمالية على الإيرادات والمصروفات	3.68	0.71	4
2	عجز الشركة عن الوفاء بالتزاماتها المالية طويلة وقصيرة الأجل	3.87	0.80	2

3	عدم قدرة الشركة على الحصول على التمويل اللازم من مختلف المصادر	3.52	0.87	5
4	عدم قدرة الشركة على تحصيل ديونها في تواريخ استحقاقها	3.72	0.94	3
5	زيادة إجمالي قيمة المطلوبات عن إجمالي قيمة الموجودات	3.96	0.80	1
6	الإسراف الواضح في معظم بنود الإنفاق بما لا يتناسب مع الإيرادات	3.24	0.92	6
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		3.66	0.84	

يشير الجدول (3) إلى إجابات أفراد عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بالأسباب المالية لتصفية شركات التضامن. حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لمتغيرات المجال المالي بين 3.96 لزيادة إجمالي قيمة المطلوبات عن إجمالي قيمة الموجودات، وبانحراف معياري بلغ 0.80، و 3.24 لفقرة الإسراف الواضح في معظم بنود الإنفاق بما لا يتناسب مع الإيرادات وبانحراف معياري بلغ 0.92، ويظهر في الجدول أن من أهم الأسباب المالية عدم القدرة على الموازنة بين المصروفات والإيرادات للشركة، حيث الإسراف الواضح إلى حد التبذير دون الأخذ بعين الاعتبار حجم الإيرادات التي دخلت ميزانية الشركة. كما أن عدم قدرة الشركة على الحصول على التمويل اللازم من مصادر أخرى ربما لارتفاع مديونيتها كان سبباً آخر ذا أهمية لفشل الشركة ووقف نشاطاتها نهائياً.

جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجال الفني

الرقم	المجال الفني	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أهمية الفقرة
1	وجود أخطاء في دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع	3.19	0.90	6
2	عدم توفر الخصائص المناسبة في المواد المستخدمة في الإنتاج	3.36	1.09	5

3	أخطاء في اختيار التكنولوجيا المناسبة للعمل والإنتاج	3.61	0.96	2
4	أخطاء في اختيار الموقع المناسب للمشروع	3.66	0.79	1
5	ارتفاع ملحوظ في أسعار الطاقة والمواد والتجهيزات المشتراة	3.44	0.91	3
6	تدني الالتزام بالمواصفات الفنية لمستوى الجودة في النتجات	3.37	1.02	4
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		3.44	0.95	

يشير الجدول (4) إلى إجابات أفراد عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بالأسباب الفنية لتصفية شركات التضامن. حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لمتغيرات المجال الفني بين 3.66 للخطأ في اختيار الموقع المناسب للمشروع، وبانحراف معياري بلغ 0.79 و 3.19 لفقرة وجود أخطاء في دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع وبانحراف معياري بلغ 0.90، ومن أهم أسباب تصفية الشركة هي أن دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع قبل البدء بتنفيذه تفتقد إلى الدقة العملية والموضوعية، وبالتالي وقوع الأخطاء في تقدير الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي ستواجه المشروع.

كما أن عدم توافر الخصائص المناسبة في المواد المستخدمة في الإنتاج كانت من بين الأسباب الأخرى لتصفية الشركة، وهذا ما يدل على التخمين الخاطئ في الجانب التقني.

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجال التسويقي

الرقم	المجال الفني	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أهمية الفقرة
1	دخول عدد من المنافسين أكثر قدرة على المنافسة	3.54	0.92	6
2	عدم القدرة على تطوير منتجات جديدة رئيسية	3.63	0.91	5

3	تدني كفاءة بعض مندوبي المبيعات	3.88	0.77	4
4	تدني جودة بعض المنتجات الرئيسية وفقدان الميزة التنافسية	3.94	0.76	3
5	التحول المفاجئ في أذواق المستهلكين إلى شراء سلع بديلة	3.97	0.85	2
6	الدخول إلى أسواق جديدة دون توفر معلومات وافية عنها	4.08	0.80	1
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		3.84	0.84	

يشير الجدول (5) إلى إجابات أفراد عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بالأسباب التسويقية لتصفية شركات التضامن. حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لمتغيرات المجال التسويقي بين 4.08 للدخول إلى أسواق جديدة دون توفر معلومات وافية عنها، وبانحراف معياري بلغ 0.80 و 3.54 لدخول عدد من المنافسين أكثر قدرة على المنافسة وبانحراف معياري بلغ 0.92، ويظهر كذلك أن للأسباب التسويقية دوراً مهمّاً في تصفية شركات التضامن، وهو دخول عدد من الشركات الأجنبية المنافسة وذات الخبرة التسويقية العالية والقوة المالية والتكنولوجية، مقابل ضعف شركات التضامن المحلية في المجالات المذكورة، وعدم قدرتها على المنافسة أدى إلى خسارتها ومن ثم تصفيتها.

جدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجال السياسات الحكوميّة

الرقم	مجال السياسات الحكومية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أهمية الفقرة
1	التغييرات المستمرة في القوانين السياسات الحكومية	4.03	0.86	2
2	ارتفاع قيمة الضرائب والرسوم التي تفرضها لحكومة على الأرباح	4.24	0.67	1
3	كثرة القيود التي تفرضها على التصدير والاستيراد	3.86	0.85	4
4	عدم استجابة الحكومة لمطالبنا بالدعم والمساندة في الوقت المناسب	3.61	1.00	6

5	التدخل المستمر للحكومة في الشؤون الداخلية والخارجية لشركتنا	4.02	0.82	3
6	التسهيلات الحكومية المتزايدة لاستقطاب الشركات الأجنبية المنافسة للاستثمار في الأردن	3.84	0.86	5
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		3.93	0.84	

يشير الجدول (6) إلى إجابات أفراد عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بالسياسات الحكومية لتصفية شركات التضامن. حيث تراوحت المتوسطات الحسابية لمتغيرات السياسات الحكومية بين 4.24 لإرتفاع قيمة الضرائب والرسوم التي تفرضها الحكومة على الأرباح، وبانحراف معياري بلغ 0.67 و 3.61 لعدم استجابة الحكومة للمطالب بالدعم والمساندة في الوقت المناسب وبانحراف معياري بلغ 1.00، يظهر في الجدول أن السياسات الحكومية تعتبر سبباً إضافياً، فمن وجهة نظر عينة الدراسة أن الحكومة لم توفر الدعم الكافي في الوقت المناسب لإنقاذ الشركة من أزمتها في حين توفر كافة التسهيلات لاستقطاب أعداد متزايدة من الشركات الأجنبية المنافسة للشركات المحلية.

الجدول (7)

المتوسط العام للثقة والالتزام وسلوك البيع الأخلاقي وولاء الزبائن

الرقم	التسويق بالعلاقات	المتوسط الحسابي
1	الإداري	4.05
2	المالي	3.66
3	الفني	3.44
4	التسويقي	3.84
5	السياسات الحكومية	3.93

يتضح من الجدول (7) أن المتوسط الحسابي العام للأسباب الإدارية لتصفية

الشركات ومن وجهة نظر أفراد عينة الدراسة كان في المرتبة الأولى بقيمة بلغت (4.05)، وجاء في المرتبة الثانية السياسات الحكومية بمتوسط حسابي (3.93)، تلاه في الأهمية الأسباب التسويقية بمتوسط حسابي بلغ (3.84)، وفي المرتبة الرابعة جاءت الأسباب المالية بمتوسط حسابي بلغ (3.66)، وأخيراً، في المرتبة الخامسة كانت الأسباب الفنية بمتوسط حسابي بلغ (3.44).

ثبات الأداة Reliability:

الجدول (8)

معامل ثبات الاتساق الداخلي لأبعاد الاستبانة (كرونباخ ألفا)

الرقم	البعد	قيمة (ألفا) α
1	المجال الإداري	88.2
2	المجال المالي	89
3	المجال الفني	86
4	المجال التسويقي	85.4
5	مجال السياسات الحكومية	81.2
الاستبانة ككل		83.6

وتدل معاملات الثبات هذه على تمتع الأداة بصورة عامة بمعامل ثبات عالي في قدرة الأداة على تحقيق أغراض الدراسة.

اختبار فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار T لعينة واحدة للتحقق من الاختلاف

بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، وكما هو موضح في الجدول (9).

جدول (9)

نتائج اختبار الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم

البيان	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T المحسوبة	T الجدولية	درجات الحرية	*.Sig
الاختلاف في درجة الموافقة على أهم الأسباب الإدارية التي تدفع إلى تصفية الشركات	120	4.05	0.45	25.39	1.658	119	0.000

يوضح الجدول (9) الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود اختلاف ذي دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، إذا بلغت قيمة T المحسوبة (25.39) عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة T الجدولية البالغة (1.658). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الأولى، وعليه ترفض الفرضية الصفرية، وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

> وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05)

وعلى الرغم من اختلافهم في درجة موافقتهم على تلك الأسباب، إلا أنهم أجمعوا

على أن المتغيرات الإدارية ساهمت إلى حدٍ كبير في فشل شركاتهم، فقد قام أصحاب الشركات بتغييرات متكررة في إدارة الشركة وهيكلها التنظيمي، ويؤدي هذا السلوك في كثير من الأحيان إلى فقدان الشركة لأهم قياداتها الإدارية. حيث بلغ المتوسط الحسابي لهذا المتغير الإداري (4.43)، وهو الأعلى بين المتغيرات الإدارية، ويبدو أن سوء الإدارة مثل الإفراط في المركزية، وممارسة التسلط، وعدم التنسيق بين رؤساء الوحدات الإدارية، وفّرت بيئة داخلية ملائمة لنشوء الصراعات التنظيمية، مما أدى إلى فشل السياسات التي تطبقها الإدارة، مما انعكس على حياة الشركات وتصفيتها.

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المالية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار T لعينة واحدة للتحقق من الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المالية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، وكما هو موضح في الجدول (10).

جدول (10)

نتائج اختبار الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المالية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم

البيان	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T المحسوبة	T الجدولية	درجات الحرية	*.Sig
الاختلاف في درجة الموافقة على أهم الأسباب المالية التي تدفع إلى تصفية الشركات	120	3.66	0.56	12.972	1.658	119	0.000

يوضح الجدول (10) الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة

المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المالية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، فقد أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود اختلاف ذي دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم. إذ بلغت قيمة T المحسوبة (12.972) عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة T الجدولية البالغة (1.658)، وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الصفرية الثانية. وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الإدارية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05)

تشير هذه النتيجة إلى أنه على الرغم من وجود اختلاف حول الأسباب المالية إلا أنهم أجمعوا على أن متغيرات المجال المالي كانت من بين الأسباب التي ساهمت في فشل شركاتهم، حيث بلغ المتوسط العام لهذا المتغير (3.66) وبانحراف معياري (0.56)، وتمثل هذه النتيجة المكانة الرابعة من حيث ترتيب أسباب الفشل. ويبدو أن أعراض الفشل بدأت تظهر منذ البداية في زيادة قيمة المطلوبات عن إجمالي قيمة الموجودات، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذا المتغير (3.96) وهو الأعلى بين المتغيرات المالية، مما أدى في النهاية إلى عجز الشركة عن الوفاء بالتزاماتها المالية طويلة وقصيرة الأجل، في الوقت الذي كانت فيه عاجزة عن تحصيل ديونها في تواريخ استحقاقها، أضف إلى ذلك الإسراف الواضح في معظم بنود الإنفاق، وإحجام الدائنين عن إقراضها للخروج من أزمتها المالية الحالية، ويُفهم من هذه النتيجة أن المشكلة المالية لم تكن في البداية هي السبب الرئيسي للفشل كما يعتقد، وإنما بسبب القرارات الإدارية الخاطئة خلال الفترة التي سبقت وقوع الفشل فعلاً.

الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى

تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار T لعينة واحدة للتحقق من الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، وكما هو موضح في الجدول (11).

جدول (11)

نتائج اختبار الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم

البيان	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T المحسوبة	T الجدولية	درجات الحرية	*.Sig
الاختلاف في درجة الموافقة على أهم الأسباب الفنية التي تدفع إلى تصفية الشركات	120	3.44	0.68	7.028	1.658	119	0.000

يوضح الجدول (11) الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود اختلاف ذي دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، إذا بلغت قيمة T المحسوبة (7.028) عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة T الجدولية البالغة (1.658). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الثالثة، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المالية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05).

وتؤكد هذه النتيجة أيضاً وجود فروق بين أصحاب شركات التضامن، ومع ذلك فهم متفقون على أن هناك أسباب فنية أخرى ساهمت في فشل شركاتهم، فقد بلغ المتوسط الحسابي الإجمالي للمتغيرات الفنية (3.44) وبانحراف معياري (3.68)، وكان للأخطاء في اختيار موقع المشروع من أهم المتغيرات الفنية في وقوع الفشل، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهذا المتغير (3.66) وهو الأعلى بين المتغيرات الفنية، أضف إلى ذلك الأخطاء في دراسة جدوى المشروع والتكنولوجيا المناسبة له، وقد ساهم أيضاً ارتفاع أسعار المواد والأجهزة والطاقة في إحداث الفشل، ومن المحتمل أن يكون لذلك تأثير سلبي على جودة المنتجات، إن مجمل هذه المتغيرات لم تستطع الشركة تداركها في الوقت المناسب.

الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار T لعينة واحدة للتحقق من الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، وكما هو موضح في الجدول (12).

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب الفنية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05)

جدول (12)

نتائج اختبار الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم

البيان	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T المحسوبة	T الجدولية	درجات الحرية	*.Sig
الاختلاف في درجة الموافقة على أهم الأسباب التسويقية التي تدفع إلى تصفية الشركات	120	3.84	0.60	15.249	1.658	119	0.000

يوضح الجدول (12) الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود اختلاف ذي دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، إذا بلغت قيمة T المحسوبة (15.249) عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة T الجدولية البالغة (1.658). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الرابعة، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب التسويقية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05)

تشير هذه النتيجة كذلك إلى أن للأسباب التسويقية دوراً مهماً في إضعاف الشكة وتدني إيرادات المبيعات، فقد بلغ المتوسط الحسابي العام لهذا المتغير (3.84) وبانحراف معياري (0.84) وكان لدخول هذه الشركات إلى أسواق دون توفر معلومات

وافية عنها من بين أهم المتغيرات التسويقية الذي ساهم في فشل جهود التسويق، حيث بلغ المتوسط الحسابي (4.08) إلى جانب عزوف الزبائن عن شراء منتجاتها بسبب تدني جودتها المنتجات وعدم القدرة على تطوير منتجات جديدة.

الفرضية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار T لعينة واحدة للتحقق من الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، وكما هو موضح في الجدول (13).

جدول (13)

نتائج اختبار الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم

البيان	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T المحسوبة	T الجدولية	درجات الحرية	*.Sig
الاختلاف في درجة الموافقة على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي تدفع إلى تصفية الشركات	120	3.93	0.53	19.107	1.658	119	0.000

يوضح الجدول (13) الاختلاف بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود إختلاف ذي دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم

على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم، إذا بلغت قيمة T المحسوبة (19.107) عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة T الجدولية البالغة (1.658). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الخامسة، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة في درجة موافقتهم على أهم الأسباب المتعلقة بالسياسات الحكومية التي دفعتهم إلى تصفية شركاتهم عند مستوى دلالة (0.05)

تشير نتائج التحليل الإحصائي لمتغيرات السياسات الحكومية أنه يشكل سبباً إضافياً لحدوث الفشل، فقد بلغ المتوسط الحسابي العام لهذا المتغير (3.93) وبانحراف معياري بلغ (0.84)، وكان لمتغير ارتفاع قيمة الضرائب والرسوم التي تفرضها الحكومة هو الأعلى بين متغيرات السياسات الحكومية، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذا المتغير (4.24)، مما يدل على أن الحكومة كانت تستنزف في السنوات الأولى لتأسيس الشركة جزءً كبيراً من أرباحها، ولم تستجب لمطالب أصحاب الشركات بالمساعدة في الوقت المناسب، كما أنها كانت تتدخل في الشئون الداخلية والخارجية، في الوقت الذي كانت تقدم التسهيلات لدخول الشركات الأجنبية للسوق المحلي، وتعمل بين الحين والآخر على وضع القيود على التصدير والاستيراد، كل ذلك ساهم في فشل هذه الشركات.

المبحث الرابع

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

من خلال عرض نتائج التحليل الوصفي للمتغيرات التي استهدفتها الدراسة واختبار الفرضيات التي تم تحديدها للإجابة على أسئلة الدراسة، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات الآتية:

- كشفت الدراسة عن وجود مشكلة إدارية عميقة في شركات التضامن في العينة المختارة، يحتمل أن تكون هي السبب الرئيسي الأول لفشل هذه الشركات، وقد أشارت النتائج إلى أن أصحاب الشركات أو مدراءَها كانوا يتخذون قرارات خاطئة بقيامهم بتغييرات تنظيمية وإدارية، فقد ركزوا على ممارسة السلطة أكثر من تركيزهم على أي مصلحة أخرى، وقد ظهر ذلك من خلال ممارسة المركزية الإدارية، والانفراد في وضع الخطط والسياسات التي لم تؤد إلى نتائج إيجابية، مما ساهم في فشل شركاتهم.

- وأكدت الدراسة على أن شركات التضامن لم تكن في السنوات الأولى من تأسيسها تواجه الضائقة المالية، إلا أن عدم قدرة إدارة الشركة على التنبؤ بالفشل في الوقت المناسب، وضعف الرقابة الإدارية والمالية على الإيرادات والمصروفات، وعدم القدرة على تحصيل الديون المستحقة، والإسراف في النفقات، كل ذلك أدخل الشركة في أزمة مالية معقدة، وجعلها غير قادرة على سداد التزاماتها المالية المستحقة، وكانت هذه كلها أعراض أو مؤشرات تُنذر بالفشل، فالمشكلة إذن ليست مالية في الأساس، حيث كانت السبب الرابع بين الأسباب الأخرى للفشل، مما يدل على أن المشكلة في الأساس ليست مالية كما يُعتقد، وإنما هي إدارية في المقام الأول.

- وأكدت الدراسة وقوع أخطاء عديدة في المجال الفني في بعض المشروعات حديثة التأسيس، وخاصة الأخطاء في اختيار الموقع المناسب للمشروع، وفي

دراسة الجدوى الاقتصادية له، وأخطاء في اختيار التكنولوجيا المناسبة، ويبدو أن متخذي القرارات الفنية لم يكونوا على خبرة ودراية كافية في هذا المجال، وربما يكون لبعض الأسباب الخارجية الأخرى التي لا سيطرة لإدارة الشركة عليها، مثل الارتفاعات المفاجئة في أسعار الطاقة والمواد والتجهيزات اللازمة لتشغيل المشروع تأثير حاسم في التعجيل بفشل المشروع، ويُمثل هذا السبب الفني المرتبة الخامسة في ترتيب أسباب الفشل.

• ويمكن الاستنتاج من التحليل الوصفي واختبار الفرضيات ضعف الإدارة التسويقية في الشركة، فقد لوحظ أن أصحاب أو مدراء شركات التضامن كانوا يُورّدون منتجاتهم إلى أسواق أو مناطق دون معرفتهم لأي معلومات كافية عنها، ودون انفرادهم بأي مزايا تنافسية بسبب تدني جودة بعض منتجاتهم، وتدني كفاءة بعض مندوبي المبيعات الذين كانوا يعرضون هذه المنتجات بأسعار غير تنافسية، مما دفع المستهلكين التحوّل إلى سلع بديلة أي إلى شركات أخرى، وفي الوقت ذاته لم تكن لدى الشركات في العينة المختارة القدرة على تطوير سلع بديلة تُنافس بها في السوق، ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف أن يكون السبب التسويقي قد ساهم بقوة في وقوع الفشل الذي يعتبر السبب الثالث من حيث ترتيب أسباب الفشل.

• أظهرت الدراسة موقف أصحاب شركات التضامن في العينة المختارة تجاه السياسات الحكومية واعتبروها سبباً إضافياً ساهم في فشل شركاتهم، فقد ظهر من خلال التحليل الإحصائي لهذا المتغير أنه السبب الثاني في ترتيب أسباب الفشل، ومن بين أهم متغيرات السياسات الحكومية هو ارتفاع قيمة الضرائب والرسوم التي تفرضها الحكومة على الأرباح، والتغييرات المستمرة في القوانين والسياسات والتسهيلات الحكومية المتزايدة لاستقطاب الشركات الأجنبية المنافسة في الأردن، وعدم الاستجابة لمطالبهم بالدعم والمساندة في الوقت المناسب، واعتبروا أن هذه السياسات أضعفت أداء هذه الشركات، مما أدى إلى خسارتها ومن ثم تصفيتها.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن للباحث اقتراح التوصيات التالية:

- هناك حاجة لتطوير تشريعات حكومية وسياسات تَحُدّ من سيطرة الملكية على إدارة الشركات بصفة عامة للتقليل من تدخلها الإداري في عمل الوحدات الإدارية والفنية المتخصصة باعتبار أن هذه الشركات تمثل جزءً من منظومة الاقتصاد الوطني، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية في الأردن.

- تخفيف العبء الضريبي على الأرباح، وزيادة الحوافز الضريبية والجمركية لخلق فرص النجاح لهذه الشركات.

- هناك حاجة لتوقف أصحاب الشركات أو مدرائها عن إجراء تغييرات متكررة في الهيكل التنظيمي والإداري لخلق الاستقرار والمحافظة على القيادات الإدارية والفنية وللحد من ارتفاع معدلات دوران العمل.

- هناك حاجة للالتزام بمعايير الجودة في المنتجات للمحافظة على مزاياها التنافسية، والاهتمام أكثر بتدريب الموظفين وخاصة رجال البيع، وإكسابهم المهارات التسويقية المتقدمة في هذا المجال لتتمكن هذه الشركات من المحافظة على مزاياها التنافسية في السوق.

- تطوير نظم الرقابة الإدارية والمالية على الإيرادات والمصروفات، والتقليل من الاعتماد على التمويل الخارجي، واتخاذ الإجراءات الرقابية الفعّالة لمنع الاحتيال أو ممارسة سلوكيات فاسدة قد تحصل في الشركة.

- اجتذاب قيادات إدارية متخصصة والاحتفاظ بها تكون قادرة على اتباع التخطيط العلمي التشغيلي والاستراتيجي، وقادرة على التنبؤ بالفشل ومنعه قبل وقوعه.

- تطوير سياسات حكومية لحماية الشركات التي تعاني من ضائقة مالية من تسلط الدائنين.

- هناك حاجة لإعداد دراسات وافية للجدوى الاقتصادية قبل البدء بتنفيذ المشروع، والاهتمام بمصادر بديلة للطاقة قليلة التكلفة.

مراجع الدراسة:

1. أحمد الرفاعي، "**مناهج البحث العلمي**"، (الأردن – عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2007)، ص75.

2. علي العلاونة، "**أساليب البحث العلمي في العلوم الإدارية**"، (عمان، دار الفكر، 1996)، ص75.

3. آلاء النعيمي، "مستند" انقر (Microsoftword.alaa alnaimi، 2008).

4. عبد علي الشخانبة، "**النظام القانوني في تصفية الشركات**"، (عمان، مكتبة الجامعة الأردنية، 2003)، ص34.

5. Robert Hisrich and others، "Enterpreneurship"، U.S.A.، McGraw Irwin، 2006)، 7th ed. p. 570-575.

6. Wikipidia، انقر Navigation search، 2008.

7. ناجح بدران، "**تصفية الشركات التجارية**"، (دمشق، دار الصفدي للنشر والتوزيع، 2003)، ط1، ص76.

8. محمد وليد حمدان، "**بناء نموذج للتنبؤ بالفشل المالي للشركات المساهمة العامة في قطاعي البنوك والتأمين**"، (عمان، جامعة عمان العربية – رسالة دكتوراه: 2008)، ص 14-13.

9. وزارة التجارة والصناعة، "**التقرير السنوي**" (دائرة مراقبة الشركات، عمان، 2008)، ص42.

10. www.abiworld.org.، "Report of International Bankruptcy Institute" (U.S.A.، 2008).

11. وزارة التجارة والصناعة – مراقبة الشركات، بيانات مديرية الحاسوب، 2008.

12. Microsoft: wikipidia statistics، 2008.

13. U.S.A.I.D.، "Jordan Economic Development Program"، (SABEQ، 2008)، p2.

14. Skot A. and Sandong، 2005. مستند

15. http://trac.syr-edu/laws18use152.htmlist.gov.au مستند

16. عبد علي الشخانبة، **مصدر سابق**، ص 34.

17. محمد وليد حمدان، (**مصدر سابق**).

18. حسين علي خشارمة، "**الإفلاس في الشركات المساهمة العامة الأردنية**"، (جامعة مؤتة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد15، العدد6، 2008)، ص303.

19. محمد إبراهيم عبد الفتاح، "**المشروعات المتعثرة، أسبابها، علاجها**"، (القاهرة، دراسة بالتعاون مع البنك الأهلي المصري، مكتب شوقي وشركاه، محاسبون قانونيون، 1989)، ص2.

20. صادق الحسني، "**التحليل المالي والمحاسبي**"، (عمان، دار مجدلاوي، 1989)، ص6-3.

21. أحمد نواف عبيدات، "ب**ناء نموذج لتقييم قدرة الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية على الاستمرار باستخدام قائمة التدفقات النقدية**"، (عمان، جامعة عمان العربية – رسالة دكتوراه، 2006)، ص 22-19.

22. محمد مطر، "**الاتجاهات الحديثة في التحليل المالي والائتماني**"، (عمان، دار وائل، 2003)، ص 364-362.

23. حمزة محمود الزبيدي، "**التحليل المالي – تقييم الأداء والتنبؤ بالفشل**"، (عمان، مؤسسة الوراق، 2000)، ص306.

24. Routledga J. and Gaddenne، "Financial Distress Reorganization and Corporate Performance"، (Accounting and Finance Journal، 2000)، vol.40، pp. 233-259.

25. Robert D. Hisrich and others (مصدر سابق).

26. Dun and Bradstreet Corpo، "Corporation Failure"، (IFAC، 1999).

27. _____ http://www.sterLing-businessrecovery.co.uk"، Company InsoLvency"، (Html)، 2008.

اللغةُ الحواريةُ في رواية ما بعد الاستعمار

(إنيس حبيبة روحي) لإيزابيل إلليندي أنموذجا

د. رزان محمود إبراهيم

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة البترا

ملخص البحث:

تختار هذه الدراسة نمطا روائيا ينخرط في القلب من المشروع ما بعد الاستعماري، بما يحمله من حرص شديد على محاورة الخطاب الأوروبيّ، ومساءلة استراتيجياته التي حافظ عليها في هيمنته الاستعمارية على ما أمكنه من العالم. وهو ما تظهره الدراسة في محاولاتها استخلاص الدلالات التي يحملها النص عبر أدوات تمكنه من الكشف عن مكنونات الثقافة الاستعمارية، وذلك بالعودة إلى زمن الكشوف الجغرافية حيث كان المهم هو تجربة الإنسان الأوروبيّ المكتشف، وما لا يهم هو رؤية سكان أماكن أخرى، قيل عنها إنها عالم جديد، بينما كان سكانها يصنعون تاريخهم ويبنون حضاراتهم منذ آلاف السنين.

Dialogue in the postcolonial novel

"Anis Habibat Rouhi" by Ezabelle Elindi as a model

Dr. Razan Mehmoud Ibrahim
Department of Arabic
University of Petra

Abstract:

This study selects a type of narrative that is inextricably involved in the postcolonial project. It addresses the European discourse and interrogates its persisten hegemonic strategies. The attempt is to highlight those textual connotations exposing constituents of the imperialistic culture through geographical discoveries in their emphasis on the experience of the European explorer. Marginal to this experience is the experience of the native of the explored land. It is the land which is called the new world whose history and civilization have been in the making for thousands of years.

المقدمة:

إذا كانت العادة قد جرت على أن يستخدم الأوروبي المستعمر أفكاره ووسائله لفرض وجهة نظر، تمنح حضوره في الأطراف القصية نمطا أخلاقيا يواري بها سوءاته، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تقديم نمط روائي مغاير يفند كثيرا من الأقوال الكولونيالية ويفضحها. فأوروبا التي كانت تضع نفسها عادة في المركز، حرصت على ترتيب كل التفاصيل حسبما يتفق ورؤيتها. ومن ثم كان هدف عودة الكاتبة (إيزابيل إللينديي) لزمن الكشوفات الجغرافية إلقاءَ الضوء على زمن كان الحلم فيه مستيقظا لاكتشاف أماكن نائية من الأرض وفتحها، وتأسيس مدن جديدة، وإيصال الصليب إلى أراض يشاع بأنها همجية، بما يعني اكتشاف أرض جديدة (العالم الجديد). المهم هنا هو تجربة المكتَشِف الإنسانِ الأوروبي في عصر نهضته، وما لا يهم هو رؤية سكان هذه الأماكن الذين كانوا يصنعون تاريخهم، ويبنون حضاراتهم منذ آلاف السنين، فعالمهم قديم وليس جديدا.

ولعلّ الرواية تعطي أهمية للحديث عن أطراف أخذت تردُّ على المركز بقوة الكتابة وأساليبها، بهدف إعادة قراءة السجل الاستعماري الأوروبي، بل إعادة كتابته بما يتلاءم والمعايير المنبثقة من الحاضر. والروايةُ بذلك تقوم بمهمة حيوية هي في القلب من المشروع ما بعد الاستعماري، بما يحمله من حرص شديد على محاورة الخطاب الأوروبي ومساءلة استراتيجياته، بل فحص وسائله التي فرض بها شيفراته، وحافظ عليها في هيمنته الاستعمارية على ما أمكنه من العالم؛ وهو الأمر الذي تطلب الانتباه إلى واحدة من وظائف النص المتصلة بالبعد التواصلي، وفيها يتم تحديد: زاوية المتكلم، ووضعه، وأحكامه، وعلاقته التي تحكم تشفيره لحوافزه في الخطاب الأدبي. فالكاتبة باتخاذها إنيس بطلة لروايتها، تضع القارئ أمام مغبة الإحساس بصوتين متداخلين ممتزجين، أحدهما صوت زوجة المستعمر المتنفذ الذي يتحدث ويعلق بلغة المركز الإمبريالي، والآخر صوت فاضح للخطاب الإمبريالي بكل معطياته. وقد عمدت الكاتبة إلى هذا التسخير للكشف عن إمكانيات مضادة للثقافة الإمبريالية. فلأي الصوتين تنتصر الكاتبة؟ سؤال تستدعي الإجابة عنه قراءة متأنية تستخلص الدلالات التي يحملها النص، والآراء التي تعتقدها الكاتبة، دون المماهاةِ بين الكاتبة وشخصياتها، إلا بوضع كل جوانب النص في الاعتبار، حتى لا تختزل دلالته في بنيات نصية دون أخرى.

إنيس حبيبة روحي (إيزابيل إللينديِ)[1]

أسس ومنطلقات هذه القراءة:

تبدأ أحداث هذه الرواية — قيد الدراسة — بعد ثلاثة وخمسين عاماً من نزول كولمبس على شواطئ العالم الجديد، وبعد ستة وعشرين عاماً من بدء ماجلّان رحلته حول العالم. كانت القراءات المفضلة في إسبانيا آنئذ هي أخبار العالم الجديد التي تنشر في إسبانيا بما تحمله من مآثر عن كولمبس وماجلان، وأمريكو فسبوتشي. واتّسمت تلك الحقبةُ بتَنامي الأحلامِ باكتشاف أماكن نائية من الأرض وفتحها، وتأسيس مدن وإيصال الصليب إلى أراض يشاع بأنها همجية؛ كل هذا من أجل مجد الرب!

بطلة هذه الرواية، إنيس سواريت، من سكان مدينة سنتياغو الجديدة في مملكة تشيلي وقت كتابة الرواية عام 1580، وهي سيدة رفيعة المقام، أرملة لسمو الحاكم دون رودريغو، فاتح مملكة تشيلي ومؤسسها. تعود بنا الروايةُ إلى أصولها البائسة في إسبانيا حيث كان عليها الحصول على الإذن الملكي بالإبحار إلى بلاد الهند، وكانت حجتها آنئذ اللحاق بزوجها الأول (خوان) الذي تغذى على القصص الخيالية عن العالم الجديد، حيث الكنوز الكبرى والتشريعات في متناول يد الشجعان المستعدين للمجازفة، وكانت إنيس بما تحمله من مواهب رافداً مهماً في عبور جيش كامل إلى العالم الجديد، في ظرف كان التاج فيه يسعى إلى جمع شمل الأسر من أجل إعمار العالم الجديد، بأزواج شرعيين مسيحيين.

في قراءتنا لهذا العمل، لن يكون الهدف هو الشرح أو التفسير، وإنما تأمل هذه الدراسة تجاوُز هذه المرحلة، لكي يكون التأويل لما يحتمله الكلام من المعاني أو الدلالات هو الهدف الأول، بما يتماشى والأسس النظرية التي كانت محط اهتمام كتّاب ما بعد الاستعمار. فلعل قراءة هذه الرواية تشكل إضافة تغني الجانب النظري لهذا النوع من الدراسات، ولعلها تفتح الفرص للتفكير في هذا الجانب بصورة إيجابية بناءة.

تقدَّمَ أن زمن القصة يعود إلى أبعد من خمسة قرون، أمّا زَمَنَا الكتابة والقراءة

الفعليّان فهما زمنٌ واحد[2]، أي زمننا الحاضر، الذي يعيد النظر في موضوعات الأدب وأنواعه التي تستحق الدراسة النقدية الحديثة، ويرى أهمية الحديث عن أطراف أخذت تردّ بقوة الكتابة وأساليبها على المركز. فالقارئ أصبح مسؤولاً عن تأويلاته التي يقدمها حسب زمنه الثقافي، وكذلك فإن الكاتبة لا تستطيع التنصل من أعباء هذا الزمن ومشكلاته، وهي برحلتها إلى الماضي كانت تهدف إلى إعادة قراءة السجل الاستعماري الأوروبي، بل تهدف إلى إعادة كتابته، مصطحبة معها الحاضر والمعايير المنبثقة منه، وهي بذلك تقوم بمهمة حيوية، هي في قلب المشروع ما بعد الاستعماري، الذي يحرص على مساءلةِ الخطاب الأوروبي واستراتيجياته من حيث هو واقع داخل عالمين، وفحصِ وسائله التي فرض بها شيفراته وحافظ عليها في هيمنته الاستعمارية على ما أمكنه من العالم.

كان لا بدّ لهذه القراءة من الانتباه على واحدة من وظائف النص المتصلة بالبعد التواصلي، وفيها يتم تحديد زاوية المتكلم ووضعه وأحكامه وتشفيره لحوافز قوله لشيء ما في علاقته مع مخاطبه[3]، فحين قامت الكاتبة بتحويل المادة التاريخية لبنية النص الروائي، كان لا بدّ من ملاحظة تدخل عوامل ذاتية ترتبط بخلفيتها الثقافية والمعرفية، وإلا تحول النص إلى وثيقة تسجيلية يبحث فيها المؤرخ لا القارئ. لقد أربكت الكاتبة قارئ روايتِها حين اتخذت إنيس بطلة لروايتها؛ لأنّنا لا نعدم من خلال هذه الشخصية الإحساس بصوتين يتداخلان ويمتزجان، أحدهما هو صوت زوجة المستعمِر المتنفّذ الذي يتحدث ويعلق بلغة المركز الإمبريالي، والآخر هو صوت فاضح للخطاب الإمبريالي بكل معطياته، بل إن الكاتبة عمدت إلى تسخيره للكشف عن إمكانيات مضادة للثقافة الإمبريالية، فلأي الصوتين تنتصر الكاتبة؟ إنّه السؤال الذي تستدعي الإجابة عنه قراءة متأنية تستخلص الدلالات التي يحملها النص، والآراء التي يعتقدها الكاتب، بعيداً عن مغبة إقامة نوع من المماهاةِ بين الكاتبة وشخصياتها، إلا بوضع كل جوانب النص في الاعتبار، حتى لا تختزل دلالته في بنيات نصية دون أخرى[4].

من هذا المنطلق (رفض الأوحدية)، تنظر هذه القراءة إلى دراسة باختين عن الرواية باعتبارها نهجا مفيدا في هذا الاتجاه، ذلك لأن الرواية من وجهة نظره تنهض على تعددية الأصوات، وتدعو إلى اللغة التحررية التي تفضل الحرية على السلطة، وتحتفي

بالكاتب الذي يتيح عمله أقصى درجة من الحرية للأنساق المختلفة من القيمة، والذي لا يفرض سلطته على البدائل المختلفة[5].

ولعلّ قارئ إيزابيل إللينديي يدرك براعتها في ترك المساحة واسعة لشخصياتها المختلفة كي تعبر عن وجهات نظرها، بحيث لم يمتزج وعي أي من هذه الشخصيات بوعي المؤلفة بطريقة فجة أو مباشرة، بل بقيت محتفظة بتكاملها واستقلالها، فكانت ذوات فاعلة، لها كلمتها المباشرة الدالة.

إذا كان المستعمر يستخدم أفكاره ووسائله لعرض وجهة نظر تمنح حضوره في الأطراف القصية غطاءً أخلاقياً يواري بها سوءاته، فإننا نشهد في هذه الرواية رداً يفند كثيراً من الأقوال الكولونيالية، في إطار يقترب من القراءات المتعاكسة التي طبقها كثير من كتاب ما بعد الاستعمار. الأمر الذي تلتقطه هذه الدراسة، وتعالجه ضمن نمط تحليلي، يرى أن كل مقولة تفضي إلى أخرى تعاكسها، وأن الوقت قد أزف لمواجهة كل من يتجاهل الآخر بهيمنته.

الهوية الدينية والقومية:

كان الغزو الإسباني لأمريكا الجنوبية نموذجاً لكل المشاريع الاستعمارية لكي تحتذيه، فقد قام هذا الغزو الإمبريالي بتدمير الأرض، ونظر إلى البشر المستعمَرين بوصفهم أشياء يمكن التخلص منها، وكأنهم حيوانات غريبة يُنظر إليها، مقابل كفاءة استثنائية للمستعمرين حاملي الخير المطلق. وكان على حامل هذا الخير الذي سيفتح أقصى مملكة في العالم الجديد، الاستنادُ إلى المبرر الأخلاقي الذي استند في كثير من الأحيان إلى عوامل دينية قومية.

هذا الإحساس بالعاملين الديني والقومي رافق (بيدرو بالديبيا)، قائد الحملة العسكرية، الذي يحمد حسن طالعه في كونه كاثوليكياً، فهذا ضمان لخلاص روحه، وهذا يجعله فوق بقية البشر الفانين، فهو وزميله فرنثيسكو "نبيلان من إسبانيا، سيدة العالم بطوله وعرضه، خصهما الرب باكتشاف واستيطان وتنصير وتأسيس وإعمار أقصى أركان الأرض"[6].

حتى إنه "كان يعرف أنه يمكن للرجال المعرضين لقسوة الحرب أن يقترفوا فظاعات رهيبة.. لقد كان يعترف طبعاً، ويغفر له الكاهن دوماً بتكفير بسيط، لأن الأخطاء المقترفة باسم إسبانيا والكنيسة لا يمكن اعتبارها خطايا"[7].

إذن هناك ما يبرر للفاتح متعته القاسية في اختراق الأجساد بالسيف، وهناك ما يبرر تلك القوة الشيطانية في بتر حياة إنسان آخر، فما يحتاج إليه العالم الجديد هم نبلاء يحملون السيف في يد والصليب في الأخرى، والرب لا بدّ أن يتسامح مع الإساءات التي ترتكب باسمه ضد آلاف السكان الأصليين. وتأكيداً لهذه الهوية الدينية، فإن أول ما فعله (بيدرو) في شهر شباط 1541، حين وصل جبل هويلين، هو غرس راية قشتالة، وتعميد هذا الجبل باسم سانتا لويثا، لأن ذلك اليوم صادف عيد هذه القديسة الشهيرة، ومن ثم تولى سلطاته باسم جلالة ملك إسبانيا[8].

من هنا، نستذكر محاولات بعض كتاب ما بعد الاستعمار، ومنهم (إدوارد سعيد)، تفكيك مفاهيم رأوها بائدة (الوطن أو القومية أو الهوية)، بل رفض مثل هذه المفاهيم على اعتبار أنها فكرة أوروبية جاءت مع الاستعمار لتبرره[9]، في وقت لا يخفى علينا الموجِّه الحقيقي والأعظم لهذه الحملات الاستعمارية، وهو الذي التقطته إلليندي في أكثر من موقع، فبيدرو على سبيل المثال يقول: "من المستحيل تصور اتساع تلك المناطق، وخضرة غاباتها غير المتناهية، ووفرة أنهارها البلورية، وعمق بحيراتها ذات المياة الهادئة، وثراء مناجم الذهب والفضة فيها، وليس الحلم بالكنوز وحدها، وإنما الحلم بالمجد؛ عيشِ الحياة بكل أبعادها؛ قتالِ المتوحشين"[10].

وإذا كان الأوروبيون ينظرون إلى هويتهم من موقع الوصاية والتفوق، فإن للطرف الآخر حقه في أن تظهر له الحاجة إلى توكيد هويته، الأمر الذي عدّ سمة من سمات كتابات ما بعد الاستعمار، بل إن هذه الهوية كانت ضرورة ملحة يؤكد عليها (هومي بابا) في قوله إن الحاجة كانت قائمة إلى توكيدها، ناهيك عن أنها كانت جزءا حيويا من المقاومة الجماعية التي ركزت على طبيعتها المستقلة والتمايز الثقافي الذي ينتج عنها[11]. لذلك لاحظنا في ثنايا هذه الرواية، وخصوصاً في مراحلها المتأخرة، تركيزاً على ما يحمله أهالي العالم الجديد (المابوتشي) من تمايز ثقافي كانت له ملامحه اللافتة أثناء توجه الحدث نحو فعل المقاومة الجماعية، إذ تضعنا الكاتبة أمام ثقافة شفاهية، تدعمها ذاكرة

قوية تعوض المابوتشي عن جهلهم بالكتابة؛ فهم "يقومون بتبادل الزيارات للاطلاع على الأخبار من خلال حكايات طويلة، تلقى بإيقاع غني ومهابة، تردد قصص قبائلهم المحفوظة في الذاكرة من جيل لجيل"[12].

وفي هذا المقام تأتي القومية لتكون مرادفا للنزعة الأوروبية الضيقة التي لا تخدم إلا نفسها، بل إن عبارة (كوني) نفسها أصبحت تستخدم لغرض خدمة هذه النزعة خلافا لما هو متوقع، وفي هذا السياق المحاذر يقول (إشيبي): "أود أن أرى كلمة (كوني) وقد تم منعها تماما في مناقشات الأدب الإفريقي، وذلك إلى أن يأتي وقت يتوقف الناس عن استخدامها مرادفا للنزعة الأوروبية الضيقة التي لا تخدم إلا نفسها"[13].

في هذه المجتمعات الشفاهية، نلحظ ميلاً لفهم أسطوري للعالم، الأمر الذي لا يفسره الباحثون بعدم قدرة هذه المجتمعات على التفكير المنطقي أو السببي، ولكن تبقى منطقية الثقافات الشفاهية أكثر ميلاً إلى السحرية[14]. ولعلّ هذا الميلَ كانت له تبدِّياته من خلال شخصية (كاتالينا)، المرأة الطيبة التي رافقت إنيس في مسيرتها، والتي كانت تؤكد "أن سبب العلل والأمراض هي أرواح شريرة وشياطين تدخل من فتحات الجسم وتختبئ في البطن"[15]، والتي اعتادت أن تقرأ لإنيس طالعها بأصداف التنبؤ التي لديها، وكانت تخبرها بأنها ستعيش حياة مديدة جداً، وأنها ستموت بالشيخوخة وحدها[16].

فهؤلاء المابوتشي (أهالي الأرض) لهم معاييرهم القائمة على جماليات خاصة بهم، حرصت الكاتبة على إظهارها بين الفينة والأخرى[17]، ولهم كذلك لغتهم الخاصة بهم (المابودونغو)، التي تصفها الكاتبةُ بأنها "لغة شاعرية.. لا يمكن كتابتها أيضاً، وإذا ما حاول أحدهم ترجمتها كلمة فكلمة، فلن يفهم **شيء** منها، ويمكن للغة في أقصى الحدود أن تنقل فكرة عامة عما يقال"[18].

والراوية (إنيس) تصر على أن يسمى أهل تشيلي بما يسمون هم أنفسهم به (المابوتشي) أي أهل الأرض، في حين لا نجدها تعترض على تسمية الهنود التشيليين للإسبان (الهوينكا)، بلغة المابودونغو، مع أنّ دلالتهَا هي (الناس الكاذبون، لصوص الأرض)[19]. هنا، نكون أمام لحظة حيوية اختارتها الكاتبة، لنزع الطابع الاستعماري Decolonizing عن مسميات تحمل دلالات قادرة على التعبير عن إحساس

بطبيعة العلاقات التي تربط عالمين اقتحم أحدهما الآخر.

هذا لا ينفي إحساساً لدى الكاتبة أن واقع هجرة الإسبان إلى العالم الجديد، واستيطانهم فيه، أدى إلى هوية قومية ذات طابع تهجيني، تبرز في ثنايا حديث إنيس إذ تقول: "أما أنا فأظن أن أولئك المؤسسين قد أضافوا عزة نفسهم إلى مملكة تشيلي، فقد انضمت إلى دماء أولئك الإسبان المتكبرين دماء العرق المابوتشي الجامح، ومن هذا الخليط، خرج شعب ذو غطرسة جنونية"[20].

وهو طابع تهجيني في اللغة والدين أيضاً، فاللغة القشتالية لم تكن لتستقيم على لسان إيزابيل، ابنة زوج إنيس الإسباني، فهي تتكلم القشتالية باللهجة التشيلية، ولم تتقن لفظ الخاءات والثاءات الأصلية، وإنيس راحت علاقتها بالرب تتبدل مع مرور السنوات، فأحياناً ودون تفكير تدعوه (تفينتشين)، وتخلط بين عذراء الرحمة والأرض المقدسة في معتقدات المابوتشي[21].

المستعمِر والمستعمَر: حالة طباقيّة:

في ظل هذه الثقافة الاستعمارية، كان لا بد من ظهور القراءة الطباقية، وهي قراءة هدفها مواجهة سياسة الغرب الاستعمارية، والعمل على منح الحضور لأولئك الذين يعيشون في الأطراف القصية من العالم. فإذا كان همُّ الرواية الاستعمارية تصويرَ الأراضي المستعمرة على أنها خالية ومهجورة، فإن ظهور ما يعني خلاف ذلك يصبح أمرا ضروريا. كذلك فإن حرص الرواية الاستعمارية على جعل الشخصيات الغربية هي المهيمنة، داخل العوالم المتخيلة التي ينجزها السرد، يجعل من الضرورة بمكان إظهار الشخصيات غير الغربية على خلفية الأحداث الأساسية، وعدم الاكتفاء باعتبار تلك الشخصيّات محفزات سردية يتطور في ضوء وجودها مسار الأحداث[22].

لم يكتف المستعمر بالاتكاء على الهوية الدينية والقومية لتبرير مخططاته، بل أضاف إلى هذا العامل حافزاً مهماً، لم تخل منه رحلة استعمارية، وهو الحافز الذي يكشف بصورة لافتة عن رغبة خاصة في إعطاء صورة منجزة وجازمة، تعبر عن محتوى إيديولوجي، ورؤية سياسية توجه أنماط السلوك والتفكير. ولكننا نحفظ للكاتبة طرحاً

ديناميكياً يحمل قدرة مستمرة على الخلق والتشكل، أو على التحول والتبدل، بما يفتح المجال أمام القارئ للتفكير بصور متعددة. إنّ إلليندي إذ تقدم صورة المستعمر، تكون حريصة على الابتعاد عن أحادية الدلالة، وتتيح لنا أقصى درجة من الحرية للحكم وإعطاء القيم.

ففي مناخ رافض للصوت الأحاديّ، تضعنا الرواية أمام أكثر من شاهد لحقبة تاريخية، أعطت أبناء العالم الجديد صوراً تتسم بالقتامة والسلب، وهي شهادات تقتحم النص بغرض إعادة تشكيل التصورات العامة عن شعوب اختزلها المستعمِر لمصلحته الخاصة بهدف الحفاظ على مكانته. إنّ الحديث عن كفاءة استثنائية للمستعمِر، وتخلف استثنائي للمستعمَر، هو تضليل في تضليل، يتطلب طرحاً معاكساً يثبت أن العالم الذي اقتحمه الإسبان كانت له حضارة، خلافاً للأقوال التي صدرتها الكولونيالية. فحين دخل الإسبان البيرو رأوْا فيها حضارة أذهلتهم بما تتضمنه من أعمال هندسية ومعمارية وأقمشة ومجوهرات، وتعلم القائد الإسباني خلال بضع ساعات "احترام أولئك السكان المحليين، فليس فيهم شيء من المتوحشين، بل هم على العكس من ذلك، أكثر تحضراً من شعوب كثيرة في أوروبا"[23]. "بل وأدرك بإعجاب ما لدى هذه الشعوب من معارف متقدمة في الفلك، وأنهم وضعوا تقويماً شمسياً، وأنهم يديرون تنظيماً اجتماعياً وعسكرياً متقناً، وإن كانوا يفتقرون مع ذلك إلى الكتابة وأسلحتهم بدائية"[24]، وهم مع هذا كانوا يطعمون الأيتام والأرامل والمرضى والمسنين ويحمونهم.

ومع هذا كله، ومع أن ملك البيرو أقام للإسبان مأدبة ضخمة، فإنّ هؤلاء لم يجدوا غضاضة في قتل آلاف من حاشية هذا الملك وأعوانه الذين حاولوا حمايته بجسده، كما ألقوا القبض عليه. في نفس الموقع نجد الكاتبة تذكرنا بأن الشعب كان "يكره العاهل وحاشيته، لأنه يعيش خاضعاً لنير عبودية الأعيان من العسكريين والكهنة"[25]، لذلك لم يُبدِ الشعب مقاومة كبيرة للغزاة، فلم يكن لديه فرق في أن يكون تحت حكم الإنكا أو الإسبان. وفي ذلك إشارة حصيفة من الكاتبة تكشف فيها أن المستعمَر نفسه بأبعاده السلطوية والديكتاتورية يجعل أرضه تربة خصبة لمن هبّ ودبّ، ويصبح في لحظة ما عاجزاً عن تعزيز الولاء واستنهاض الهمم للدفاع عما يملك.

من الشهادات التي تستحضرها الروائية، شهادة لأحد المسافرين في سفينة

الفاتحين، يدعى (دانييل بيلالكاثار)، وكان التاج قد أرسله لمهمة رسم خريطة وتدوين شهادة عن مشاهداته، فقد كانت له رؤيته فيما يتعلق بأهالي العالم الجديد. ويؤكد (دانييل بيلالكاثار) أن أهالي العالم الجديد ليسوا متوحشين جميعهم، بل إن بعضهم أكثر تحضراً من الإسبان الذين كان مجيئهم إلى العالم الجديد نهاية لثقافات هذا العالم. لقد جاءوا من أجل الذهب، ذلك المعدن الطري، الذي قدّم لهم بملء اليد، إلا أن ذلك لم يمنعهم من ممارسة الإساءة بكل أشكالها، فقد كانوا يعمدون إلى اقتحام البيوت، وأخذ ما فيها دون إذن. وأول من يعترض سبيلهم يجهزون عليه، وهم — أي الإسبان — يزعمون أن هذه الأرض التي وصلوها لتوهم، هي من أملاك عاهلهم الذي يعيش في الجانب الآخر من البحر، ويريدون من الأهالي أن يعبدوا قطعتي خشب متصالبتين، ويخاطب إنيس قائلاً: "سترين يا سيدتي أن الفاتحين هم أناس بلا خجل أو حياء يأتون كالمتسولين، ويتصرفون كاللصوص، ويظنون أنهم سادة"[26].

كان للمابوتشي أيضاً رؤيتهم الخاصة بأنفسهم، عبّرت عنها الرواية في حديثها عن قصة الخلق لديهم، فهم لم ينسوا "أن الأشجار والنباتات والحيوانات هي **إخوتهم** وعليهم رعايتها، وكلّما قطعوا أغصاناً لصنع سقف يشكرونها، وعندما يذبحون حيواناً ليأكلوا **يعتذرون** منه، لا يقتلون أبداً لمجرد القتل، وعاشوا أحراراً في الأرض المقدسة"[27].

في المقابل فإنهم يرون أن الإسبان كانوا "نتنين، تشم رائحتهم عن بعد يومين، وهم لصوص كبار، لا وطن لهم ولا أرض، يستولون على ما ليس لهم، وعلى النساء أيضاً، ويريدون من المابوتشي أن يكونوا عبيداً لهم"[28].

ويأتي في ثنايا هذه الشهادات شهادة الشاعر (ألونسو)، فكيف صور الشعر أبناء تشيلي الأصليين؟

في البدء تعترف إنيس بقوة الشعر التي تفوق قوة الكلمات غير المقفاة، فالشعر يروي الملحمة لقرون وقرون، وعندما لا يبقى من أولئك الذين أجهدوا أنفسهم في تأسيس تشيلي شيء، فإن الناس سيذكرونهم من خلال ذلك الشاعر الشاب، علماً بأن إنيس في ظاهر الأمر – وإن كانت تعترف بقوة الشعر التي يمنحها إياه خلوده – وبحكم هويتها الإسبانية تعمد إلى التشكك في رواية الشاعر لسببين: الأول أنه جاء إلى تشيلي

بعد قليل من فتحها، والثاني أنه اعتاد التضحية بالحقيقة في سبيل رغبته في الحفاظ على قافية أشعاره. لكنّ قارئ هذه الرواية، ومن خلال ما يحويه النص من بنى سردية مختلفة، يرى أن الرواية تنحاز إلى منظور الشاعر، حتى بعد حين.

تقول إنيس: "وهو فوق ذلك كله لا ينصفنا كما يجب، وأخشى أن يتوصل كثير من المعجبين به إلى فكرة خاطئة بعض الشيء، عما كانت عليه الحرب الأراوكانية، فالشاعر يتهم الإسبان بالقسوة والجشع الكبير للثراء، بينما يشيد بهنود المابوتشي، وينسب إليهم الشجاعة والنبل والفروسية وحب العدالة، وحتى الرقة مع نسائهم"[29].

هذه القسوة التي تنكرها إنيس ههنا، نجد في ثنايا الرواية الكثير من الأحداث التي تدعمها وتساهم في تأكيد منظور الشاعر. ففي رحلة دييغو ألماغرو الكارثية في تشيلي، نجد الإسبان وقد اقتادوا آلاف الهنود المقيدين بسلاسل وبحبال تطوق أعناقهم لمنعهم من الهروب، ومن كان يموت منهم يكتفون بقطع رأسه، كي لا يزعجوا أنفسهم بفك الحبل من أعناق الأسرى، وكان المراقبون الزنوج يجلدون بالسياط حتى الموت، وكان الهنود التعساء يعانون جوعاً شديداً إلى حد لا يتورعون معه عن أكل جثث رفاقهم الموتى، والإسباني الذي يقتل أكثر هو الأشجع. حتى إن بياغرا (أحد الفاتحين) الذي ألحق الهزيمة بقوات السكان الأصليين، كان يجمع الذكور ابتداءً من الأطفال حتى الشيوخ، فيحبسهم في براكات من الخشب ويحرقهم أحياء، حتى إنه أوشك على إبادة السكان الأصليين عن بكرة أبيهم.

والحال أن إنيس بهويتها الإسبانية حاولت أن تخفف من أشكال العنف الذي مارسه الإسبان بحق السكان الأصليين، وهي كذلك وبنفس الهوية حاولت أن ترد على ألونسو الشاعر، وهو يتحدث عن المعاملة السيئة التي تلقاها النساء من الإسبان، بالحديث عن السوء الذي تلقاه المرأة من التشيليين، فكل رجل منهم لديه عدة نساء، يعاملهن كبهائم العمل، بل تعزز ردّها فيما تعرفه عن الإسبانيات اللواتي كن يختطفن ويتعرضن للإذلال أثناء السبي، مما يدفعهن إلى تفضيل عدم الرجوع إلى أسرهن لشدة إحساسهن بالعار، هذا في وقت تعترف فيه أن الإسبان لم يعاملوا الهنديات العاملات في بيوتهم بصورة أفضل، بل تقول: "وقد كان هنود المابوتشي خيراً منا من نواح أخرى، فهم على سبيل المثال لا يعرفون الجشع، فالذهب والأراضي والألقاب والتشريفات لا

تهمهم، وليس لهم سقف سوى السماء، ولا فراش سوى طحالب الأرض"(30).

وبخصوص معاملة النساء – الأمر الذي لقي اهتماماً خاصاً في هذه الرواية – يعلّق الكاهن الإسباني على امتلاك الرجل الهندي عدة زوجات بأن هذا دليل – حتى وإن كان يعاملهن بالتساوي – على وجود الشيطان بين أبناء المابوتشي، الذين سينتهي بهم المطاف، ما لم يقبلوا التعميد بالماء المقدس، إلى أن تشوى أجسادهم على جمر الجحيم. في هذا المقام نستحضر شخصية الغربي أو حتى غير الغربي، الذي قد يشجب عملاً ما يقوم به الطرف المقاوم، في وقت يقوم هو فيه بأبشع الأعمال وأقساها[31]، فالكاهن يشجب ما يفعله المابوتشي بنسائهم، ويحيله إلى شيطان موجود بينهم، في وقت يُسأل فيه عن الإسبان وهم يأخذون دزينة من النساء الهنديات، دون إذن من أحد، ويقومون فوق ذلك بضربهن، ولا يعاملونهن بالتساوي، وعندما يرغبون يبدلونهن بأخريات، لذلك كان لا بدّ من رد ساخر يقول: "ربما سيلتقي الإسبان والمابوتشي في الجحيم أيضاً، وسيواصلون هناك قتل بعضهم بعضاً إلى أبد الآبدين"[32].

وهي نفس الازدواجية، أو فلنقل: الذهنية، التي تجعل بيدرو قائد الحملة الإسبانية، يسمح لرجاله بأن يغتصبوا ويضربوا نساء رجال آخرين، ولكن يا لهول ما يحدث إذا ما لمسوا مَن تخصُّه! وهنا تحضر شخصية المستعمر الغربي الذي يدعي الإنسانية لكي يمارس التأله والتميز والطغيان والإلغاء.يشجب أعمال العنف التي يقوم بها الطرف المقاوم، في وقت يفاجئنا فيه هو بأقسى وأبشع أشكال العنف، فما يستبعده وينفيه على وجه، إنما يحضر ويعقل بوجه آخر، أو على صعيد مغاير، فيفاجئنا بالاستبداد من وراء عشق الحرية، أو يدعو إلى المساواة فيما لا يقدر إلا على إنتاج التمايز والتفاضل. وهو أشبه ما يكون بفعل الفاشية التي يمارسونها على نحو مضاعف بإرهابهم الفكري. وهذا شأن من يدعو إلى الحرية، في وقت يمارس فيه على البشر وصايته النخبوية لكي يستبد بهم بوصفه أولى منهم بأنفسهم[33].

وإذا كان (إيمي سيزار) بمؤلفه – خطاب عن الاستعمار – يظهر ما تحمله سياسة الغرب الاستعمارية من نزعات لا أخلاقية، وأنه ساهم في هدم كل الحضارات التي فرض نفسه عليها، باستخدام الإرهاب والسرقة[34]، فإن روايتنا قيد الدراسة تأتي لتدعم صرخة إيمي سيزار حين تظهر غدر الإسبان ونقضهم العهود وتعذيبهم للأسرى،

في وقت يحرصون فيه على تقديم هنود المابوتشي في صورة متوحشين، يستغلون حوادث أكل لحوم البشر بين هؤلاء الهنود لإخضاعهم وتحقيرهم وتنصيرهم، علماً أن الرواية بقراءتها المضادة تكشف أنهم لم يفعلوا ذلك قبل مجيء الإسبان، فالحرب هي التي تسببت بانتشار المجاعة، إذ لم يعد باستطاعة أحد زراعة الأرض، لأن أول ما كان يفعله الهنود والإسبان على السواء، هو حرق زرع الفريق الآخر وقتل ماشيته[35].

حتى إن إنيس حين تروي لبيدرو عن أحد مدوني الأخبار، ما كان يفعله الهنود لشراء قطع من اللحم البشري – وكان بيدرو يرى أنه من المستحيل أن يقدم مسيحي على مثل تلك الأعمال المشينة- فإننا نجد الرد الموضوعي على لسان إنيس بالقول: "تكفي رؤية السعادة الجنونية التي تظهر على من يتمكن من اصطياد فأر عند ضفة نهر المابوتشي كي ندرك أن أكل اللحم البشري يمكن أن يحدث"[36].

هذا لم يمنع الكاتبة من أن تعود بنا مرة أخرى إلى إنيس بصوتها الإسباني الذي يخشى المابوتشي بسبب المحن التي ألحقها بالإسبان، فتقول: "يغيظني رفضهم لكلمة المسيح، ومقاومتهم محاولاتنا في تحضيرهم، ولن أسامحهم على الطريقة الشرسة التي قتلوا بها بيدرو دي بالديبيا"[37]. علماً أنها تعود لتقول: "لم يفعلوا أكثر من الرد عليه بالمثل، لأنه ارتكب الكثير من الفظاعات والقسوة ضدهم، فمن يقتل بالحديد يقتل، كما يقال في إسبانيا"[38].

(من يقتل بالحديد يقتل). تأخذنا هذه العبارة إلى الأهوال التي ارتكبت بحق المابوتشي، وجعلت انتظار الرحمة منهم أمراً مستحيلاً، فالقسوة كما تقول الرواية تولد المزيد من القسوة في دورة أزلية[39]، فما الذي يتوقعه المستعمر من شعب كان أبناؤه يختفون في حروب الإبادة والعبودية والأمراض التي جاء بها الإسبان، ولا تستطيع أجساد الهنود مقاومتها؟

كان لا بدّ – حسب رؤية فرنز فانون في كتابه (معذبو الأرض) – من إحلال أنواع معينة من الرجال، الأمر الذي لا يتم عبر تفاهم أخوي، فهو عملية تاريخية ، تلتقي فيها قوتان متعارضتان أصلاً بطبيعتهما، لقاؤهما الأول اقترن بالعنف، ووجودهما معاً ظل مقترناً بالعنف على الدوام[40]. لذلك تقول إنيس: "إننا نحن الإسبان والمابوتشي

خصمان يليق كل منهما بالآخر: فجميعنا في هذا الجانب وذاك شجعان ومشاة ومصممون على العيش في تشيلي. هم وصلوا إلى هنا قبلنا، وهذا يمنحهم حقاً أكبر، لكنهم لا يستطيعون طردنا أبداً، وأرى أننا لن نستطيع التعايش بسلام"[41].

أصبحت ثورة المابوتشي حرباً "لا هوادة فيها، ولم تهدأ خلال أربعين سنة، ولا يعرف متى ستنتهي، فما دام هناك هندي واحد وإسباني وحيد، ستتواصل إراقة الدماء"[42].

فالأرض تم انتزاعها من السكان الأصليين الذين أجبروا فوق ذلك على العمل فيها لمصحلة الأسياد الجدد، والمابوتشي يدركون أن الإسبان لم يكونوا عابرين في أرضهم، ويتوقعون مزيداً منهم يأتون وينتزعون الأرض منهم ويحولونهم إلى عبيد، لذلك كان لا بدّ من أن يستعد المابوتشي لطرد المحتلين الذين كانوا يستعدون للبقاء والاستقرار، وكان عليهم في هذا السياق أن يتّحدوا ضد هذا العدو (فالماء العكر مكسب للصياد). ولذلك كله أيضاً تقول إنيس: "يجب عليّ أن أكرههم يا إيزابيل، لكنني لا أستطيع ذلك، إنهم أعدائي، غير أنني أقدرهم، فلو كنت مكانهم لقاتلت حتى الموت، دفاعاً عن أرضي مثلما يموتون هم"[43].

السيد والتابع/ الرجل والمرأة:

بدا لنا من خلال ما تقدم من معالجة، أن الرواية قيد الدراسة كانت لها تفاعلاتها التي تمتد إلى التاريخ السحيق، وفي الوقت نفسه كانت البنى السردية للنص تتفاعل إحداها مع الأخرى، من خلال موقف النص من نفسه، وانتقاده إياه. وعبر هذا التفاعل يكون النص وهو ينتج ذاته، ينتج نقيضه أيضاً، وبالتالي جاز لنا القول إن الميتانص (وهو أحد أنواع التفاعل النصي)[44] كان سمة مهيمنة أسبغت على الرواية بعداً نقدياً انبنى على أسس متعددة، تمثل بعضها عبر ازدواجية الصوت في الشخصية الواحدة، وتمثل بعضها الآخر في أنماط التعارض بين الشخصيات. وبالتالي، ما كان لشخصية بيدرو بالديبيا (حامل الامتيازات التي مكنته آليات القمع المتتالية من الحصول عليها) أن تظهر بمعزل عن شخصية لاوتارو أو فيليب (ممثل صوت التابع الصامت ولو إلى حين).

في تصويرها لشخصية بيدرو، تنأى الكاتبة بشكل يثير الإعجاب عن إعطاء هذه الشخصية سمات محددة صارمة، تنطلق من موقع واحد، أو قناعة محددة، فبيدرو لا يمكن إدراكه بصورة وعي واحد أو نظام واحد؛ إذ لم يكن بأفعاله متوافقاً مع ذلك التمايز المطلق الذي أعلنته الثقافة الكولونيالية تجاه الآخر منذ بداية ظهوره في الرواية، وبالتالي يصح القول إن بيدرو كما ظهر في الرواية، هو شخصية نامية، تطورت في سياق من ظروف غاية في التعقيد والتشابك.

نستطيع تأكيد تلك الملامح النامية والمركبة لشخصية بيدرو من خلال متابعته، منذ قرر مغادرة إسبانيا ضمن جيوشها، تحت راية كارلوس الخامس، إلى أن يفتح أقصى مملكة في العالم الجديد، ويموت ومعه سيفه مكسوراً ويقطر دماً.

في البدء "كان جشع زملائه وقسوتهم يثيران اشمئزازه، إذ لم يكن هناك ما هو شريف أو مثالي في هؤلاء الجنود الأفظاظ"[45].

وكان يتساءل "إلى أين نحن ماضون بنزق ويأس، ما دام لا يمكن لأحد في نهاية المطاف أن يأخذ الذهب معه إلى القبر؟"[46].

في بداية مغامراته، عامل السيد بيدرو الهنود الذين يعملون لديه وفق نظام الوصاية باحترام أكبر من غيره من الإسبان، ولكن بصرامة على الدوام، كذلك كان يغذيهم تغذية جيدة، ويجبر مراقبي عماله على توخي الحذر في العقوبات، بنيما كانوا في مناجم ومزارع أخرى يجبرون النساء والأطفال على العمل.

نلاحظ آنئذ أن إنيس كانت مرتبطة ببيدرو بعلاقة حب خاصة، وهي العلاقة التي اتسمت بالتماوج مع تطور شخصية بيدرو، في إشارة مقصودة من الكاتبة هدفها الربط بين مواقف الرجال من النساء، ومواقفهم السياسية، بمعنى أننا نلحظ تلازماً حتمياً ما بين الموقفين، فالرجل الذي يحب المرأة ويقيم لها وزناً هو الرجل ذاته الذي ينأى عن المواقف اللاإنسانية تجاه كل من قد يوصف بأنه تابع أو مهمش. فخوان زوج إنيس الأول، على الرغم من وسامته ومرحه، جشع لا أخلاقي، تعددت إساءاته إليها. كذلك فإن فرنثيسكو الذي اغتصب النساء وأمعن في الإساءة إليهن، كان من أولئك الذين رأوا في قتل جميع الذكور الذين تزيد أعمارهم عن اثنتي عشرة سنة، واختطاف

الأطفال، حلاً لمشكلة السكان الأصليين. في المقابل تضعنا الرواية أمام شخصية دون رودريغو، جندي إسبانيا الباسل، القائد المتقدم، والفاتح، وحاكم مملكة تشيلي، أوسع الرجال كرماً – على حد وصف إنيس في الرواية – وهو ما يدعمه طريقته في التعامل مع النساء، فقد كان "الجندي الوحيد الذي ليس لديه حريم من المحظيات"[47]، وكانت رفيقته الوحيدة "يعاملها بلباقة أبوية واحترام غير معهود"[48].

ما تقدم من أمثلة يؤكد لنا أن مواضيع النساء لا تنفصل بحال من الأحوال عن مواضيع البنى الاجتماعية والسياسية القائمة في العالم، بل نستطيع من خلال هذه الرواية القول: إن أدب الحروب – وإن كانت الصورة القائمة عنه أنه ميدان ذكوري – بمعالجته أحداث المعارك المحتدمة بين الأطراف يصبح ميداناً أنثوياً حين يعالج تأثير الحرب في المجتمع الإنساني[49]، وهو ما ظهر لدينا من خلال الربط السابق بين سلوك الرجل السياسي، وسلوكه الاجتماعي والشخصي، اللذين لا ينفصلان بحال من الأحوال.

تأكيداً لهذه العلاقة، نعود إلى مسيرة بيدرو الذي تمثل في البدء صاحباً للأخلاق المسيحية ينأى عن استغلال الهنود، وإماتة الخيول من الإنهاك، إلا أنه بدأ بالتخفف شيئاً فشيئاً من مُثُله، إذ أصبح يرى أنّه لا يمكن إخضاع الهنود دون استخدام القوة. وفي هذا السياق أصبحت إنيس تتحدث عن فضائله، مثلما أصبحت تشير إلى عيوبه، فقد خانها، وأصبح جباناً معها، في وقت كانت تقول فيه: "ولكن حتى أشد الرجال استقامة وبسالة، يخيبون أملنا نحن النساء عادة"[50].

تفاقم الأمر، وأصبح بيدرو أكثر شراسة وغطرسة، إذ أدارت السلطة رأسه، وأصبح متعجرفاً، فسمح أولاً بتعذيب مراسل الإنكا على موقد ليكون عبرة للآخرين، فبعد أن كان ذلك الرجل الراغب في تأسيس شعب محب للعمل والمبادئ الصالحة، أصبح يشير في رسائله إلى المركز في إسبانيا عن مناجم ذهب غنية لاجتذاب الإسبان، وهي المناجم التي دفعه البحث عنها إلى أن "يملأ سلالاً بالأيدي والأنوف المبتورة.. ، ابتعد أصحابها متعثرين باتجاه الغابة لكي يذهبوا لعرض أعضائهم المبتورة على رفاقهم.. حتى إن جنوده ألقوا بسلال الأيدي والأنوف المبتورة إلى النهر، فطفت متهاوية باتجاه البحر، يحملها التيار المضرج بالدم"[51].

كان لهذه الشراسة والغطرسة أصداؤها الواضحة على إنيس التي تقول: "وبدلاً من أن أنصاع له عندما أراد أن يفعل معي كما الكلاب، وجهت صفعة قوية إلى وجهه"(52).

ومن ثم تصل علاقة بيدرو بالمرأة التي أحبها إلى النهاية حيث تقول: "لقد صرت أكرهه بقدر ما أحببته من قبل، وصرت أرغب في جرحه بقدر ما حميته من قبل، تضخمت عيوبه في عيني، فلم يعد لي نبيلاً، وإنما جشعاً وبخيلاً، لقد كان من قبل قوياً داهية وصارماً، فصار بديناً مخادعاً وقاسياً"(53). في حين أخذت علاقة إنيس برودريغو بالتصاعد، فهو الرجل الذي لم يكن ليقدم على المجازر التي قام بها بيدرو حتى لو بدت ضرورية في بعض الأحيان.

وإذا كان المستعمر غير آبه في ممارساته، ويعتبر أن الوقائع التي يسيء فيها الجند التصرف لا تستحق أن يهدر الحبر والورق من أجلها، فإن بنية اجتماعية كاملة من الطرف الآخر، كان لا بدّ لها أن تتشكل، وتعلن أن السيد لن يبقى سيداً، وأن التابع لن يبقى كذلك إلى الأبد. الأمر الذي ينقلنا إلى شخصية التابع الصامت الذي لن يستمر في صمته.

"كان طفلاً في حوالي الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر، هزيلاً ، بارز الأضلاع، لكنه قوي البنية، ويكلل رأسه شعر أسود كثيف، متيبس بالوسخ، جاء شبه عار.. كان يهتم بالحيوانات أكثر من اهتمامه بالناس.. كان الناس في أول الأول يطردونه أينما ذهب، فليس هناك من يرغب في وجود هندي صغير غريب الأطوار، تحت سقف بيته، لكنهم ما لبثوا أن اعتادوا على حضوره، وصار الطفل غير مرئي ويخرج بصمت وحذر على الدوام"(54).

أخذه الكاهن الإسباني إلى إنيس التي كلفته بالعمل في رعاية الخنازير والدجاج، وبقي معهم، ولازم بيدرو الذي أعجب به وأسماه (فيليب)، إلى أن جاء اليوم الذي وجد فيه رأس حصان بيدرو مغروساً على حربة رمح، فقد "قتل فيليب صديقه الأصل، بقطع وريد العنق كي لا يتألم، وتحدى حظر التجول، منتهزاً انتشار الظلام، ليغرس الرأس في الساحة، ويهرب بعد ذلك.. انطلق عارياً تتدلى من عنقه التميمة نفسها التي جاء بها

قبل سنوات.. فوق رأسه السماء غير المتناهية، إنه حرّ أخيراً"[55].

بذهاب فيليب إلى قومه، تنقطع علاقته بالإسبان، بعد أن حمل معه المعلومات التي اكتسبها خلال سنوات من التخفي الذكي، إذ كان ينقل الأفكار إلى زعماء القبائل، دون أن يتعرض لأي إزعاج لأنه كان واحداً منهم.

الاسم الحقيقي لفيليب هو (لاوتارو)، وقد توصل لأن يكون أشهر زعماء القبائل في تشيلي، وشيطاناً مخيفاً في نظر الإسبان، وبطلاً في نظر شعب المابوتشي، وهو ما زالت روحه "تتقدم صفوف قواته وسيظل اسمه يتردد عبر القرون"[56]. كان مستمعاً ماهراً لقصص الجنود، يتعلم منهم الاستراتيجية العسكرية، ويعرف نقاط قوة الإسبان وضعفهم، وكان الحقد ضد غزاة أرضه ينمو يوماً بعد يوم، فقد كان ابن زعيم هندي شديد الاعتزاز بسلالته من المحاربين، فالاعتزاز بالسلالة لم يكن وقفاً على الإسبان، لكن هذا لا يكفي، فالخطر الحقيقي يكمن في اعتقاد المستعمَر بأن المستعمِر لا يهزم، لذلك يأتي لاوتارو الذي ركض على ضفة نهر المابوتشي متخفياً بين خضرة بلاده وسابحاً، بصرخة سعادة مكتومة عبر مياه باردة غسلته من الداخل والخارج، وطهرته من رائحة الهوينكا، رافضاً استخدام جسر الحبال الذي أقامه الهوينكا ليقول لأبناء المابوتشي: "ليس صحيحاً أن الهوينكا لا يهزمون، إنهم ينامون أكثر من المابوتشي، ويكثرون من الأكل والشرب، ... سنزعجهم دون توقف، سنكون مثل الدبابير، وذباب الخيل.. في البدء سنتعبهم، وبعد ذلك نقتلهم، الهوينكا بشر يموتون مثل المابوتشي، ولكنهم يتصرفون كالشياطين.. يريدون احتلال أرضنا.. وأن نكون عبيداً لهم، لماذا؟ إنهم لا يعرفون الحرية، لا يفهمون الكرامة.. لا يفهمون شيئاً عن العدالة أو الثواب. الهوينكا مجانين، ولكنهم مجانين أشرار، وأنا أقول لكم يا إخوتي، إننا لن نكون أسرى لديهم أبداً، سنموت ونحن نقاتل.."[57].

في طرحها السابق لشخصية كل من المستعمر والمستعمر، يقدر لكاتبة هذا العمل حرصها الشديد على طرح مفاهيم متعارضة متعاكسة، تؤكد حاجة ملحة إلى أن يسير ما هو تفكيكي وما هو سياسي جنباً إلى جنب، ونأخذ مثالاً على هذه السيرورة، وهو المثال الذي يرسخ افتراقاً قد يبدو عابراً أمام القارئ، إلا أنه في حقيقته يكرس وعياً جمعياً دقيقاً ما بين عالمين: عالم الإسبان، وعالم المابوتشي، وهو الوعي الذي يكشف

عن خلفيتين ذهنيتين خاصتين. ففي إحدى المعارك التي التقى فيها الطرفان، وأدت إلى هرب الهنود، يؤكد من كان حاضراً من الإسبان أن معجزة ما أدت إلى انتصارهم "فقد ظهر شكل ملائكي، متلألئ كالبرق، وانحدر فوق الميدان، مضيئاً النهار، بنور خارق"[58]. وهو الملاك الذي تشكل حسب هؤلاء على هيئة الحَوَارِيِّ سنتياغو، ممتطياً فرسه الأبيض، آمراً المتوحشين بالاستسلام للمسيحيين، ومنهم من رأى صورة السيّدة عذراء الرحمة، ترتدي الذهب والفضة وتطفو في الأعالي. أما من كان حاضراً من الهنود فيعترف بأنه رأى "لهباً رسم قوساً كبيراً في القبة السماوية، وانفجر بدوي هائل، مخلفاً في الجو ذيلاً من نجوم"[59].

تضعنا الكاتبة – بأسلوبها الذكي – أمام روايتين، وتقدم رواية أخرى قدّمها العلم تفسر ما تمّت مشاهدته "أنه نيزك سماوي، أي شيء يشبه صخرة هائلة انفصلت عن الشمس، وهوت إلى الأرض"[60]. ولا يخفى علينا أن ما وصفه الهنود يتطابق والرواية العلمية التي قدّمتها الكاتبة، متظاهرة بأنها لا تدري "إن كانت معجزة أو نيزكاً"[61] الأمر الذي يبعد الكاتبة عن الوقوع في مأزق الراوي العليم بكل شيء، أو الراوي غير الموضوعي المنحاز. وأهم من ذلك كله، أن هذا الحدث يعكس إلى حد كبير النهج الذي اختطته الكاتبة في عملها كله، إذ تدّعي الحياد، وتقدّم رؤيتين متعاكستين، في وقت تحتفظ فيه بقدرتها على بث رؤية تتماشى وخطها هي، أو فلنقل خط كتابة ما بعد استعمارية، حاولت استعادة صوت المهمش، وهو الصوت الذي عبّر عنه لاوتارو، الذي تمكن من خلال أعماله البطولية من تحقيق الهوية الجنسية لبشر عمد المستعمر إلى تشويههم وحرمانهم من حقوقهم، فتكون بذلك قد أبدلت الصورة الاستعارية على شكل بنية تراتبية (مستعمِر/ مستعمَر) إلى بنية تجاورية إلى حد بعيد، فالصراع الذي دار بين ذلك المزدوج (مستعمِر، مستعمَر) انتهى بانتصار المهمش (لاوتارو) على المستبد (بيدرو)، وتكون قد أتاحت للمقاوم فرصة استعادة صوت أهل البلاد الأصليين، إذ أصبح بإمكانهم أن يتكلموا، وهو (أي هذا الانتصار) عبّرت عنه الكاتبة بإشارات مباشرة ورمزية أثناء تصويرها نهاية بيدرو بالدبيبا.

"كان قد تحوّل إلى خرقة يغطيها الوحل والدم، أمر لاوتارو بأن يقدموا له ماء، كي يستيقظ من غيبوبته، ثم قيدوه إلى عمود، وكرمز ساخر كسر السيف الطليطلي

الذي كان رفيق بيدرو، وغرس نصفيه في الأرض عند قدمي الأسير.. بصق لاوتارو في وجهه، فقد انتظر هذه اللحظة طيلة اثنتين وعشرين سنة.. وحين رأى لاوتارو أن بالديبيا آخذ بالموت، سكب ذهباً مصهوراً في فمه كي يتخم بالمعدن الذي طالما أحبه، والذي سبب الكثير من الآلام للهنود في المناجم"[62].

قد يبدو الأمر قاسياً لكن الكاتبة تذكرنا بضرورة أن تبقى الذاكرة مشتعلة، فبالديبيا هو "التجسيد الحي لكل الإساءات والقسوة التي نزلت بشعب المابوتشي، يتوجب عليهم عدم نسيان آلاف الموتى والرجال الذين أحرقوا، والنساء اللواتي اغتصبن والأطفال الذين مزقوا، ومئات الأيدي المبتورة التي ألقيت في النهر والأقدام والأنوف المقطوعة والسياط والسلاسل"[63].

ويبقى السبيل أمام الكاتبة مفتوحاً لروايات أخرى عن موت بالديبيا؛ إذ يقال "إن المابوتشي التهموا جسده في طقس مرتجل، وأنهم صنعوا نايات من عظامه"[64]. وكتب الشاعر "أنه قتل بضربة هراوة على رأسه"[65].

إلا أن الكاتبة – عَبرُ إنيس – تأخذ بالرواية الأولى التي يؤكدها حلم بدا لها فيه أنها ترى في بيتها السلاسل الممتلئة بالأيدي المبتورة والأنُوف المجدوعة، وترى في فناء البيت الهنود المكبلين بالسلاسل، وأولئك الذين وضعوا على الخازوق. وبدا لها كم كلفت هذه الفتوح من آلام هائلة.

ويبقى أنّه "لا يمكن لأحد أن يتسامح مع كل تلك القسوة، وخاصة هنود المابوتشي، الذين لا ينسون الإساءة أبداً، مثلما هم لا ينسون ما يتلقونه من جميل"[66].

هذا لم يمنع إنيس التي أحبت بيدرو من أن ترافقه بروحها عن بعد، تبكيه وتبكي كل ضحايا هذه السنوات، ولم يمنعها في نوبات هذيانها أن تسمع بوضوح صرخاته وصوته يودعها لآخر مرة: "وداعاً يا إنيس، يا حبيبة روحي"[67].

متابعة للمنظور الذي ربطنا فيه بين النسوية ونظرية ما بعد الاستعمار، وهو المنظور الذي رأينا فيه انتصاراً للنزعة الإنسانية، ومناهضة لكل ما يشوه وجوه التاريخ من سياسات لا أخلاقية، كان لا بدّ من الوقوف في هذا العمل على عدة مواطن تلامس حرصاً شديداً على معارضة أشكال الاستبداد والسيطرة والظلم التي تقع على المرأة، أو

حتى أي طرف ضعيف لا حول له ولا قوة.

شاءت هذه الرواية –عموماً– أن تخرج بطلتها إنيس عن الدور المقولب الموضوع للمرأة، في عالم لو ترك فيه الأمر لسكانه لجعلها مقيدة، تفعل ما تفعله النساء عموماً من أمور روتينية معروفة، وهو العالم الذي أعطاها شعوراً بالغضب من نفسها لأنها ولدت امرأة وأرادها أن تظل عازبة وهي في إسبانيا، كي ترعى جدها تكفيراً عن ولادتها، بدل الحفيد الذكر الذي كان يرغب فيه. وفي محاولاتها مرافقة الرجال إلى مواقعهم، جابهت إنيس الكثير من التحديات بسبب انتمائها إلى الجنس الأنثوي، فنقع على مواقف متعددة في هذا السياق منها: "إن البحارة يعتقدون أن وجود النساء يجلب العواصف ونكبات أخرى"[68]؛ "المجتمع يبتهج لرؤية إذلال النساء القويات، لا يغفرون لهن التفوق والفوز"[69]؛ "وإذا كانت قوة الطبع فضيلة محمودة في الذكور، فإنها تعتبر نقيصة بين النساء، فالنساء القويات يعرضن للخطر توازن العالم الذي يفضل الرجال، لهذا يسعون إلى مضايقتهن وتدميرهن، لكنهن مثل الصراصير، إذا ما سحقوا واحداً منها تخرج أخريات من الأركان"[70]؛ "والمرأة لا تستطيع التفكير في الأمور العظيمة، ولا تتصور المستقبل، وتفتقر إلى حس التاريخ، ولا يهمها سوى الشأن المنزليّ والمباشر، رغم مهمات الفتح والتأسيس التي قامت بها"[71].

والرجال لا يحذرون الحديث أمام النساء تماماً مثل عدم حذرهم من الكلام أمام الخيول والكلاب، والكاهن يوضح لإنيس أنه في حال عدم وجود أسقف، بإمكان أي مسيحي أن يقوم بالتعميد عند الضرورة، لكنه لم يكن متأكداً مما إذا كان بإمكان المرأة المسيحية عمل ذلك.

تنتصر الرواية للمرأة، إذ تجعل لإنيس ذلك الدور المهول في رحلة يعجز عنها كثير من الرجال، كما تنتصر لكثير من المظلومين الذين تفاهمت معهم إنيس دون صعوبات، منهم الخدم الذين أظهروا لها الوفاء على الدوام، إذ كانت – وهي ذات الأصول البائسة – تبقي عينيها مفتوحتين كي لا تقترف الإساءات بحقهم.

من هؤلاء المظلومين الذين تكبدوا المشاق في تشيلي، وتجاهلهم المؤرخون والإخباريون، فئة كان يطلق عليها اسم (الياناكونا)، وتصفهم إنيس بأنهم كانوا "يقاتلون

دون خيول أو دروع، وقد اعتاد مدونو الأخبار تجاهل ذكرهم، مع أنه ما كان يمكن لفتح العالم الجديد أن يتحقق دون تلك الجمهرة الصامتة من الهنود الأصدقاء، الذين كانوا يتبعون الإسبان في مهماتهم وحروبهم"[72].

وهم، أي هؤلاء الياناكونا، حين يقتل منهم بالجملة، لا أحد يكترث بإحصائهم، وكأنهم حثالة لا قيمة لها، بينما يحصى كل من قتل إن كان إسبانيا، كذلك حال المرأة التي تختطف ويعتدى عليها، فإن الأمر يؤخذ بالحسبان إن كانت إسبانية، أما إن لم تكن كذلك، فإن أحداً لا يكترث.

إذا كان التاريخ لا يقيم وزناً لمشقات تكبدها المهمشون (خدم، محاربون، نساء..) ويطوي جهود مئات ممن شارك في أمور جسام، فإن المتاح عبر الأدب هو إعادة قراءة التاريخ من منظور معاكس، ينصف قطاعات إنسانية، طالما استغلت ولفظت بانتهاء صلاحيتها. ولعل رواية إيزابيل إللينديي التي تمثلناها تدخل في هذا السياق من بابه العريض، بل إنها تصلح مثالا لذلك التوازي الواضح بين الاستراتيجيات النسوية المعاصرة ونظرية مابعد الاستعمار، فكلاهما يتبنى خطابا حريصا على استعادة المهمش مكانته المفروضة، وكلاهما يسعى إلى قلب أبنية الهيمنة، بل الشك في الفرضيات الأساسية للفكر المهيمن، ومواجهة التقاليد الذكورية المجحفة.

ما فتئت الكاتبة في روايتها تحرض القارىء على مساءلة الفرضيات التي نهضت عليها تصورات القمع، بما يترتب على هذه المساءلة من وجوب فضح طرق المهيمن في فرض إملاءاته على الطرف الأضعف، الأمر الذي أمكن مجابهته بوسائل متعددة، كان أبرزها حضور (فيليب) التابع الصامت باسمه الحقيقي(لاوتارو). وهنا تتحقق مقولة هومي بابا حين رأى "إن القراءة الصحيحة لأغراض النص الاستعماري يمكنها أن تستعيد صوت أهل البلاد الأصليين، فالشعب التابع يمكنه أن يتكلم، ويمكنه استعادة صوت أهل البلاد الأصليين، فالتابع في الحقيقة يمكنه أن يتكلم"[73].

من هنا يمكن اعتبار هذه الرواية ومثيلاتها عاملا من عوامل صوغ الهويات الثقافية للأمم، لما لها من قدرة على تشكيل التصورات العامة عن الشعوب والحقب التاريخية والتحولات الثقافية للمجتمعات، بما يترتب على هذا الأمر من إسهام في تمثيل

التصورات الكبرى عن الذات والآخر[74]، وذلك عبر أدوات وآليات تمكننا من رؤية الواقع والكشف عن مكنونات الثقافة الاستعمارية التي حرصت عبر مؤسساتها الثقافية على وضع الرواية في إطار من الضغوطات المعلنة أو المضمرة، بهدف إضفاء الشرعية على الوجود الاستعماري في المستعمرات.

هوامش البحث:

1. إلليندي، إيزابيل: **إنيس، حبيبة روحي**، ترجمة، صالح علماني، المدى، ط1، 2007.

2. يمكن في هذا السياق استحضار تودوروف حين ميز في الحكي بين زمن الكتابة وزمن القراءة وزمن القصة المحكية. ويمكن النظر في مؤلف: يقطين، سعيد: **انفتاح النص الروائي**، المركز الثقافي العربي، ط2، 2001، ص42.

3. الأمر الذي يناقشه سعيد يقطين في حديثه عن التواصلية، وهي واحدة من وظائف النص التي اعتمدها هاليداي الذي يقوم بتحليل النص من بعد التفاعل الاجتماعي. وانظر في ذلك: يقطين، سعيد: **انفتاح النص الروائي**، ص17-18.

4. يقطين، سعيد: **انفتاح النص الروائي**، ص121.

5. في كتابه شعرية ديستويفسكي: لا نسمع الأصوات المتباينة في روايات تولستوي، إلا وهي خاضعة خضوعا صارما لهدف المؤلف المتحكم على نحو لانواجه فيه سوى حقيقة واحدة فحسب وهي الحقيقة التي يراها المؤلف، مقابل نمط صورة ديستويفسكي الذي عبرت شخصياته المختلفة عن وجهات نظرها، بحيث لم يمتزج وعي هذه الشخصيات بوعي المؤلف، بل بقيت محتفظة باستقلالها. انظر: باختين، ميخائيل: **شعرية ديستويفسكي**، ترجمة، جميل التكريتي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986.

6. **الرواية**، ص26.

7. **الرواية**، ص40.

8. **الرواية**، ص183.

9. انظر: سعيد، إدوارد: **تأملات حول المنفى**، ترجمة ثائر أديب، دار الآداب، ط1، بيروت، 2004. وانظر: أشكروفت وآخرين: **الإمبراطورية ترد بالكتابة**، ص17.

10. **الرواية**، ص43.

11. أشكروفت، بيل وآخرون: **الإمبراطورية ترد بالكتابة**، ص20. هومي بابا:كاتب هندي مهاجر يعيش في الولايات المتحدة. أستاذ الأدب الإنجليزي والفن في جامعة شيكاغو. يعد واحدا من أبرز عشرين مفكرا

في حقبتنا الراهنة، وقد كرس جهوده الأخيرة لاستكشاف الموقع الثقافي البيني، مدافعا عن موقع نظري يفلت من أسر ثنائيات: الشرق والغرب، الذات والآخر، السيد والعبد..الخ، ويكشف عن فضاء جديد لا تكون فيه الهويات منسوبة إلى سمات ثقافية متعينة مسبقا.

12. **الرواية**، ص260.

13. أشكروفت، بيل وآخرون: **الإمبراطورية ترد بالكتابة**، ص164. أشيبي: (1930-) ولد في شرق نيجيريا، تخرج من جامعة أبادان، عمل في هيئة الإذاعة النيجيرية، اشترك في تاليف عدد كبير من الكتب، منها خمس روايات. وهو المحرر المؤسس لسلسلة هانيمان للأدب الإفريقي الحديث. حاز أرفع جائزة في الأدب الإنجليزي للناطقين بالإنجليزية(مان بوكر) تقديرا لأعماله الأدبية التي كتبها عن موطنه في نيجيريا. تعد روايته "الأشياء تتداعى" إحدى أعظم روايات القرن العشرين، وفيها يعرض الأثر السلبي والمدمر للثقافة الغربية المسيحية على ثقافة وحياة الإيبو(المجموعة القبلية التي ينحدر منها).

14. انظر: أشكروفت، بيل: **الإمبراطورية ترد بالكتابة**، صفحات 76، 115.

15. **الرواية**، ص98.

16. **الرواية**، ص6، 99.

17. المكان على كل حال أمر بالغ الأهمية في هذا المدخل (الشعور بالهوية)، ويمكن لنا القول إن كتاب ما بعد الاستعمار يعلون من شأن المكان على الزمان، باعتباره المفهوم التنظيمي الأهم في إدراك الواقع الاستعماري.

18. وانظر في ذلك أيضاً،أشكروفت،بيل، **الإمبراطورية ترد بالكتابة**، ص63.

19. **الرواية**، ص195.

20. **الرواية**، ص73، 132.

21. **الرواية**، ص168.

22. **الرواية**، ص286، 234.

23. **الرواية**، ص46.

24. إبراهيم، عبد الله: **السردية العربية الحديثة: تفكيك الخطاب الاستعماري**، ص71. لا بد هنا

من الإشارة إلى أن هذا النمط من إعادة القراءة جاء من إعجاب إدوارد سعيد بعازف البيانو الكندي غلين غاولد، الذي ضرب مثلا للعرض الطباقي في قدرته على تطوير موضوع موسيقي معين على نحو معقد. وانظر: أشكروفت، بيل، أهلواليا، بال: **إدوارد سعيد، مفارقة الهوية**، ص129.

25. **الرواية**، ص46.

26. **الرواية**، ص46.

27. **الرواية**، ص47.

28. **الرواية**، ص55.

29. **الرواية**، ص209.

30. **الرواية**، ص209.

31. **الرواية**، ص73.

32. **الرواية**، ص73-74.

33. انظر في هذا الموضوع حرب، علي: **هكذا أقرأ ما بعد التفكيك**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص31-32.

34. الرواية، ص248.

35. حرب، علي: **هكذا أقرأ ما بعد التفكيك**، ص32.

36. سيزار، إيمي: **خطاب الاستعمار**، ترجمة مروان الجابري وياسر هواري، دار الشرق الجديد، 1954، ص30. ويعد إيمي سيزار مفكر الالة الزنجية والتحرر الإفريقي، أقام للعالم الثالث الزنجي نظرية سياسية لبث الوعي في نفوس الزنج، وبناء أرضية حضارية ينبت عليها تاريخ القارة السمراء.

37. **الرواية**، ص242.

38. **الرواية**، ص234.

39. **الرواية**، ص133.

40. **الرواية**، ص133.

41. **الرواية**، ص340.

42. **الرواية**، ص134.

43. Fanon, Franz, **The Writched of the Earth**, translated by Constsnce Farrhngton, Penguin, London, pp: 27-28.

44. وانظر: أشكروفت وآخرين: **الإمبراطورية ترد بالكتابة**، ص10-11.

45. **الرواية**، ص346.

46. **الرواية**، ص346.

47. الميتانص، وهي واحدة من المتفاعلات النصية التي تمكن القارئ حسب (سعيد يقطين) من استخلاص دلالات النص والآراء التي يعتقدها الكاتب، وذلك من خلال ربط مواقع نصية في العمل بمواقع نصية أخرى.

48. وانظر **انفتاح النص الروائي**، مرجع سابق، ص120-121.

49. **الرواية**، ص69.

50. **الرواية**، ص69.

51. **الرواية**، ص215.

52. **الرواية**، ص216.

53. شعبان، بثينة: **مائة عام من الكتابة النسوية العربية**، دار الآداب، ط1، 1999، ص113.

54. **الرواية**، ص72.

55. **الرواية**، ص313.

56. **الرواية**، ص169.

57. **الرواية**، ص291.

58. الرواية، ص200-201.

59. الرواية، ص294.

60. الرواية، ص310.

61. الرواية، ص305.

62. الرواية، ص312.

63. الرواية، ص312-313.

64. الرواية، ص312-313.

65. الرواية، ص313.

66. الرواية، ص349.

67. الرواية، ص348.

68. الرواية، ص349.

69. الرواية، ص350.

70. الرواية، ص350.

71. الرواية، ص131.

72. الرواية، ص50.

73. الرواية، ص295.

74. الرواية، ص295.

75. الرواية، ص214.

76. الرواية، ص134.

77. Eaglton, Mary, **Introduction to Feminist Literary Criticism**, Ed. London and NewYork: Longman. p219.

78. انظر، أشكروفت، بيل؛ وبال، أهلواليا: **إدوارد سعيد، مفارقة الهوية**، ترجمة، سهيل نجم، دار الكتاب العربي، 2002، ص126.

أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية

على ربحية المصارف التجارية الأردنية

الدكتور صباح حميد الآغا
أستاذ مشارك
جامعة الشرق الأوسط

الدكتور باسم يوسف برقاوي
أستاذ مساعد
جامعة الشرق الأوسط

الأستاذ الدكتور رافي رعد عبدويان

الملخص باللغة العربيّة:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على ربحية المصارف التجارية الأردنية.

ولتحقيق أهداف الدراسة اعتمد الباحثون على استبانة شملت (19) فقرة وذلك لجمع المعلومات الأولية من عينة الدراسة [1]. وفي ضوء ذلك جرى جمع وتحليل البيانات واختبار الفرضيات باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS. تكونت عينة الدراسة من (245) فرداً من المديرين العامين، نواب "مساعدي" المديرين العامين، ومديري الإدارات.

(1) هذه الدراسة استلت من رسالة الماجستير الموسومة بـ (أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء المصارف التجارية الأردنية).

وتم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية لتحقيق أهداف الدراسة وبعد إجراء عملية التحليل لبيانات الدراسة وفرضياتها توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أهمها:

وجود أثر ذي دلالة معنوية لفاعلية نظم المعلومات الإدارية مجتمعة ومنفردة على ربحية المصارف التجارية مجتمعة ومنفردة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث أظهرت النتائج أن مستوى ربحية المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً كما أظهرت النتائج أن مدى ملاءمة نظام المعلومات الإدارية للمستويات الإدارية كان مرتفعاً وأن مدى الاستجابة للمتغيرات المستجدة في بيئة المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً أيضا.

The impact of the effectiveness of management information systems On the profitability of the Jordanian Commercial Banks

Dr. Yousef Barqawi
Middle East University
Amman

Dr. Sabah Al-Agha
Middle East University
Amman

Prof. Rafi Abdoian

ABSTRACT:

The study aimed at revealing the Impact of Management Information Systems effectiveness on Jordanian Commercial Banks Performance (Profitability).

In order to achieve the objectives of the study, the researchers depend on questionnaire consisting of (19) paragraphs to gather the primary information from study sample. The Statistical Package for Social Sciences (SPSS) program was used to analyze and examine the hypotheses. The study sample consists of (245) individuals from the General Managers; General Managers assistant; department

managers.

The study used many statistical methods. After executing the analysis to study hypotheses; the study concluded that: There is significant statistical impact of Managerial Information Systems effectiveness on Jordanian Commercial Banks Profitability at level (0.05), and the level of Jordanian Commercial Banks Profitability was high. Also, the extent of managerial information systems convenience to managerial level was high. Further, the extent of response to contemporary variables in Jordanian Commercial Banks environment was high.

المقدمـــة:

لما كان للمعلومات أهمية ودور كبير في بقاء واستمرار المنظمات في ظل البيئة المتغيرة والمعقدة. يتطلب الأمر من المنظمات امتلاك إجراءات فعالة ومنهجية لتحقيق أهدافها البعيدة المدى.

على الرغم من الاهتمام المتزايد بفاعلية نظم المعلومات الإدارية وأثرها الإيجابي على أداء المؤسسات ، إلا أن هناك القليل من الاتفاق على أبعاد معتمدة لقياس فاعلية نظم المعلومات [1]، وأن قياس إلى أي مدى كانت نظم المعلومات فاعلة لفترة محددة أو كم حققت تحسناً عبر الزمن ليس بالأمر السهل، إذ يتطلب جهوداً متكاملة لتحديد إسهام مصادره الملموسة وغير الملموسة في العمليات الكلية للمنظمة. هذا وتتضمن النظرة التقليدية في قياس الفاعلية من خلال الأهداف، حيث أن تحقق الأهداف يعكس فاعلية الأداء [2]. انطلاقاً من ذلك ، فقد سعت الدراسة الحالية إلى معرفة أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية بأبعادها (تحقيق النظام لأهداف المنظمة؛ وملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المنظمة؛ واستجابة النظام للمتغيرات المستجدة؛ وقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات) على أداء المصارف التجارية الأردنية (الربحية).

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

مشكلة الدراسة تكمن في أن العديد من الممارسات العملية والدراسات والأبحاث الأكاديمية ركزت على النواحي الهندسية والتقنية في بناء وتطوير نظم المعلومات دون الاهتمام بأثرها على أداء تلك المنظمات. علما أن لهذه الأمور أهميتها في تعزيز فاعلية هذه النظم وتحقيق الربحية المنشودة، حيث أن وجود مستهدفات أداء محددة وواضحة يعد جوهر النجاح التي تعتمدها إدارة المنظمة لتحقيق أهدافها ، ولذلك جاءت هذه الدراسة لتسد هذه الفجوة المعرفية.

واستناداً لما ذكر آنفاً يمكن إظهار مشكلة الدراسة بصورة أكثر جلاء من خلال إثارة عدد من التساؤلات وكالاتي:

أولاً: ما مدى فاعلية نظم المعلومات الإدارية بمتغيراتها المستخدمة في المصارف التجارية الأردنيّة؟

ثانياً: ما مستوى أداء المصارف التجارية الأردنيّة بمتغيراته (الربحية)؟

ثالثاً: هل هناك أثر لفاعلية نظم المعلومات الإدارية بمتغيراتها على ربحية المصارف التجارية الأردنيّة؟

فرضيات الدراسة:

تنطلق فرضيات الدراسة من محاولة الإجابة عن التساؤلات التي وردت في مشكلة الدراسة ومنسجمة مع الطروحات النظرية له ومفسرة لسلوكيات متغيرات الأنموذج، وعلى النحو الآتي:

الفرضية الرئيسة:

"لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لفاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)". يشتق منها الفرضيات الفرعية الآتية:

1. HO2: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لتحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05).
2. HO2: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05).
3. HO2: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لاستجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05).
4. HO2: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05).

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية: تنبثق أهمية هذه الدراسة من حيوية الموضوع الذي تتناوله وهو فاعلية نظم المعلومات الإدارية وأثرها على أداء المصارف التجارية الأردنية (الربحية). كما تبرز الأهمية النظرية لهذه الدراسة فيما تمثله من إضافة للتراكم المعرفي من خلال تزويد المكتبة العربية بالمعلومات حول فاعلية نظم المعلومات الإدارية ومدى انعكاسه

سلباً أو إيجاباً على أداء المنظمات. ومن المتوقع أن تسهم هذه الدراسة في استنباط دراسات جديدة تلقي الضوء على فاعلية نظم المعلومات الإدارية ودورها الكبير في تحسين أداء المنظمات مما ينعكس على ربحية أفضل لها .

الأهمية العملية: تبرز الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في النتائج التي يؤمل أن تسفر عنها، والتي قد تساهم في الاهتمام بنظم المعلومات الإدارية وفاعليتها وخصوصاً المصارف التجارية الأردنية.

أهداف الدراسة:

إن الهدف الأساسي لهذه الدراسة يتمثل في الكشف عن أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على ربحية المصارف التجارية الأردنية، وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

1. بيان مستوى فاعلية نظم المعلومات الإدارية بمتغيرتها المستخدمة في المصارف التجارية الأردنيّة؟
2. بيان مستوى ربحية المصارف التجارية الأردنيّة بمتغيراته؟

حدود الدراسة:

لكل دراسة سواء عملية أو نظرية حدود مكانية، حدود زمانية وكذلك حدود بشرية، حيث أن الحدود المكانية تتمثل في المصارف التجارية الأردنية. أما الحدود الزمانية فتمثل الفترة الزمنية التي تم تطبيق الدراسة فيها. فيما تتمثل الحدود البشرية بشاغلي المواقع الوظيفية الآتية: (مدير عام ونائب "مساعد"مدير عام ومديري الإدارات) في كل فروع المصارف التجارية الأردنية. بالإضافة إلى تلك المتغيرات التي تتضمنها الدراسة والمقاسة بالطرق الإحصائية الواردة في أسلوب الدراسة.

محددات الدراسة:

1. الوقت المستغرق في جمع البيانات، وذلك بسبب انشغال أفراد عينة الدراسة مما

يتطلب المتابعة للحصول على المعلومات الضرورية لتحقيق أهداف الدراسة.

2. الجهد الكبير المبذول في الحصول على المصادر والمقالات والأبحاث حيث يعود ذلك لقلة المصادر المتعلقة بموضوع الدراسة على حد علم الباحثين وخاصة العربية منها.

3. طبيعة المنظمات محل التطبيق، وبسبب كونها منظمات تلعب دوراً كبيراً في الاقتصاد الأردني.

(1.1)

أنموذج الدراسة

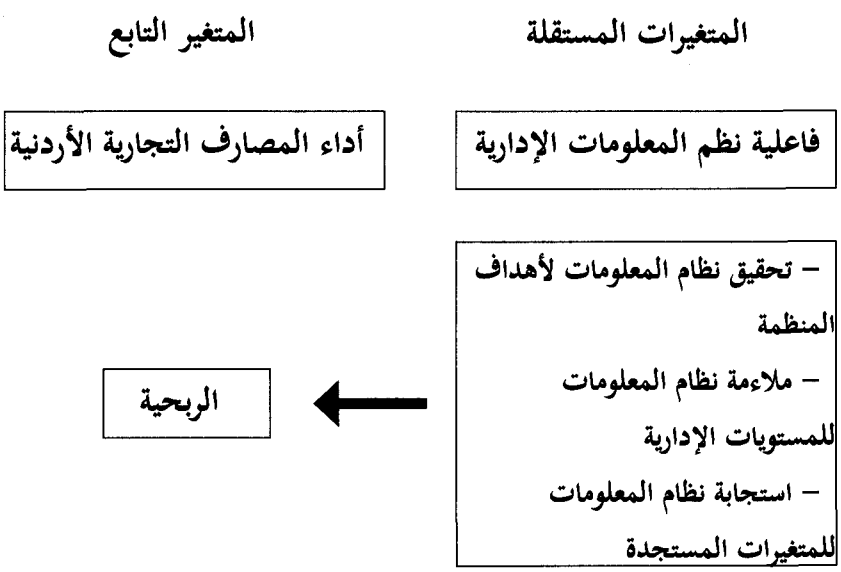

شكل (1.1)
أنموذج الدراسة

التعريفات النظرية لمصطلحات الدراسة:

نظم معلومات إدارية: ذلك النظام المستخدم في إدارة المعلومات التي تحتاجها المنظمة في إدارة نشاطاتها واتخاذ القرارات [3].

فاعلية نظم المعلومات الإدارية: قدرة نظم المعلومات على توليد المخرجات بالخصائص المطلوبة والتي تسهم في ترشيد عمليات اتخاذ القرارات بشكل يحقق رضا المستفيدين من هذه المخرجات [4]. وسيتم قياسها في هذه الدراسة من خلال: تحقيق النظام لأهداف البنك وملاءمة النظام للمستويات الإدارية في البنك والاستجابة للمتغيرات المستجدة، وقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات.

أداء المنظمة: النتائج المتحققة نتيجة تفاعل العوامل الداخلية والتأثيرات الخارجية واستغلالها من قبل المنظمة في تحقيق أهدافها [5]. وسيتم قياسها في هذه الدراسة من خلال ربحية البنك.

الربحيّة: مقدار الربح المتحقق للمنظمة بالمقارنة مع المنظمات الأخرى المنافسة العاملة في نفس القطاع [6].

التعريف النظري لنظم المعلومات الإدارية:

إن مفهوم نظم المعلومات الإدارية من المصطلحات العلمية الشائعة الاستخدام في الوقت الحاضر، وله مدلولات علمية مختلفة، والذي يتضمن مجموعة من الأفراد والمعدات والبرامج وشبكات الاتصالات وموارد البيانات والتي تقوم بتجميع وتشغيل وتخزين وتوزيع المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات والتنسيق والرقابة داخل المنظمة [7].

وإنها المكونات المادية والبرمجيات ووسائل الاتصال عن بعد، وإدارة قواعد البيانات وتقنيات معالجة المعلومات الأخرى المستخدمة في نظم المعلومات المعتمدة على الحاسب [8].

وقد استخدمت نظم المعلومات وتكنولوجيتها في العمل المصرفي منذ أوائل الستينات، وقد غيرت الكثير من أساليب إنتاج وتقديم الخدمات المصرفية، وتعددت استخدامات تكنولوجيا المعلومات في المصارف، حيث استخدمت تقنيات مثل: تبادل البيانات الالكتروني، ومعالجة صور الوثائق، والقيام بالعمل المصرفي عن بعد، وتمييز صورة الحرف، ونظم التحويل الإلكترونية للأموال منذ نقطة الشراء.

وكان ذلك من بداية الثمانينات وحتى الآن، حيث يشهد القطاع المصرفي يوميا تطور الوسائل التكنولوجية نتيجة احتدام المنافسة، ودخول منافسين جدد إلى القطاع المصرفي بغية تعزيز القدرات البيعيّة والتسويقيّة، والتغيير المستمر في هياكل المصارف وإصلاح النظم الإدارية من حيث تسريع عملية صنع القرار ، وإعطاء هذه النظم مرونة أكبر في القيام بواجباتها.

أما [9] فقد عرفه بأنه النظم الرسمية وغير الرسمية التي تمد الإدارة بمعلومات سابقة وحالية وتنبؤه في صورة شفوية أو مكتوبة أو مرئية للعمليات الداخلية للمنظمة ولعناصر البيئة المحيطة بها بهدف دعم الإداريين وعناصر البيئة الأساسية بإتاحة المعلومات الدقيقة والواضحة، وفي إطار الوقت المناسب لمساعدتهم في إنجاز العمل والإدارة واتخاذ القرارات. وأورد [10] نظم المعلومات الإدارية بأنها نوع من أنواع انظمة المعلومات المصممة لتزويد الإدارة بالمعلومات اللازمة للتخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة على نشاطات المنظمة أو لمساعدتهم على اتخاذ القرارات.

وعليه، أصبحت الفوائد التي تعطيها نظم المعلومات للعمليات والأنشطة واضحة في مساعدتها على تحقيق الأهداف المرجوة في البقاء والنمو والربحية [11]، إضافة إلى قدرتها الفائقة في ربط العالم بعضه ببعض بصورة مذهلة، فتحركت رؤوس الأموال بين الدول، وانتقلت شركات من بلدانها الأصلية إلى بلدان أخرى بحثا عن مواد الخام، والعمالة الرخيصة، بل إن المهنيين بدأوا يتنقلون من بلدانهم إلى أي بلد آخر، إذ يمكن أن يوفر لهم فرص عمل أفضل من تلك التي يجدونها في بلدانهم [12].

ويؤكد [13] أن نظم المعلومات الإدارية تلعب في المصارف عدة أدوار استراتيجية، منها تحسين الكفاءة التشغيلية بأقل الكلف الممكنة مع إعطاء أفضل أداء ونوعية ممكنة من خلال ربط عملياتها التشغيلية ضمن شبكة من نظم المعلومات بحيث يزداد تأكيد المعلومات ودقتها بينهم واختصار الوقت وتقليل الكلف وبالتالي تحقيق الكفاءة، وتعم الفوائد على جميع الأطراف. كما أن نظم المعلومات تساعد في بناء قاعدة المعلومات الاستراتيجية والتي تستخدم أساسا في الغرض الرئيسي لنظم المعلومات، إلا أن هذه القاعدة تستخدم في العديد من وظائف المصارف كالتسويق مثلا وعلى مستوى التخطيط الاستراتيجي وإيجاد أساليب أفضل لإبقاء عملائه وموردية معه، وتحقيق نمو أكثر فاعلية في الخدمات المصرفية الالكترونية وتغطية كافة نشاطاته وواجباته اليومية وتوفير أفضل المعلومات الدقيقة والبناءة في دعم عملية صناعة قراراته المالية السليمة.

لذلك أصبح لزاما على هذه المصارف العمل المستمر على تحديث نظمها المصرفية من خلال نصب ونشر الشبكة الإلكترونية وربطها بين الفروع والإدارة المركزية للاستجابة إلى متطلبات عصر قيادة التقنيات الإدارية بما يحقق تسريع وتحسين الخدمة المصرفية المقدمة للزبائن وابتكار خدمات جديدة أكثر كفاءة وفاعلية عبر الاتصالات الإدارية وتوفير البيانات والمعلومات المحدثة عن أنشطة الزبائن ومركزهم المالي لتمكين الإدارة العليا من اتخاذ القرار السريع والسليم.

فاعلية نظم المعلومات الإدارية:

يمثل ميدان الفاعلية المفهوم الأوسع والأشمل لأداء الأعمال والذي يدخل في طياته أسس كل من الأداء المالي والعملياتي.

يحمل [14] على مفهوم الفاعلية وقدرتها كميدان أداء تستطيع المنظمة من خلاله التفوق تنافسياً، ومثل معظم توجهاته يعطي هذا الباحث البعد التنافسي ضمن هيكل الصناعة الأهمية في مناقشته لموضوع الفاعلية، إذ يرى أن الاهتمام بالتحسين للفاعلية مهم لإنجاز الربحية، ولكنه غير كاف، إذ أن المنظمات التي تتنافس على أساس الفاعلية وتبقى متفوقة على منافسيها في ضمن نفس الصناعة هي قليلة جداً.

عرفت الفاعلية بانها فعل الاشياء الصحيحة Doing the right things وهي بذلك تتعلق بصحة القرار وفيها اذا كان مخرجاته مطلوبة أم لا، ولتحقيق الفاعلية المطلوبة يجب ان تتكامل ثلاثة عوامل رئيسية هي الافراد والهيكل والمعلومات [15].

وبالنظر إلى نظم المعلومات نجدها مكلفة الشراء والاستخدام،لذالك ففي عالم الاعمال الذي يسعى لتعظيم الفائدة، يفترض ان تحقق نظم المعلومات قيماً اقتصادية تتجاوز التكاليف التي تدفع عليها، وهذا ما يدفع الباحثون إلى التركيز على فاعلية هذه النظم كاولوية أساسية في عملية البحث بنظم المعلومات. وعرفت فاعلية نظم المعلومات بأنها الدرجة التي تحقق بها المنظمة الأهداف التي وضعت هذه النظم من أجلها [16]. وعرفها كل من [17] بمدى مساهمة نظام المعلومات في تحقيق الأهداف التنظيمية كتأثيره على الأداء التنظيمي وغير ذلك.

ويحدد [18] أن قياس فاعلية تخطيط نظم المعلومات الاستراتيجية يتطلب تحديد الوعي الاستراتيجي، والمتضمن القيام بالتخطيط لعملية تخطيط نظم المعلومات؛ وتحليل الوضع الراهن من خلال تحليل الوضع البيئي الحالي؛ واختيار البدائل الاستراتيجية من خلال تحديد أهداف النظام والفرص المتاحة لتحسين النظام؛ وصياغة الاستراتيجية والمتضمنة تحديد العمليات الداخلية الجديدة، تحديد متطلبات البنية التحتية، وتحديد الأولويات الضرورية للبدء بعملية التنفيذ والتي تتضمن تحديد مدخل التغيير، وخطط العمل والرقابة والتقييم.

لهذا تعطي مكونات نظام المعلومات البيئات الداخلية والخارجية والتنافسية للمنظمة، وتفاعل هذه المكونات بطريقة فاعلة يزيد من قدرة النظام على توفير المعلومات الاستراتيجية التي تكفل للمنظمة تقدما تنافسيا ضمن بيئتها وبشكل يمكنها من تحقيق ميزة تنافسية[19].

الأداء المؤسسي:

يُعد الأداء القاسم المشترك لجميع الجهود المبذولة من قبل الإدارة والعاملين في إطار منظمات الأعمال. فالاتجاهات التقليدية في الإدارة تبحث عن الأداء المتميز من خلال توجهات وتأكيدات على ممارسات تصب باتجاه تعظيم الأداء وكذلك الاتجاهات الأخرى الإدارية [20]. فالتطور الحاصل في الأداء وإدارته جاء على مراحل متعاقبة سواء في العالم الصناعي كمنظمات أعمال أو منظمات دولة، وكذلك في باقي الدول الأخرى [21]. والملاحظ أن هذا التطور انصب في المجال التطبيقي على المؤشرات المالية أولاً وفق اعتبارات تأثرها بالاشتراطات والظروف الاجتماعية والإنسانية[22]. وتوالت بعد ذلك المحاولات وتراكمت المعارف في هذا المجال تؤطرها فكرة تطوير أداء العمل،بحيث ترتبط الأنشطة والعمليات وكذلك المخرجات بالتكاليف الخاصة بها [23].

وعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي تتناول الأداء، إلا أنه لم يتم التوصل إلى إجماع أو اتفاق حول مفهوم محدد للأداء [24]. فتعدد واتساع الأبعاد والمنطلقات البحثية ضمن موضوع الأداء، واستمرار المنظمات بالاهتمام والتركيز على مختلف جوانبه، يبقي الأداء مجالاً خصباً للبحث والدراسة لارتباطه الوثيق بمختلف المتغيرات والعوامل البيئية، سواء أكانت الداخلية أم الخارجية منها، وتشعب وتنوع تلك المتغيرات وتأثيرها المتبادل معه [25]. فالأداء مفهوم واسع، ومحتوياته متجددة بتجدد وتغير وتطور أي من مكونات المنظمة على اختلاف أنواعه، ولا تزال الإدارات العليا في منظمات الأعمال مستمرة في التفكير بموضوع الأداء طالما أن تلك المنظمات موجودة، إضافة إلى أن الانشغال بمناقشة الأداء بوصفه مصطلحاً فنياً، وبمناقشة المستويات التي يحلل عندها والقواعد الأساسية لقياسه ما زال مستمراً.

إن الاختلاف حول مفهوم الاداء ينبع من اختلاف المعايير والمقاييس التي تعتمد

في دراسة الأداء وقياسه والتي يستخدمها المدراء والمنظمات، ويرى البعض [26] أن هذا الاختلاف يعود لتنوع الأهداف والاتجاهات في دراسة الأداء. فأغلب الباحثين يعبرون عن الأداء من خلال النجاح الذي تحققه المنظمة في تحقيق أهدافها، وفي هذا السياق يعبر [27] عن الأداء بكونه انعكاس لقدرة منظمة الأعمال وقابليتها على تحقيق أهدافها، ويتفق مع هذا السياق كل من [28] إذ يعبران عن الأداء بكونه قدرة المنظمة على تحقيق أهدافها طويلة الأمد، ويستند [29] إلى منطلقات النظرة المستندة إلى الموارد في تعريفهم للأداء ويعدان الأداء محصلة قدرة المنظمة في استغلال مواردها وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف المنشودة.

الدراسات السابقة العربية والأجنبية:

(أ) العربية:

- دراسة [30] بعنوان "أثر مستوى تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المصارف التجارية الأردنية على كفاءة الأداء المالي". هدفت إلى بيان أثر مستوى تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المصارف التجارية الأردنية على كفاية الأداء المالي، وقد اعتمد الباحث في دراسته على نسبتي العائد على الاستثمار والعائد على حقوق الملكية لقياس الأداء المالي للمصارف، وقد قام الباحث بجمع البيانات من خلال استبانة خاصة صممت لهذا الغرض وشملت عينة الدراسة جزءا من المصارف التجارية الأردنية وعددها (8) مصارف خلال الفترة من 1990- 2000. وتوصلت الدراسة إلى أن المصارف التجارية في الأردن تتجه إلى التوسع باستخدام تكنولوجيا المعلومات في عملياتها المصرفية المختلفة. وأنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المصارف التجارية الأردنية وبين كفاءة أدائها المالي مقاسة بالعائد على الاستثمار. وهناك علاقة طردية ضعيفة غير دالة إحصائيا بين مستوى تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المصارف التجارية الأردنية وبين كفاءة أدائها المالي مقاسة بالعائد على حقوق الملكية.
- دراسة [31] بعنوان "أثر نظام المعلومات الاستراتيجي في بناء وتطوير المزايا

التنافسية، وتحقيق عوامل التفوق التنافسي: دراسة تطبيقية في المصارف الأردنية المدرجة في سوق عمان المالي". هدفت إلى محاولة تشخيص واقع البيئة التنافسية للمصارف التجارية الأردنية وتحديد أثر نظام المعلومات الاستراتيجي في بناء وتطوير المزايا التنافسية وتحقيق التفوق التنافسي. شملت الدراسة (14) مصرفاً تجارياً، أما العينة فتكونت من (80) مديراً، واستخدم الاستبيان بوصفه أداةً لجمع المعلومات، وخرجت الدراسة بعدد من الاستنتاجات، أهمها:

- إنّ توافر بيانات محدثة عن متغيرات البيئة الداخلية يؤدي إلى إتاحة فرص تمكين المنظمات المصرفية من بناء وتطوير المزايا التنافسية ولا سيما ميزة قيادة الكلفة وميزة الإبداع في تقديم الخدمات المصرفية.

- وجود علاقة طردية بين نظام المعلومات الاستراتيجي وتوافر فرص بناء وتطوير المزايا التنافسية.

- وجود علاقة تأثير معنوية بين مخرجات نظام المعلومات الاستراتيجي وبناء وتطوير المزايا التنافسية.

• دراسة [32] بعنوان " The Impact of management information system on organizations performance: Field study at Jordanian University". هدفت الدراسة إلى تحري أثر نظم المعلومات الإدارية على الأداء المنظمي من وجهة نظر الأكاديميين العاملين في الجامعات الأردنية في كليات الأعمال. تكونت عينة الدراسة من (15) جامعة حكومية وخاصة، وتم توزيع (120) استبانة على عمداء ورؤساء الأقسام في كليات الأعمال. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة ارتباط إيجابية بين نظم المعلومات الإدارية والأداء المنظمي للجامعات. وأن نظم المعلومات الإدارية تؤثر وبشكل إيجابي على أداء الجامعات عينة الدراسة.

(ب) الاجنبية

• دراسة [33] بعنوان "Management information systems and strategic performances: The role of top team composition". هدفت الدراسة إلى تحليل دور الإدارة العليا في العلاقة بين نظم المعلومات الإدارية والأداء الاستراتيجي. تكونت عينة الدراسة من (92) فريق إدارة عليا. أجريت الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية في ولاية كاليفورنيا. وقد توصلت الدراسة إلى إلى وجود أثر لنظم المعلومات الإدارية على الأداء الاستراتيجي.

• دراسة [34] بعنوان "The Impact of Information System Usage on Performance: Based on the Innovation Perspective". هدفت الدراسة إلى تطوير نموذج يرتبط باستخدام نظم المعلومات الإبداعية والأداء المنظمي بعيد وقصير المدى. أجريت الدراسة على المصانع في الصين. وقد توصلت إلى أن استخدام نظم المعلومات يرتبط بعلاقة إيجابية بالأداء المنظمي. بالإضافة إلى وجود علاقة ارتباط إيجابية بين استخدام نظم المعلومات الإدارية والأداء المالي.

• دراسة [35] بعنوان "The Effect of Information Systems on Firm Performance and Profitability Using a Case-Study Approach ". هدفت الدراسة إلى اختبار أثر نظم المعلومات على أداء الشركة والربحية باستخدام مدخل دراسة الحالة. أجريت الدراسة على شركة Beale & Cole البريطانية. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك أثر دال إحصائياً لنظم المعلومات على أداء الشركة وعلى تحقيق ربحية مالية عالية.

• دراسة [36] بعنوان "Performance monitoring and optimization design of Database access layer about management information system". هدفت الدراسة إلى

فحص طبيعة العلاقة بين رقابة الأداء والدور الذي تلعبه نظم المعلومات الإدارية في (25) شركة صناعية في ماليزيا. وقد توصلت الدراسة إلى أن نظم المعلومات الإدارية تلعب دوراً كبيراً في عملية رقابة الأداء سواء على المستوى الفردي أو على المستوى المنظمي. وأن هناك علاقة ارتباط إيجابية بين الاستخدام الفاعل لنظم المعلومات الإدارية وتحقيق مستويات أداء عالية.

• دراسة [37] بعنوان "Interorganizational and organizational determinants of planning effectiveness for Internet-based interorganizational systems". هدفت الدراسة إلى اختبار أثر النظم المشتركة بين المنظمات على فاعلية تخطيط أنظمة المعلومات في المنظمات التايوانية كبيرة الحجم. تكونت عينة الدراسة من 202 مدير يعملون في الشركات التايوانية كبيرة الحجم. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك تأثير ذو دلالة معنوية لـ النظم المشتركة بين المنظمات على فاعلية تخطيط أنظمة المعلومات.

• - دراسة [38] بعنوان "The effectiveness of strategic information systems planning under environmental uncertainty". هدفت الدراسة إلى إختبار أثر مرحلة تخطيط أنظمة المعلومات الاستراتيجية على نجاح التخطيط في ظل بيئة عدم التأكد. تكونت عينة الدراسة من المدراء التنفيذيون في الشركات الشرقية والغربية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد بلغ عدد الأفراد 1200 فرد. وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أبرزها أن هناك علاقة بين تخطيط أنظمة المعلومات الاستراتيجية ونجاح مرحلة التخطيط في ظل عدم التأكد البيئي.

ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة:

أن أهم ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة يمكن تلخيصه، بالآتي:

أن الدراسة الحالية تناولت أبعاد لقياس فاعلية نظم المعلومات الإدارية بالاستناد

على مداخل تحديد فاعلية نظم المعلومات الإدارية، بالإضافة إلى اختلاف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث قطاع التطبيق.

منهجية الدراسة (طبيعة الدراسة ونوعها):

تعتبر هذه الدراسة، وصفية وتحليلية لكونها تبحث في وصف وتحليل أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية بأبعادها (تحقيق النظام لأهداف المنظمة؛ وملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المنظمة؛ واستجابة النظام للمتغيرات المستجدة؛ وقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات) على أداء المصارف التجارية الأردنية (الربحية).

استخدم الباحثون المنهج الوصفي والتحليلي بالاعتماد على المسح الميداني لمجتمع الدراسة ولاختبار الفرضيات التي استندت إليها الدراسة ، بهدف جمع البيانات وتحليلها واختبار الفرضيات. الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً وكمياً.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من المصارف التجارية الأردنية، وكما هو موضح في الجدول (3 . 1)..

جدول (3 . 1) توزيع أفراد العينة حسب البنك

ت	اسم البنك	عدد الاستبانات الموزعة	عدد الاستبانات المسترجعة	عدد الاستبانات الصالحة
1	العربيّ	33	-	-
2	الإتحاد	16	16	16
3	الإسكان	37	37	32
4	الأردن	31	30	29

5	القاهرة عمان	33	32	23
6	الأهلي الأردنيّ	33	30	28
7	الأردني الكويتيّ	33	32	26
8	الاستثمار العربيّ الأردنيّ	16	16	16
9	المؤسسةالعربيّة المصرفيّة	20	20	20
10	التجاري الأردني	24	24	21
11	الاستثمار والتمويل	18	18	18
12	المال	16	16	16
المجموع		310	271	245

وحدة المعاينة والتحليل:

تمثلت وحدة التحليل والمعاينة من (المديرين العامين، نواب "مساعدي" المديرين العامين، ومديري الإدارات) العاملين في المصارف التجارية الأردنية بكل فروعها وقد بلغ عدد مفردات عينة الدراسة (310)، بحسب المعلومات التي توفرت للباحث من الموقع الإلكتروني لجمعية المصارف الأردنية. وتم توزيع استبانه الدراسة على عينة الدراسة والتي تتكون من (310)، حيث تم استعادة (271) استبانه بنسبة استجابة بلغت 87 %، وبعد استبعاد الاستبانات غير الصالحة للتحليل أصبح حجم العينة المستردة والصالحة للتحليل (245) بنسبة 79 % من الحجم الكلي. وكما هو موضح بالجدول (3 . 1).

أدوات الدراسة ومصادر الحصول على المعلومات:

لغرض الحصول على البيانات والمعلومات لتنفيذ مقاصد الدراسة، تم اعتماد الأدوات الآتية:

1. المعلومات المتعلقة بالجانب النظري من الدراسات، والمقالات، والرسائل الجامعية، والكتب العلمية الأجنبية والعربية المتخصصة بموضوع الدراسة.

2. الاستبانة، وهي أداة قياس إدراكية تم الاعتماد في تصميمها على آراء مجموعة من الكتاب والباحثون في مجال موضوع الدراسة للحصول على البيانات الأولية اللازمة لاستكمال الجانب التطبيقي للدراسة، وروعي فيها جعل المستجيب واعياً لهدفها، ومكوناتها، ودقتها، ووضوحها، وتجانسها، ووحدة اتجاه حركة المقياس ونوعه بالشكل والطريقة التي تخدم أهداف وفرضيات الدراسة، وتضمنت أسئلة ذات اختيارات متعددة وقد تضمنت الاستبانة ثلاثة أجزاء، ينظر ملحق (2) هما:

(أولاً) بين القسم الأول متغيرات تتعلق بالخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة ، والمتضمنة مجموعة من المتغيرات، وهي (العمر والجنس والمستوى التعليمي والتخصص حسب الشهادة وعدد سنوات الخدمة في الوظيفة الحالية وعدد سنوات الخدمة في قطاع المصارف والموقع الوظيفي الحالي). من خلال (7) فقرات.

(ثانياً) بين القسم الثاني متغيرات تتعلق بفاعلية نظم المعلومات الإدارية والمتضمن فاعلية نظم المعلومات الإدارية وهي (تحقيق النظام لأهداف البنك، ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في البنك، الاستجابة للمتغيرات المستجدة، قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات). ضم المتغير المستقل. فاعلية نظم المعلومات الإدارية. المقاييس الآتية ، عبر (4) أبعاد رئيسة لقياسها و (12) سؤالاً:

فاعلية نظم المعلومات الإدارية	تحقيق النظام لأهداف البنك	ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في البنك	الاستجابة للمتغيرات المستجدة	قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات
عدد الفقرات	3 فقرات	3 فقرات	3 فقرات	3 فقرات

(ثالثاً) بين القسم الثالث متغيرات تتعلق بأداء المصارف عبر بعد الربحية و (7) سؤالاً.

وفيما تتنوع أساليب القياس، فإن الدراسة الحالية اتبعت أسلوب القياس المستند على مقياس (Likert,1961) الخماسي. وتكون المقياس من (26) فقرة تراوح مدى الاستجابة من (1- 5) وكان المقياس:

أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
5	4	3	2	1

المعالجة الإحصائية المستخدمة:

تختلف أساليب التحليل الإحصائي، من حيث شمولها، وعمقها، وتعقيدها باختلاف الهدف من إجرائها. وبغية الوصول إلى مؤشرات معتمدة، تدعم أهداف الدراسة، وفرضياتها فقد تم فحص البيانات، وتبويبها، وجدولتها ليسهل التعامل معها بواسطة الكمبيوتر، وتم استشارة متخصصين في الجوانب الإحصائية، ومعالجة البيانات لغرض اختبار فرضيات الدراسة، حيث تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لتحليل بيانات الاستبانة والحصول على مخرجات لجميع أسئلة الاستبانة لمعرفة مدى موافقة أفراد عينة الدراسة على أسئلة الاستبانة المختلفة [39]:

- معامل Cronbach Alpha للتأكد من درجة ثبات المقياس المستخدم وصدق أدائه.
- اختبار (Kolmogorov - Smirnov) للتحقق من التوزيع الطبيعي للبيانات.
- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية من أجل الإجابة عن أسئلة الدراسة ومعرفة الأهمية النسبية.
- تحليل الانحدار البسيط والمتعدد مع اختبار F باستخدام جدول تحليل التباين

.ANOVA

• مستوى الأثر، الذي تم تحديده طبقاً للمقياس الآتي:

$$\text{طول الفئة} = \frac{\text{الحد الأعلى للبديل - الحد الأدنى للبديل}}{\text{عدد المستويات}}$$

$$1.33 = \frac{4}{3} = \frac{1-5}{3}$$

وبذلك تكون الدرجة المنخفضة من 1 – أقل من 2.33

والدرجة المتوسطة من 2.33 – 3.66

والدرجة المرتفعة من 3.67 فأكثر.

صدق أداة الدراسة وثباتها:

أ) الصدق الظاهري:

تطلب التحقق من الصدق الظاهري للمقياس الاستعانة بنخبة منتقاة من المحكمين من أعضاء الهيئة التدريسية، مما جعل المقياس أكثر دقة وموضوعية في القياس.

وحرص الباحثون على توضيح الهدف من الاستبانة، مما زاد في الاطمئنان إلى صحة النتائج التي تم التوصل إليها، وقد بلغ عدد المحكمين (6)، وبلغت نسبة الاستجابة الكلية (100 %)، ينظر الملحق (1).

ب) ثبات أداة الدراسة:

من أجل البرهنة على أن الاستبانة تقيس العوامل المراد قياسها، والتثبت من

صدقها، قام الباحثون بإجراء اختبار مدى الاتساق الداخلي لفقرات المقياس، حيث تم تقييم تماسك المقياس بحساب Cronbach Alpha. حيث أن أسلوب كرونباخ ألفا يعتمد على اتساق أداء الفرد من فقرة إلى أخرى، وهو يشير إلى قوة الارتباط والتماسك بين فقرات المقياس، إضافة لذلك فإن معامل Alpha يزود بتقدير جيد للثبات. وللتحقق من ثبات أداة الدراسة بهذه الطريقة، طبقت معادلة Cronbach Alpha على درجات أفراد عينة الثبات. وعلى الرغم من عدم وجود قواعد قياسية بخصوص القيم المناسبة Alpha لكن من الناحية التطبيقية يعد (Alpha ≥ 0.60) معقولا في البحوث المتعلقة بالإدارة والعلوم الإنسانية. انظر الجدول (3 . 3).

الجدول (3 . 3)

معامل ثبات الاتساق الداخلي لأبعاد الاستبانة (كرونباخ ألفا)

	الرقم	البعد	قيمة (α)ألفا
فاعلية نظم المعلومات الادارية	1	تحقيق النظام لأهداف البنك	89.1
	2	ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في البنك	82.8
	3	الاستجابة للمتغيرات المستجدة	86.6
	4	قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات	82.6
أداء المصارف التجارية الأردنية	5	الربحية	88.5
	6	الحصة السوقية	85.9
الاستبانة ككل			89.9

وتدل معاملات الثبات هذه على تمتع الأداة بصورة عامة بمعامل ثبات عالٍ على قدرة الأداة على تحقيق أغراض الدراسة وفقاً لـ [40].

التوزيع التكراري لإجابات عينة الدراسة عن أسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما مدى فاعلية نظم المعلومات الإدارية بمتغيراتها المستخدمة في المصارف التجارية الأردنيّة؟ للإجابة عن هذا السؤال قام الباحثون بتجزئته إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية:

السؤال الفرعي الأول: ما مدى تحقيق النظام لأهداف المصارف التجارية الأردنيّة؟

للإجابة عن هذا السؤال استعان الباحثون بكل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وأهمية الفقرة، كما هو موضح بالجدول (4 . 1).

جدول (4 . 1)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمدى تحقيق النظام لأهداف المصارف

الرقم	تحقيق النظام لأهداف المصارف التجارية الأردنيّة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب أهمية الفقرة	مدى التحقق
1	ينسجم نظام المعلومات الحالي مع متطلبات القرارات المتعلقة بتحقيق أهداف البنك بشكل عام	4.06	0.65	3	مرتفع
2	هناك تكامل وتنسيق متبادل بين الأقسام المختلفة في البنك باستخدام المعلومات الخاصة بالخطط الموضوعة وذلك انسجاماً مع وحدة وثبات الأهداف المراد تحقيقها	4.40	0.67	1	مرتفع
3	يساعد نظام المعلومات المستخدم على سرعة تطوير الخدمات وتنوعها لحاجات ورغبات العملاء	4.18	0.66	2	مرتفع
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		4.21	0.42		

يشير الجدول (4 . 1) بشكل عام إلى أن مستوى تحقيق نظام المعلومات الإدارية لأهداف المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً.

السؤال الفرعي الثاني: ما مدى ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف التجارية الأردنيّة؟

للتحقق من مدى ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف التجارية الأردنيّة استعان الباحثون بكل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وأهمية الفقرة، كما هو موضح بالجدول (4 . 2).

جدول (4 . 2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمدى ملاءمة النظام للمستويات الإدارية المصارف

الرقم	ملاءمة النظام للمستويات الإدارية للمصارف التجارية الأردنية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب أهمية الفقرة	مدى الملاءمة
4	تتسم المعلومات التي يوفرها نظام المعلومات الحالي بدرجة عالية من التفصيل الذي يحتاجه متخذ القرار في المستويات الإدارية الدنيا	4.38	0.49	1	مرتفع
5	يوفر نظام المعلومات المستخدم معلومات ذات أهمية ومفيدة للمستويات الإدارية العليا عند الحاجة	4.24	0.66	2	مرتفع
6	المعلومات التي يوفرها نظام المعلومات الحالي في البنك تلبي حاجات متخذو القرار في جميع المستويات الإدارية	4.14	0.70	3	مرتفع
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		4.25	0.44		

يظهر الجدول (4 . 2) بشكل عام أن مدى ملاءمة نظام المعلومات الإدارية للمستويات الإدارية للمستويات الإدارية للمصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً.

السؤال الفرعي الثالث: ما مدى الاستجابة للمتغيرات المستجدة في المصارف التجارية الأردنيّة ؟

بيان مدى الاستجابة للمتغيرات المستجدة في المصارف التجارية الأردنيّة استعان الباحثون بكل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وأهمية الفقرة، كما هو موضح بالجدول (4 . 3).

جدول (4 . 3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

لمدى الاستجابة للمتغيرات المستجدة للمصارف

الرقم	الاستجابة للمتغيرات المستجدة في المصارف التجارية الأردنيّة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب أهمية الفقرة	مدى الاستجابة
7	يمتاز نظام المعلومات المستخدم بقدرة على توفير المعلومات على الرغم من تزايد حجم العمليات المصرفية	4.09	0.67	2	مرتفع
8	تبقى المعلومات تتمتع بالدقة والموثوقية المطلوبة على الرغم من تزايد حجم العمليات المصرفية	4.03	0.73	3	مرتفع
9	يستخدم البنك أجهزة وبرمجيات متطورة توفر السرعة في الدخول والحصول على المعلومات ويعمل على تحديثها باستمرار	4.14	0.79	1	مرتفع
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		4.09	0.63		

يوضح الجدول (4 . 3) بشكل عام أن مدى الاستجابة للمتغيرات المستجدة في بيئة المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً.

السؤال الفرعي الرابع: ما مدى قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف التجارية الأردنيّة ؟

للتحقق من مدى قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف التجارية الأردنية استعان الباحثون بكل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وأهمية الفقرة، كما هو موضح بالجدول (4 . 4).

جدول (4 . 4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياريّة

لمدى قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات للمصارف

الرقم	قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف التجارية الأردنية.	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب أهمية الفقرة	مدى القدرة
10	تتوفر الحماية الكافيه والبرمجيات اللازمة لحماية الأجهزة والبرامج التي تخص نظام المعلومات المستخدم في البنك من التلف أو التخريب	4.13	0.78	2	مرتفع
11	تتخذ العقوبات الرادعة بحق من يسرب أو يصل إلى معلومات غير مخول له الوصول إليها بطرق غير مشروعة	4.01	0.72	3	مرتفع
12	يمتاز نظام المعلومات المستخدم في البنك بكفاءة عالية في تخزين وتصنيف واسترجاع وتحديث البيانات والمعلومات التي أحتاجها بعملي	4.18	0.71	1	مرتفع
	المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام	4.11	0.63		

يظهر الجدول (4 . 4) بشكل عام أن قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف التجارية الأردنية كان مرتفعاً.

السؤال الثاني: ما مستوى ربحية المصارف التجارية الأردنيّة ؟

للإجابة عن هذا السؤال استعان الباحثون بكل من المتوسطات الحسابية

والانحرافات المعيارية، وأهمية الفقرة، كما هو موضح بالجدول (4 . 5).

جدول (4 . 5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لربحية المصارف التجارية الأردنيّة

الرقم	ربحية المصارف التجارية الأردنيّة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب أهمية الفقرة	مستوى الربحية
13	تساهم نظم المعلومات الإدارية بتحسين الخدمات من خلال تقديم خدمات جديدة مبتكرة للعملاء مما يؤدي إلى زيادة عدد عملاء البنك	4.20	0.73	2	مرتفع
14	تمكن نظم المعلومات الإدارية من تخفيض نسبة دفع التعويضات للعملاء عن الأخطاء التي تقع معهم	4.15	0.76	4	مرتفع
15	تساهم نظم المعلومات الإدارية بتحسين التحصيل الكفء للمستحقات المالية من العملاء	4.09	0.72	5	مرتفع
16	تساهم نظم المعلومات الإدارية بالاستجابة السريعة لعملائها مقارنة بما يقدمه المنافسون من استجابات سريعة	4.07	0.71	7	مرتفع
17	تمكن نظم المعلومات الإدارية من تخفيض الكلف من خلال إيجاد قنوات توزيع ذات كفاءة عالية يقلل من المصاريف العالية للتوزيع	4.19	0.77	3	مرتفع
18	تمكن نظم المعلومات الإدارية من تخفيض الكلفة من خلال المحافظة على العملاء المربحين	4.09	0.72	5	مرتفع
19	تمكن نظم المعلومات الإدارية من خفض معدل تكلفة الخدمة المقدمة للعملاء	4.23	0.79	1	مرتفع
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام		4.15	0.61		

يشير الجدول (4 . 5) بشكل عام يتبين أن مستوى ربحية المصارف التجارية

الأردنيّة كان مرتفعاً.

اختيار فرضيات الدراسة

عمل الباحثون في هذا الجانب على اختبار فرضيات الدراسة الرئيسة والفرعية، حيث تركزت مهمة هذه الفقرة على اختبار مدى قبول أو رفض فرضيات الدراسة من خلال استخدام اختبار الانحدار البسيط والمتعدد، وذلك كما يلي:

الفرضية الرئيسة:

لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لفاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05) ؟

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار المتعدد للتحقق من الأثر المحتمل لفاعلية نظم المعلومات الإدارية بمتغيراتها على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)، وكما هو موضح في الجدول (4 . 8).

جدول (4 . 8)

نتائج اختبار تحليل الانحدار المتعدد لأثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية

البيان	(R) الارتباط	(R^2) معامل التحديد	F المحسوبة	F الجدولية	β معامل الانحدار	DF درجات الحرية	*Sig مستوى الدلالة
أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية	0.759	0.576	330.009	3.84	0.646	1 243 244	0.000

* يكون التأثير ذا دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)

يوضح الجدول (4 . 8) أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود أثر ذي دلالة إحصائية لفاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية، إذ بلغ معامل الارتباط (R 0.759) عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$). أما معامل التحديد R^2 فقد بلغ (0.576)، أي أن ما قيمته (0.576) من التغيرات في أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية ناتج عن التغير في فاعلية نظم المعلومات الإدارية، كما بلغت قيمة درجة التأثير (0.646 β)، وهذا يعني أن الزيادة بدرجة واحدة في الاهتمام بفاعلية نظم المعلومات الإدارية يؤدي إلى زيادة في مستوى أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية بقيمة (0.646). ويؤكد معنوية هذا الأثر قيمة F المحسوبة والتي بلغت (330.009) وهي دالة عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة F الجدولية البالغة (3.84). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الرئيسة الأولى، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود أثر ذي دلالة معنوية لفاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)

وللتحقق من أثر كل عنصر من عناصر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء (ربحية) المصارف التجارية الأردنية، تم تقسيم الفرضية الرئيسة الأولى إلى أربعة فرضيات فرعية، وتم استخدام تحليل الانحدار البسيط لاختبار كل فرضية فرعية على حدة، وكما يلي:

HO_{2-1}: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لتحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (**0.05**).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار، كما هو موضح في الجدول (4 . 9).

جدول (4. 9)

نتائج اختبار أثر تحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية

البيان	(R) الارتباط	(R^2) معامل التحديد	F المحسوبة	F الجدولية	β معامل الانحدار	DF درجات الحرية	*Sig مستوى الدلالة
تحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحيتها	0.661	0.438	189.015	3.84	0.408	1 243 244	0.000

يكون التأثير ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$).

يوضح الجدول (4. 9) أثر تحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود أثر ذي دلالة إحصائية لتحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية، إذ بلغ معامل الارتباط R (0.661) بين عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$). أما معامل التحديد R^2 فقد بلغ (0.438)، أي أن ما قيمته (0.438) من التغيرات في مستوى ربحية المصارف ناتج عن التغير في تحقيق النظام لأهداف المصارف، كما بلغت قيمة درجة التأثير (0.408) β. وهذا يعني أن الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في تحقيق النظام لأهداف المصارف يؤدي إلى زيادة في ربحية هذه المصارف بقيمة (0.408). ويؤكد معنوية هذا الأثر قيمة F المحسوبة والتي بلغت (189.015) وهي دالة عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع قيمة F الجدولية البالغة (3.84). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الفرعية الأولى، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود أثر ذي دلالة معنوية لتحقيق النظام لأهداف المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)

التجارية الأردنية عند

HO_{2-2}: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار، كما هو موضح في الجدول (10 . 4).

جدول (10 . 4)

نتائج اختبار أثر ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية

البيان	(R) الارتباط	(R^2) معامل التحديد	F المحسوبة	F الجدولية	β معامل الانحدار	DF درجات الحرية	*Sig مستوى الدلالة
ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحيتها	**0.629**	**0.396**	**159.474**	3.84	**0.470**	1 243 244	0.000

* يكون التأثير ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$).

يوضح الجدول (10 . 4) أثر ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود أثر ذي دلالة إحصائية لملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية، إذ بلغ معامل الارتباط (R 0.629) بين عند مستوى ($\alpha \leq$ 0.05). أما معامل التحديد R^2 فقد بلغ (0.396)، أي أن ما قيمته (0.396) من التغيرات في مستوى ربحية المصارف ناتج عن التغير في ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف، كما بلغت قيمة درجة التأثير (0.470) β. وهذا يعنى أن الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف يؤدي إلى زيادة في ربحية هذه المصارف بقيمة (0.470). ويؤكد معنوية هذا الأثر قيمة F المحسوبة والتي بلغت (159.474) وهي دالة عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بالمقارنة مع

قيمة F الجدولية البالغة (3.84). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الفرعية الثانية، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود أثر ذي دلالة معنوية لملاءمة النظام للمستويات الإدارية في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)

HO_{2-3}: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لاستجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار، كما هو موضح في الجدول (4 . 11).

جدول (4 . 11)

نتائج اختبار أثر استجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية

البيان	(R) الارتباط	(R^2) معامل التحديد	F المحسوبة	F الجدولية	β معامل الانحدار	DF درجات الحرية	*Sig مستوى الدلالة
استجابة النظام للمستغيرات المستجدة في المصارف على ربحيتها	0.648	0.420	175.636	3.84	0.529	1	0.000
						243	
						244	

* يكون التأثير ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$).

يوضح الجدول (4 . 11) أثر استجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود

أثر ذي دلالة إحصائية لاستجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية، إذ بلغ معامل الارتباط **R** (0.648) بين عند مستوى ($\alpha \leq$ **0.05**). أما معامل التحديد $\mathbf{R}^2$ فقد بلغ (0.420)، أي أن ما قيمته (0.420) من التغيرات في مستوى ربحية المصارف ناتج عن التغير في استجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف، كما بلغت قيمة درجة التأثير β (0.529). وهذا يعنى أن الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في استجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف يؤدي إلى زيادة في ربحية هذه المصارف بقيمة (0.529). ويؤكد معنوية هذا الأثر قيمة **F** المحسوبة والتي بلغت (175.636) وهي دالة عند مستوى ($\alpha \leq$ **0.05**) بالمقارنة مع قيمة **F** الجدولية البالغة (3.84). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الفرعية الثالثة، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود أثر ذي دلالة معنوية لاستجابة النظام للمتغيرات المستجدة في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)

$\mathbf{HO}_{2-4}$: لا يوجد أثر ذو دلالة معنوية لقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (**0.05**).

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار، كما هو موضح في الجدول (12 . 4).

جدول (4 . 12)

نتائج اختبار أثر قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية

البيان	(R) الارتباط	(R2) معامل التحديد	F المحسوبة	F الجدولية	β معامل الانحدار	DF درجات الحرية	*Sig مستوى الدلالة
قدرة النظام على توفير الامن للمعلومات في المصارف على ربحيتها	0.738	0.545	290.990	3.84	0.637	1	0.000
						243	
						244	

* يكون التأثير ذو دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$).

يوضح الجدول (4 . 12) أثر قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية. حيث أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود أثر ذي دلالة إحصائية لقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية، إذ بلغ معامل الارتباط **R** (0.738) بين عند مستوى ($\alpha \leq$ **0.05**). أما معامل التحديد $\mathbf{R}^2$ فقد بلغ (0.545)، أي أن ما قيمته (0.545) من التغيرات في مستوى ربحية المصارف ناتج عن التغير في قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف، كما بلغت قيمة درجة التأثير β (0.637). وهذا يعنى أن الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف يؤدي إلى زيادة في ربحية هذه المصارف بقيمة (0.637). ويؤكد معنوية هذا الأثر قيمة **F** المحسوبة والتي بلغت (290.990) وهي دالة عند مستوى ($\alpha \leq$ **0.05**) بالمقارنة مع قيمة **F** الجدولية البالغة (3.84). وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الفرعية الرابعة، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل

الفرضية البديلة التي تنص على:

وجود أثر ذي دلالة معنوية لقدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف على ربحية المصارف التجارية الأردنية عند مستوى دلالة (0.05)

النتائج:

أثارت الدراسة جملة من التساؤلات وقدمت أيضا فرضيات تعلقت بطبيعة التأثير بين متغيرات الدراسة، وتوصلت إلى عدة نتائج ساهمت في حل مشكلة الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها وفرضياتها، ويحاول الباحثون هنا الإشارة إلى أبرز هذه النتائج:

1. بينت نتائج التحليل أن مستوى تحقيق نظام المعلومات الإدارية لأهداف المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً.
2. وكان مدى ملاءمة نظام المعلومات الإدارية للمستويات الإدارية مرتفعاً.
3. أن مدى الاستجابة للمتغيرات المستجدة في بيئة المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً.
4. أن قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات في المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً.
5. وأظهرت النتائج أن مستوى ربحية المصارف التجارية الأردنيّة كان مرتفعاً

وبشكل عام بينت النتائج وجود أثر ذي دلالة معنوية لفاعلية نظم المعلومات الإدارية مجتمعة ومنفردة على أداء المصارف التجارية وربحيتها عند مستوى دلالة (0.05). وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من (41)؛ و (42)؛ و (43)؛ و (44) والتي بينت أن هناك علاقة ارتباط وتأثير بين نظم المعلومات الإدارية والأداء المنظمي بشقيه المالي والعملياتي.

التوصيات:

وفقاً للنتائج التي تم التوصل إليها من الإطار النظري للدراسة وكذلك النتائج التي تم الحصول عليها من واقع التحليل الإحصائي للبيانات، تم الخروج بالتوصيات الآتية:

- التأكيد على ضرورة تمتع المعلومات بالدقة والموثوقية المطلوبة بالرغم من تزايد حجم العمليات المصرفية.
- تعزيز اتخاذ العقوبات الرادعة بحق من يسرب أو يصل إلى معلومات غير مخول له الوصول إليها بطرق غير مشروعة.
- التأكيد على عمل نظم المعلومات المستخدمة على تحديد الزيادة المطلوبة في التوزيع الجغرافي لمكاتب وفروع البنك لجذب عملاء جدد على حساب المنافسين.
- التأكيد على إنشاء تحالفات مع المصارف الأخرى لزيادة عدد العملاء وذلك من خلال الاعتماد على نظم المعلومات الإدارية.
- إجراء المزيد من الدراسات فيما يتعلق بكفاءة نظم المعلومات الإدارية وعلاقتها بأداء المنظمة في قطاعات أخرى.

الهوامش:

1. Ricciardi, Ettore, (2005), "Balanced Scorecard and its information system: The Performance data warehouse", **17th Annual Meeting on Socio-Economics Central European University and Corvinus University of Budapest**, June 30 – July 2.
2. Gebauer, Judith and Franz, Schober, (2005), "Information System Flexibility and the Performance of Business Processes", **Working Paper**.
3. Wiseman, C., (1988), "**Strategic Information Systems**", Burr Ridge, IL: Richard D. Irwin.

4. الطائي، عبد حسين محمد ؛ الخفاجي، نعمة عباس خضير،(2009)، "**نظم المعلومات الاستراتيجية: منظور الميزة التنافسية**"، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.

5. الغالبي، طاهر محسن منصور ؛ وإدريس، وائل محمد صبحي، (2009)، "**الإدارة الاستراتيجية: منظور منهجي متكامل**"، الطبعة الثانية، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن.

6. المرجع السابق ، ص 478.

7. الهادي، محمد محمد، (2001)، "**نظم المعلومات في المنظمات المعاصرة**"، القاهرة، دار الشروق: 94 – 101.

8. حلمي، يحيى مصطفى، (2005)، " **أساسيات نظم المعلومات**"،القاهرة: مكتبة عين شمس.

9. Mcleod, Raymond JR, Schell, George (2001), "Management Information systems", 8th edition new Jersey, Prentice – Hall, Inc.

10. الحسنية، سليم إبراهيم، (2003)، "**مبادئ نظم المعلومات الإدارية**"، الطبعة الثانية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.

11. Sturat, Barnes, (2002), "**Knowledge Management Systems: theory and practice**", Cengage Learning Business Press: 301

12. عدس، رأفت،(2000)، "**أساسيات الكومبيوتر ونظم المعلومات**"، القاهرة، مكتبة مدبولي.

13. حلمي، يحيى مصطفى، (2005)، مرجع سابق ص 203

14. Porter, M. E, (1996), "What is Strategy?" **Harvard Business Review**, Nov / Dec: 61 - 63.

15. Loudon, K & Loudon, J., (2000), "**Management Information Systems**", 6th ed, Prentice Hall Int, Inc.

16. Munshi, J, (1996), "A Framework for MIS Effectiveness", **A Working Paper, International Conference**: 1-6.

17. Tong, J & Yap, C.S, (1996), "Information System Effectiveness, A Users Satisfaction Approach", **Information Processing and Management**, 32(5): 601- 610.

18. Newkirk, Henry E & Lederer, Albert L, (2006), "The effectiveness of strategic information systems planning under environmental uncertainty", **Information & Management**, 43: 481–501.

19. William, Daniel W., (2002), "Before Performance Measurements", **Administrative Theory & Praxis**, Vol. 24, No. 3.

20. DeWaal, Andre A.,(2001)."**Power of Performance Management: How Leading Companies Create Sustained Value**", John Wiley and Sons, Inc.

21. Friedlob, George T.; F. Schleifer, Lydia L.; and Plewa Jr, Franklin J. (2002),"**Essentials of corporate performance measurement**". John Wiley and Sons, Inc

22. William, Daniel W., (2002), op. cit, p: 22-24.

23. Armstrong, Michael, (2006), "**Performance Management: Key strategies and practical guidelines**". 3rd ed., Kogan Page.

24. Paladino, Bob, (2007), "**Five key principles of corporate performance management**", John Wiley & Sons, Inc.

25. Hale, Judith A.,(2004), "**Performance-based management: what every manger should do to get results**". Pfeiffer.

26. Eccles, Robert. G, (1991), "The Performance Measurement Manifesto", **Harvard Business Review**. Vol.69, No.1: 131.

27. Robins, James & Wiersema, Margarethe F, (1995), "A resource-based approach to the multi business firm: Empirical analysis of portfolio interrelationships and Corporate Financial Performance", **Strategic Management Journal**, Vol.16, No. 4: 278.

28. Miller, kent, & Bramiley, Philip, (1990), "Strategic risk and corporate performance: An analysis of alternative risk measure", **Academy of Management Journal**, Vol. 33, No.4: 757.

29. الجراح، عصام، (2002)، "**أثر مستوى تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المصارف التجارية الأردنية على كفاءة الأداء المالي**"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة، السودان.

30. الزعبي، حسن علي عبد،(1999)، "**أثر نظام المعلومات الاستراتيجي في بناء وتطوير المزايا التنافسية وتحقيق عوامل التفوق التنافسي : دراسة تطبيقية في المصارف الأردنيّة المدرجة في سوق عمان المالي**"، أطروحة دكتوراه في إدارة الأعمال غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد: جمهورية العراق.

31. Bani-Hani, Jehad S; Al-Ahmadm Nazem M. M. and Alnajjar, Fayez J., (2009), "The Impact of management information system on organizations performance: Field study at Jordanian University", **Review of Business Research**, Vol. 9, No.2:127-137.

32. Naranjo-Gil, David, (2009), "Management information systems and strategic performances: The role of top team composition", **International Journal of Information Management**, 29: 104–110.

33. Min, Qin & Fei, Xiao, (2008), "The Impact of Information System Usage on Performance: Based on the Innovation Perspective", **Sch. of Commun., Jiangxi Normal Univ., Nanchang.**

34. Olugbode, M. Elbeltagi, I. Simmons, M. and Biss, T., (2008) "The Effect of Information Systems on Firm Performance and Profitability Using a Case-Study Approach" The Electronic **Journal Information Systems Evaluation,** Volume. 11 Issue. 1: 35 – 40.

35. Wenzhong & Xiaoman, (2007), "Performance monitoring and optimization design of Database access layer about management information system", **Journal of Beijing University of aeronautics and astronautics,** Vol. 33, No. 10, Issu. 176: 1204-1207.

36. Lin, Hsiu-Fen, (2006), "Interorganizational and organizational determinants of planning effectiveness for Internet-based interorganizational systems", **Information & Management**, 43: 423– 433.

37. Newkirk, Henry E & Lederer, Albert L, (2006), op. cit, p: 481–501.

38. النعيمي، محمد عبد العال؛ طعمة، حسن ياسين، (2008)، "**الإحصاء التطبيقي**"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.

39. Sekaran, Uma, (2003), "**Research Methods for Business**", John Wiley & Sons.

40. الجراح، عصام، (2002)، **مرجع سابق** ص247-245.

41. Naranjo-Gil, David, (2009), op. cit, p: 104–110.

42. Olugbode, M. Elbeltagi, I. Simmons, M. and Biss, T., (2008), op. cit, p: 35 – 40.

43. Bani-Hani, Jehad S; Al-Ahmadm Nazem M. M. and Alnajjar, Fayez J., (2009), op. cit, p: 127-137.

قائمة الملاحق

أداة الدراسة

استبانة بحث ميداني

الأستاذ / ة الفاضل / ة ..... تحية طيبة

يهدف الباحثون القيام بدراسة بعنوان "**أثر فاعلية نظم المعلومات الإدارية على أداء المصارف التجارية الأردنية**"، حيث تهدف الدراسة إلى تحديد العلاقات التأثيرية بين متغيرات الدراسة.

ينبغي الإجابة على أسئلة الاستبانة كافة, وأن تجيب بأفضل ما لديك من معلومات. حيث أن تعاونكم واهتمامكم في التلطف بالإجابة على فقرات الاستبانة بدقة وموضوعية, وبالشكل الذي يعكس واقع حال متغيرات الدراسة في المصارف التجارية الأردنية سيعد مهما في نجاح الدراسة .

الجزء الأول

الخصائص الديمغرافية

(1) العمر

أقل من 30 سنة	☐	من 30 – 40 سنة	☐
من 41 – 50 سنة	☐	51 سنة فأكثر	☐

(2) الجنس

ذكر	☐	أنثى	☐
(3) المستوى التعليمي			
بكالوريوس	☐	دبلوم عال	☐
ماجستير	☐	دكتوراه	☐

(4) التخصص العلمي حسب الشهادة

محاسبة	☐	إدارة أعمال	☐
اقتصاد	☐	علوم مالية ومصرفية	☐
حاسوب	☐	أخرى	☐

(5) عدد سنوات الخدمة في الوظيفة الحالية

5 سنوات فأقل	☐	من 6 - 10 سنوات	☐
من 11 - 15 سنة	☐	أكثر من 16 سنة	☐

(6) عدد سنوات الخدمة في قطاع المصارف

5 سنوات فأقل	☐	من 6 - 10 سنوات	☐
من 11 - 15 سنة	☐	أكثر من 16 سنة	☐

(7) الموقع الوظيفي الحالي

مدير عام	☐	نائب "مساعد" مدير عام	☐
مدير إدارة	☐		

الجزء الثاني

فاعلية نظم المعلومات الإدارية

العامل الأول: تحقيق النظام لأهداف البنك

1. ينسجم نظام المعلومات الحالي مع متطلبات القرارات المتعلقة بتحقيق أهداف البنك بشكل عام

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

2. هناك تكامل وتنسيق متبادل بين الأقسام المختلفة في البنك باستخدام المعلومات الخاصة بالخطط الموضوعة وذلك انسجاماً مع وحدة وثبات الأهداف المراد تحقيقها

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

3. يساعد نظام المعلومات المستخدم على سرعة تطوير الخدمات وتنوعها لحاجات ورغبات العملاء

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

العامل الثاني: ملاءمة النظام للمستويات الإدارية في البنك

1. تتسم المعلومات التي يوفرها نظام المعلومات الحالي بدرجة عالية من التفصيل الذي يحتاجه متخذ القرار في المستويات الإدارية الدنيا

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

2. يوفر نظام المعلومات المستخدم معلومات ذات أهمية ومفيدة للمستويات الإدارية العليا عند الحاجة

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

3. المعلومات التي يوفرها نظام المعلومات الحالي في البنك تلبي حاجات متخذو القرار في جميع المستويات الإدارية

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

العامل الثالث: الاستجابة للمتغيرات المستجدة

1. يمتاز نظام المعلومات المستخدم بقدرة على توفير المعلومات على الرغم من تزايد حجم العمليات المصرفية

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

2. تبقى المعلومات تتمتع بالدقة والموثوقية المطلوبة على الرغم من تزايد حجم العمليات المصرفية

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

3. يستخدم البنك أجهزة وبرمجيات متطورة توفر السرعة في الدخول والحصول على المعلومات ويعمل على تحديثها باستمرار

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

العامل الرابع: قدرة النظام على توفير الأمن للمعلومات

1. تتوفر الحماية الكافيه والبرمجيات اللازمة لحماية الأجهزة والبرامج التي تخص نظام المعلومات المستخدم في البنك من التلف أو التخريب

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

2. تتخذ العقوبات الرادعة بحق من يسرب أو يصل إلى معلومات غير مخول له الوصول إليها بطرق غير مشروعة

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

3. يمتاز نظام المعلومات المستخدم في البنك بكفاءة عالية في تخزين وتصنيف واسترجاع وتحديث البيانات والمعلومات التي أحتاجها بعملي

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

الجزء الثالث

أداء المصارف التجارية الأردنية

الربحية

1. تساهم نظم المعلومات الإدارية بتحسين الخدمات من خلال تقديم خدمات جديدة مبتكرة للعملاء مما يؤدي إلى زيادة عدد عملاء البنك

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

2. تمكن نظم المعلومات الإدارية من تخفيض نسبة دفع التعويضات للعملاء عن الاخطاء التي تقع معهم

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

3. تساهم نظم المعلومات الإدارية بتحسين التحصيل الكفء للمستحقات المالية من العملاء

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

4. تساهم نظم المعلومات الإدارية بالاستجابة السريعة لعملائها مقارنة بما يقدمه المنافسون من استجابات سريعة

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

5. تمكن نظم المعلومات الإدارية من تخفيض الكلف من خلال إيجاد قنوات توزيع ذات كفاءة عالية يقلل من المصاريف العالية للتوزيع

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

6. تمكن نظم المعلومات الإدارية من تخفيض الكلفة من خلال المحافظة على العملاء المربحين

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

7. تمكن نظم المعلومات الإدارية من خفض معدل تكلفة الخدمة المقدمة للعملاء

* أوافق بشدة * أوافق * محايد * لا أوافق * لا أوافق بشدة

العلاقةُ بينَ الأداءِ الماليّ والمخاطِرِ النظاميّةِ

دراسة تطبيقية على المصارف التجارية الأردنية ومخاطر أسعار أسهمها النظامية في بورصة عَمّان

د. محمود الرّفاعيّ
كليّة العلوم الإداريّة والمالية
الأردن

د. راشد سلامة
كليّة العلوم الإداريّة والمالية
الأردن

ملخص:

تهدف الدراسة لاختبار العلاقة بين الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان ومخاطر أسهمها النظامية، تم قياس الأداء المالي للمصارف التجارية باستخدام ستة مؤشرات مالية هي: الربحية، والرفع المالي، والسيولة، وكفاية رأس المال، وجودة الأصول، وجودة الإيرادات. وتمّ قياس المخاطر النظامية باستخدام معامل بيتا المقدر من خلال نموذج السوق. وقد جُمعت البيانات لأحد عشر مصرفاً تجارياً أردنياً مدرجاً في بورصة عمان خلال الفترة من كانون ثاني 2000 إلى كانون أول 2006.

لقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية ومخاطر أسعار أسهمها النظامية، وأظهرت النتائج أن المخاطر النظامية لأسعار أسهم المصارف التجارية الأردنية تتأثر بثلاثة مؤشرات مالية هي: مؤشر كفاية رأس المال، وجودة الأصول، وجودة الإيرادات، وتوصّلت الدراسة إلى أن المتغيرات المستقلة المتمثلة في مؤشرات الأداء المالي تفسر ما نسبته 80% من التغيرات التي تحدث في المخاطر النظامية لأسعار أسهم المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان.

Relationship between Financial Performance and Systematic Risk: Case Study on Jordan Commercial Banks Listed in Amman Stock Exchange

Dr. Rashid Salama
College of Administration and Business
Jordan

Dr. Mahmod Al-Rifa'ei
College of Administration and Business
Jordan

Abstract:

The objective of the study is to examine the relationship which might exist between the financial performance and the systematic risks of the commercial banks stock traded at Amman Stock Exchange (ASE). Six performance indicators are used; profitability, leverage, liquidity, capital adequacy, assets quality and revenue quality. Systematic risk measured by Beta for eleven commercial banks listed at ASE over the period: January 2000 to December 2006.

The study indicates that three financial performance measures are having a significant effect on the systematic risks of the commercial banks stocks traded at ASE. Capital adequacy is having a positive effect, while, both asset and revenue qualities are having a negative effect on the systematic risks of the stock prices. The model was able to explain 80% of the systematic risks vitality of the stock prices.

مقدمة:

منذ تطور نظرية سوق رأس المال Capital Market Theory ونموذج تسعير الأصول الرأسمالية Capital Asset Pricing Model تم إجراء العديد من الدراسات التي حاولت تحديد المخاطر التي تتعرض لها الأسهم المتداولة في مختلف الأسواق المالية، وإيجاد تفسير للعوامل المؤثرة في أسعارها، وأجمعت الدراسات كافة أن المخاطر الكلية التي يتعرض لها أي استثمار يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين هما: المخاطر النظامية، والمخاطر غير النظامية. ويُقصد بالمخاطر النظامية تلك المخاطر الناجمة عن عوامل تؤثر في سوق الأوراق المالية بصفة عامة، ولا يقتصر تأثيرها على شركة معينة أو قطاع معين، إنما تتأثر بها مختلف الأوراق المالية المدرجة في السوق المالي. تتعلق هذه العوامل بالظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تؤثر على السوق والمتعاملين فيه، ولكن بنسب متفاوتة. وعادة ما تستعمل بيتا (β) كمقياس لهذا النوع من المخاطر. أما المخاطر غير النظامية فهي المخاطر الناتجة عن عوامل تتعلق بشركة معينة أو قطاع معين، هذه المخاطر يمكن تلافيها عن طريق التنويع.

إن الاستثمار في أسهم الشركات المدرجة في بورصة عمان لا يخلو من التعرض للمخاطر بما فيها المخاطر النظامية، وعليه ستحاول هذه الدراسة اختبار العلاقة بين الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان ومخاطر أسعار أسهمها النظامية، وذلك لتحديد العوامل المالية الكمية التي تحدد المخاطر النظامية في الصناعة المصرفية الأردنية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أن المستثمرين في بورصة عمان يجدون صعوبة في تحديد المؤشرات المالية التي تؤثر في درجة المخاطر النظامية لأسعار أسهم الشركات المدرجة في البورصة. ولما كان القطاع المصرفي يحتل مكانة خاصة ومميزة في بورصة عمان، حيث يمثل التعامل بأسهم هذا القطاع الجزء الأكبر من حجم التداول اليومي بالبورصة، تصبح الحاجة ماسة إلى محاولة تحديد وتقدير درجة المخاطر النظامية التي تتعرض لها أسعار أسهم ذلك القطاع. فالدراسات التي أجريت في الدول المتقدمة أشارت إلى

انعكاس مستوى الأداء المالي للشركات على مخاطر أسعار أسهمها في الأسواق المالية، وأن المستثمر في تلك البورصات يستطيع الاستفادة من تحديد المخاطر النظامية لأسهم الشركات المدرجة في البورصة.

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:

- هل يوجد علاقة بين الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها؟

لتحقيق ذلك سنقوم باختبار العلاقة بين مقاييس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان، والمخاطر النظامية لأسعار أسهم تلك المصارف، وذلك لتحديد العوامل المالية الكمية التي تحدد المخاطر النظامية في الصناعة المصرفية الأردنية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. قياس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان.
2. قياس المخاطر النظامية لأسهم المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان.
3. اختبار العلاقة بين الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهم تلك المصارف.
4. تحديد العوامل المالية الكمية التي تحدد المخاطر النظامية لأسهم المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان.

أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة امتداداً لجهود الباحثين الآخرين، وتبرز أهميتها في النقاط الآتية:

1. تعتبر الدراسة الأولى – حسب علم الباحثين – التي تختبر العلاقة بين مجموعة من مقاييس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان وعلاقتها بالمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

2. التعرف على الأسباب الكامنة وراء التغيرات التي تحدث في المخاطر النظامية لأسهم المصارف الأردنية المدرجة في بورصة عمان لأهميتها لكلٍّ من المستثمرين والجهات الرقابية على سوق المال الأردني، و للبنك المركزي الأردني بصفته الجهة الرقابية على الجهاز المصرفي الأردني.

3. يمكن للأسواق المالية الناشئة ومراكز البحث العلمي الإفادة من النتائج التي نتوصل إليها، كل حسب اهتمامه.

فرضيات الدراسة:

تُحاولُ الدِّراسةُ اختبارَ الفَرضياتِ العدميَّةِ التالية:

H_{01}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين النسب المالية التي تقيس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

H_{02}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ربحية المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

H_{03}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الرفع المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

H_{04}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين سيولة المصارف التجارية الأردنية

المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

H_{05}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين كفاية رأس مال المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

H_{06}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة أصول المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

H_{07}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة إيرادات المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

محددات الدراسة:

1. اعتمدت الدراسة على بيانات سنوية لقياس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية، حيث كان من الصعب زيادة عدد البيانات بأخذ بيانات نصف سنوية بسبب أن الإفصاح عن بعض متغيرات الدراسة لا يتم إلا في البيانات السنوية في نهاية العام.

2. تعتمد نتائج الدراسة على مدى ملاءمة المؤشرات المالية المستخدمة لقياس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان وعلاقتها بالمخاطر النظامية.

3. تقتصر الإفادة من نتائج هذه الدراسة على المستثمرين في بورصة عمان والجهات الحكومية ذات العلاقة بالبورصة، كهيئة الأوراق المالية والبنك المركزي الأردني بصفته الجهة الرقابية على الجهاز المصرفي. إلا إنه يمكن لمراكز البحث الإفادة من بعض الجوانب في هذه الدراسة ونتائجها.

الدراسات السابقة:

شكلت الدراسات التحليلية الأساس النظري للعديد من الدراسات التطبيقية التي اختبرت العلاقة بين المتغيرات المالية المحاسبية وبين السوق. إذ تعتبر دراسة حمادة[1]

(Hamada) من أوائل الدراسات التي انتهجت الأسلوب النظري التحليلي لاختبار العلاقة بين مقاييس المخاطر المحاسبية وبيتا السوق. وفي دراسته الأخرى بيّن حمادة[2] (Hamada) أن المخاطر التمويلية والمخاطر التشغيلية تشكل مكونات المخاطر النظامية, وتوصل إلى نتائج تشير إلى أن نسب المديونية تفسر ما بين 21 % إلى 24% من التغيرات في بيتا السوق. وقام بومان[3] (Bowman) باستخدام الأسلوب النظري التحليلي لدراسة العلاقة بين العديد من المتغيرات المحاسبية وبيتا السوق، وتوصل إلى وجود علاقة بين النسب المالية وبيتا السوق.

وتعتبر دراسة بيفر وكتلر وسكولز[4](Beaver, Kettler & Scholes) من أوائل الدراسات التطبيقية في هذا المجال، حيث هدفت لقياس العلاقة بين مقاييس المخاطر النظامية (بيتا) وسبعة مقاييس محاسبية للمخاطر. بينت النتائج أن ثلاثة مقاييس ذات علاقة إيجابية مع بيتا السهم وهي: الرفع المالي، وتباين الأرباح، ونسبة أرباح الشركة إلى سعر السهم، في حين أن نسبة الأرباح الموزعة إلى صافي الربح ذات علاقة سلبية مع بيتا السهم.

وبين لوغيو وميرفل[5] (Logue & Merville) أن الربحية وحجم الشركة والرفع المالي لها علاقة ذات دلالة إحصائية في تفسير تذبذب المخاطر النظامية للأسهم العادية للشركات الصناعية.

وتوصل جهانكاني و لينغ[6](Jahankhani & Lynge) إلى أن المعاملات المتعلقة بتوزيع الأرباح ومعامل الاختلاف للودائع ونسبة التسهيلات إلى الودائع ذات دلالة إحصائية، وفسرت تلك التغيرات ما نسبته 25% من المخاطر النظامية.

وبين زانقينه وزيتز[7] (Zangeneh & Zitz) أن نسبة مخصص التسهيلات إلى إجمالي التسهيلات ومعامل اختلاف الودائع لهما علاقة ذات دلالة إحصائية، وإنهما يفسران ما نسبته 35% من التغيرات في المخاطر النظامية.

وتوصل عبدالله[8] (Abdullah) إلى نتائج متباينة في سوق الأسهم السعودية لا تتفق كثيراً مع الدراسات السابقة التي تمت في الأسواق الأكثر تطوراً، إضافة إلى أن اتجاه بعض المتغيرات المستقلة وعلاقتها مع المتغير التابع جاءت مخالفة للنظرية، ومثال

ذلك نسبة الأرباح الموزعة، ونسبة حقوق الملكية إلى الودائع، ونسبة احتياطي خسائر القروض.

بورصة عُمان لم تكن بمنأى عن الدراسة أيضاً، فقد توصل أومت[9] (Omet) إلى وجود علاقة إيجابية بين حجم الشركة والمخاطر النظامية في سوق مسقط للأوراق المالية، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم الشركة والمخاطر النظامية في بورصة عُمان.

أما دراسة ايرول والبدور[10] (Erol & El-Bdour) فقد توصلت إلى أن الرفع المالي هو المتغير الوحيد الذي يؤثر على المخاطر الكلية للشركة، في حين لم يكن له أي أثر على المخاطر النظامية.

كما تناولت دراسات عديدة محاور مختلفة لتفسير تغيرات أسعار الأسهم المتداولة في بورصة عمان، يمكننا تقسيمها إلى ثلاثة محاور. تناول المحور الأول كفاءة السوق ومعوقات أداء البورصة، وقد حظي بالنصيب الأكبر من الدراسات منها دراسة شامية وطلافحة[11] (Shamia & Talafha)، ودراسة القواسمي[12]ودراسة المطوري[13] ودراسة هيلات(14). وقد توصلت هذه الدراسات إلى نتائج متباينة، وقدمت العديد من الأسباب لتفسير عدم كفاءة السوق والمعوقات التي تواجهه مثل: نقص المعلومات، وغياب صانعي السوق ومصارف الاستثمار.

أما المحور الثاني، فقد تناول النواحي التنظيمية للسوق، والأنماط السلوكية واتجاهات المستثمرين، وأثرها على أداء عمل السوق، حيث بينت دراسة غرايبة وخوري[15] أن السوق يوفر المناخ الملائم لاستقطاب الاستثمارات الأجنبية التي قد تساعد على نقل المعرفة والتكنولوجيا إلى الكثير من الصناعات، وأن المستثمر الأجنبي يحاول التركيز على الاستثمارات الإنتاجية الضخمة في الدول النامية، ويهتم بالشركات التي تعطي أولوية لمشاريع البحث والتطوير، وأن الاستثمار عن طريق الأسواق المالية يُعدّ بديلاً للاستثمار المباشر لرؤوس الأموال الأجنبية.

وتناول المحور الثالث أثر البيانات الاقتصادية والتقارير المالية على أسعار الأسهم، وجاءت نتائج الدراسات متباينة، فقد بينت دراسة سويدان والخوري[16]Suwaidan

El-Khouri & أن أسعار الأسهم لا تستجيب كثيراً للإعلان عن الأرباح المحاسبية، فيما بينت دراسة محفوظ[17] ودراسة سلامة[18] ودراسة الأدهم[19] ودراسة أبو فرحة[20] ودراسة كريم[21] أن لبعض المتغيرات تأثيراً أكبر من غيرها على أسعار الأسهم.

منهجية الدراسة:

مع نهاية عام 2006 كان يتداول في بورصة عَمّان أسهم خمسة عشر مصرفاً (بورصة عمان) [22]،من ضمنها مصرف إسلامي واحد هو البنك الإسلامي الأردني، ومصرف متخصص هو بنك الإنماء الصناعي (بورصة عمان) [23].

لاختيار عينة الدراسة تم استبعاد البنك الإسلامي لاختلاف فلسفته الاستثمارية عن الفلسفة الاستثمارية للمصارف التجارية، واستبعاد بنك الإنماء الصناعي كونه مصرفاً متخصصاً ذا ملكية مشتركة، وذا أهداف تختلف عن أهداف المصارف التجارية.

بعد استبعاد البنك الإسلامي والبنك المتخصص تبقى لدينا ثلاثة عشر مصرفاً تم اعتبارها مجتمع الدراسة، وسيتم اختيار عينة الدراسة من ضمنها.

لتحديد عينة الدراسة قمنا بوضع عدة معايير سيتم في ضوئها اختيار المصارف التي ستمثل عينة الدراسة، هذه المعايير هي:

1. أن لا يكون قد تم إيقاف التداول على سهم المصرف لمدة تزيد عن شهر خلال فترة الدراسة، والتي امتدت من شهر كانون أول 2000 إلى شهر كانون ثاني 2006 (تشمل فترة الدراسة 84 شهراً)
2. توفر كافة أسعار الإغلاق الشهرية لأسهم المصرف.
3. توفر كافة البيانات اللازمة لحساب المتغيرات المالية المستخدمة في الدراسة.
4. أن لا يكون المصرف قد تعرض للدمج خلال فترة الدراسة.
5. اتباع المصرف للتقويم الميلادي في إظهار نتائجه المالية، بحيث تبدأ وتنتهي السنة المالية للمصرف مع بداية ونهاية السنة الميلادية.

في ضوء هذه المعايير تبين لنا أن هنالك مصرفين لا تنطبق عليهما هذه المعايير، فتم استبعادهما من الدراسة. فقد تم تغيير اسم بنك الأردن والخليج إلى البنك التجاري الأردني اعتباراً من عام 2004 (بورصة عمان) [24]، وبالتالي تم استثنائه من عينة الدراسة لايقاف أسهمه عن التداول لأكثر من شهر. كما تم تعليق تداول أسهم البنك الأهلي الأردني عام 2005، وبالتالي تم استثناء البنك الأهلي لإيقاف أسهمه عن التداول لأكثر من شهر. لذلك اقتصرت الدراسة على أحد عشر مصرفاً تجارياً مدرجاً في بورصة عمان، والموضحة في الملحق رقم (1).

باستخدام بيانات شهرية تم الحصول عليها من المنشورات الرسمية لبورصة عمان، تم حساب المخاطر النظامية لسهم كل مصرف مقاسه بمعامل بيتا (β)، واستخدام نموذج السوق (Market Model) حسب دراسة شارب[25] (Sharp)لتحقيق هذا الغرض كالتالي:

$$R_t = \alpha + \beta\, Rm_t + e_t$$

حيث إن:

Rt: معدل العائد على سهم المصرف خلال الشهر t، الذي يحسب باستخدام معادلة العائد على فترة الاقتناء Holding Period Return HPR حسب دراسة اومت والدبعي[26] (Omet & Al-Debi'e) وفقاً للمعادلة التالية:

$$HPR = \frac{(P_t - P_{t-1}) + Div}{P_{t-1}}$$

حيث تشير (pt) إلى سعر السهم في الشهر الحالي، و (pt-1) إلى سعر السهم في الشهر السابق، بينما تشير (Div) إلى قيمة الربح النقدي الموزع للسهم الواحد.

Rm_t: العائد على مؤشر السوق خلال الشهر t، الذي يحسب باستخدام معادلة العائد على فترة الاقتناء.

t: المدة الزمنية بالاشهر حيث (t = 1,..., 84)

α: الثابت.

β: معامل (بيتا) المخاطر النظامية لسهم المصرف.

e_t: الخطأ العشوائي موزعاً توزيعاً طبيعياً بمتوسط صفر وتباين ثابت.

تم استخدام معامل بيتا (β_i المقدر في الخطوة أعلاه لإيجاد معامل بيتا لكل سنة ولكل مصرف باستخدام المعادلة التالية:

$$(\beta_{it} = \beta^2_i \ \sigma^2_t \ (Rm$$

حيث إن:

β_{it}: المخاطر النظامية للمصرف i في السنة t.

β^2_i: مربع المخاطر النظامية للمصرف i التي تم احتسابها عن طريق نموذج السوق في الخطوة أعلاه.

$(\sigma^2_t \ (Rm$): التباين لمعدل العائد للسوق في السنة t.

تم استخدام معامل بيتا (β_i المقدر في الخطوة أعلاه في نموذج مخاطر السوق التالي:

Market Risk Model:

$$\beta_{it} = \alpha + b_1 \ PROF_t + b_2 \ LEV_t + b_3 \ LIQ_t + b_4 \ ADEQ_t + b_5 AQUL_t + b_6 \ RQUL_t + e_{it}$$

حيث إن:

β_{it}: المخاطر النظامية للمصرف i في السنة t.

$PROF_t$: الربحية (Profitability) معبراً عنها بالعائد على حقوق الملكية.

LEV_t: الرفع المالي (Financial Leverage) معبراً عنها بنسبة المديونية.

LIQt: السيولة (Liquidity) معبراً عنها بنسبة التسهيلات للودائع.

$ADEQ_t$: كفاية رأس المال (Capital Adequacy) معبراً عنها بنسبة حقوق الملكية للودائع.

$AQUL_t$: جودة الأصول (Assets Quality) معبراً عنها بنسبة مخصص التسهيلات الائتمانية إلى التسهيلات الائتمانية المباشرة.

$RQUL_t$: جودة الإيرادات (Revenue Quality) معبراً عنها بنسبة صافي إيراد الفوائد والعمولات إلى صافي الإيرادات التشغيلية.

البيانات الإحصائية:

قمنا بحساب ستة مؤشرات مالية لقياس الأداء المالي لكل مصرف كما وردت في دليل الشركات الصادر عن بورصة عمان [27]، وتظهر نتائج هذه المؤشرات في الملحق رقم (2)، وهذه المؤشرات هي:

1. الربحية (PROF): معبراً عنها بالعائد على حقوق الملكية، وتم احتسابها من خلال قسمة صافي ربح السنة على متوسط حقوق الملكية للسنة الحالية والسابقة. ويشير معدل هذه النسبة إلى أن كل دينار من حقوق الملكية لكل مصرف يحقق ربحاً يبلغ 11.5 % خلال فترة الدراسة. ويتوقع وجود علاقة إيجابية بين الربحية والمخاطر النظامية لأسعار الأسهم لأنها تعبر عن الربحية المحققة لكل حصة من حقوق الملكية، وتعكس كفاءة الربحية المحققة للمصرف.

2. الرفع المالي (LEV): معبراً عنها بنسبة المديونية، وتحسب بقسمة مجموع الديون على مجموع الموجودات، وتشير النسبة إلى أن كل دينار من الموجودات يقابله 88.7 % دينار من المطلوبات بالمعدل خلال فترة الدراسة. ويتوقع وجود علاقة إيجابية بين الرفع المالي والمخاطر النظامية، حيث تمثل ودائع العملاء المورد الرئيسي لتمويل المصارف التجارية، وكلما أصبحت أكثر تقلباً يتوجب على المصرف أن

يلجأ إلى مصادر أخرى لتمويل عملياته التي قد ينشأ عنها تقلب في أرباح المصرف.

3. السيولة (LIQ): معبراً عنها بنسبة التسهيلات الائتمانية الممنوحة إلى الودائع لدى المصرف، وتشير النسبة إلى أن كل مصرف يستغل بالمعدل ما نسبته 52.6 %من الودائع لمنحها على شكل تسهيلات. ويتوقع وجود علاقة إيجابية بين السيولة والمخاطر النظامية، فتوفر السيولة يوفر للمصرف القدرة على تقديم قروض إضافية. وكلما زادت القروض التي يمنحها المصرف كلما قلت ممتلكاته من الأصول السائلة مما قد يعرضه لمشكلة السيولة. إضافة لذلك تعتبر محفظة القروض من أكثر أصول المصرف خطورة، وبالتالي زيادة القروض الممنوحة سوف تزيد من مخاطر المصرف الائتمانية، فقد تشير نسبة التسهيلات إلى الودائع العالية إلى احتمال مواجهة المصرف لعسر في السيولة في حالة إقدام المودعين على زيادة سحوباتهم من المصرف.

4. كفاية رأس المال (ADEQ): معبراً عنها بنسبة حقوق الملكية للودائع، وتشير النسبة إلى أن معدل كفاية رأس المال لكل المصارف بلغ 15.1 %، وهو معدل أعلى من النسبة المحددة من البنك المركزي الأردني 12 % وبازل 8 %. ويتوقع وجود علاقة عكسية بين كفاية رأس المال والمخاطر النظامية، حيث تدل الزيادة في النسبة على مخاطر مالية أقل.

5. جودة الأصول (AQUL): معبراً عنها بنسبة مخصص التسهيلات الائتمانية إلى التسهيلات الائتمانية المباشرة، وتشير النسبة إلى أن كل دينار يتم منحه على شكل تسهيلات يتم رصد ما معدله 13.5 % كمخصص لعدم السداد. يتوقع وجود علاقة إيجابية بين جودة الأصول والمخاطر النظامية، حيث ينبغي على المصارف حماية نفسها من أي خسارة محتملة تنشأ بسبب عجز المقترضين عن سداد قروضهم، وبالتالي تعكس النسبة تقدير الإدارة للانكشاف أمام مخاطر الائتمان، وبالتالي فإن الاحتياط الأعلى للخسارة يعكس درجة أعلى من الخسارة المتوقعة في محفظة القروض.

6. جودة الإيرادات(RQUL): معبراً عنها بنسبة صافي إيرادات الفوائد

والعمولات إلى صافي الإيرادات التشغيلية، وتشير النسبة إلى أن كل دينار يتم تحقيقه من الإيرادات التشغيلية يتأتى ما معدله 76% منه من إيراد الفوائد والعمولات. ويتوقع لجودة الإيرادات أن تكون على علاقة سلبية مع المخاطر النظامية، لأنها تعبر عن قدرة المصرف على خلق إيرادات أكثر من عملياته التشغيلية.

نتائج الدراسة:

نتائج تقدير المخاطر النظامية (β) لكل مصرف:

يبين الملحق رقم (3) نتائج التحليل الإحصائي لقياس المخاطر النظامية β لكل مصرف، ويظهر من الملحق اختلاف المخاطر النظامية بين المصارف. وقد قمنا بعرض النتائج في الملحق ضمن مجموعتين، المجموعة الأولى تتضمن المصارف التي لمخاطرها النظامية علاقة ارتباط موجبة مع عائد السوق، في حين؛ المجموعة الثانية تتضمن المصارف التي لمخاطرها النظامية علاقة ارتباط سالبة مع عائد السوق. ويقصد بالارتباط الموجب بين المخاطر النظامية لسهم المصرف وعائد السوق أن ارتفاع عائد السوق سيؤدي إلى ارتفاع عائد سهم المصرف، أما الارتباط السالب فيعني أن زيادة عائد السوق سيؤدي إلى انخفاض عائد سهم المصرف.

ويمكن تفسير درجة المخاطر النظامية للمصارف التي تظهر ضمن المجموعة الأولى أن زيادة عائد السوق سيؤدي لزيادة عائد السهم لتلك المصارف، ولكن بدرجات متفاوتة. فمثلاً زيادة معدل عائد السوق بنسبة 100 % سيؤدي إلى زيادة العائد لبنك الاتحاد للادخار والاستثمار بنسبة 154 %، في حين سيرتفع عائد سهم البنك الأردني للاستثمار والتمويل إلى 117 %، وهكذا نجد أن عائد سهم البنك العربي هو أقل العوائد تأثراً بعائد السوق.

أما المصارف التي تتأثر عوائد أسهمها سلباً مع عائد السوق والمبينة في المجموعة الثانية فنجد أن أقل هذه المصارف تأثراً هو بنك الاستثمار العربي الأردني، فزيادة معدل عائد السوق بنسبة 100 % سيؤدي إلى انخفاض العائد لأسهم ذلك البنك بنسبة 5.7 %، في حين أن أكثر المصارف تأثراً هو بنك المؤسسة العربية المصرفية،

فزيادة عائد السوق بنسبة 100 % سيؤدي إلى انخفاض عائد سهم المصرف بنسبة 57.5 %.

وهكذا نلاحظ أن العائد على أسهم بنك الاستثمار العربي الأردني يعتبر أدنى عوائد أسهم المصارف حساسية للتغير بعائد السوق، حيث بلغت قيمة المخاطر النظامية لهذا البنك 5.7 %، بالمقابل فإن العائد على أسهم بنك الاتحاد للادخار والاستثمار يعتبر أكبر عوائد أسهم المصارف حساسية للتغير بعائد السوق، حيث بلغت قيمة المخاطر النظامية لهذا البنك 154 %.

نتائج علاقة الأداء المالي بالمخاطر النظامية:

لدراسة علاقة الارتباط التي قد توجد بين المتغيرات المستقلة بعضها مع بعض، قمنا بإعداد مصفوفة الارتباط المبينة في الملحق رقم (4)، ومنها نلاحظ وجود علاقة ارتباط قوية بين متغير الرفع المالي (LEV) ومتغير كفاية رأس المال (ADEQ)، وعلاقة ارتباط بين متغير السيولة (LIQ) ومتغير كفاية رأس المال (ADEQ)، بينما جاءت علاقة الارتباط بين المتغيرات الأخرى ضعيفة، وتقل عن 0.50. وقد يكون لعلاقة الارتباط الموجودة بين المتغيرات المستقلة مع بعضها بعضاً أثر على ملاءمة النموذج حسب جرين[28](Greene)، لذلك سيتم معالجة مشكلة الارتباط بين المتغيرات المستقلة عند تقدير النموذج.

تم تقدير نموذج المخاطر النظامية، وأشارت نتائج التقدير إلى وجود مشكلتين:

- مشكلة الارتباط الذاتي (Auto Correlation)أو الارتباط الزمني (Serial Correlation) بين البواقي (Residuals) نظراً لارتفاع قيمة معامل ديربن واتسون (D-W المحسوب).
- مشكلة العلاقة بين المتغيرات المستقلة(Multicolinearity)، والتي تشير إلى أن العلاقة بين متغيرين من المتغيرات المستقلة أقوى من العلاقة بين أحد هذين المتغيرين والمتغير التابع حسب كاجوراتي[29](Gujarati)، وهذا يؤكد نتائج مصفوفة الارتباط بين المتغيرات التي أوردناها في الملحق رقم (4).

لتلافي هذه المشاكل قمنا بإجراء تعديلات على نموذج الدراسة تمثلت بما يلي:

أولاً: حل مشكلة الارتباط الذاتي بين البواقي باستخدام Auto Regressive AR(1) من الدرجة الأولى، حيث تم إدخال AR(1) على النموذج، والذي يعمل على ربط بواقي النموذج في السنة السابقة مع متغيرات النموذج للسنة الحالية، أو ما يعرف بفترات الإبطاء (lag). فارتفعت قيمة (D-W) المحسوبة من 0.40 إلى 1.62، وهذه القيمة تقع بين الحد الأدنى لقيمة (D-W) الجدولية البالغ 1.46 والحد الأقصى البالغ 1.80.

ثانياً: حل مشكلة العلاقة بين المتغيرات المستقلة (Multicolinearity) باتباع إحدى الطرق التالية:

1. استبعاد متغير الرفع المالي (LEV) من النموذج، كونه يرتبط بعلاقة قوية مع متغير كفاية رأس المال (ADEQ). بينت النتائج انخفاض قيمة F إلى 33.8، مما يعني انخفاض المعنوية الكلية للنموذج، وبالتالي عدم اعتماد هذه الطريقة.

2. استبعاد متغير السيولة (LIQ)، كونه على علاقة ارتباط مع متغير كفاية رأس المال (ADEQ). بينت النتائج انخفاض قيمة F إلى 32.6، مما يعني انخفاض المعنوية الكلية للنموذج، وبالتالي عدم اعتماد هذه الطريقة.

3. استبعاد متغير كفاية رأس المال (ADEQ)، كونه على علاقة ارتباط قوية مع متغيرين الرفع المالي (LEV) والسيولة (LIQ). بينت النتائج انخفاض قيمة F إلى 33.3،مما يعني انخفاض المعنوية الكلية للنموذج، وبالتالي عدم اعتماد هذه الطريقة.

4. استبعاد المتغيرين الرفع المالي (LEV) والسيولة (LIQ)، وإعادة تقدير النموذج. بينت النتائج ارتفاع قيمة F إلى 55.0،مما يعني ارتفاع المعنوية الكلية للنموذج، وبالتالي قمنا باعتماد النتائج حسب هذه الطريقة.

إن نتائج تقدير نموذج المخاطر النظامية مع الأخذ بعين الاعتبار معالجة مشكلة

الارتباط الذاتي بين البواقي، ومعالجة مشكلة العلاقة بين المتغيرات باستبعاد متغيرين هما: الرفع المالي، والسيولة، تظهر في الملحق رقم (5).

تشير نتائج التقدير الواردة في الملحق رقم (5) إلى ما يلي:

• إن القيم الخاصة بتوزيع t تشير إلى أن هناك ثلاثة متغيرات فقط هي: كفاية رأس المال (ADEQ)، وجودة الأصول (AQUL)، وجودة الإيرادات (RQUL)، لها قيمة ذات دلالة إحصائية عند درجة معنوية 5 % فأقل. وهذا يعطينا دلالة إحصائية قوية على أن لهذه المتغيرات الثلاث تأثيراً ملموساً على المخاطر النظامية (β_{it}). فأي تغير في كفاية رأس المال وجودة الأصول وجودة الإيرادات سيؤثر مباشرة على المخاطر النظامية لأسهم المصارف المدرجة في بورصة عمان. أما بقية المتغيرات المستقلة الأخرى، فليس هناك أي دلالات على أن لها تأثيراً مباشراً على المخاطر النظامية لأسهم المصارف المدرجة في بورصة عمان.

• إن قيمة معنوية P-value/F أقل من 5 %، مما يعني وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كافة المتغيرات المستقلة من جهة والمخاطر النظامية لأسهم المصارف المدرجة في بورصة عمان من جهة أخرى، وإن المتغيرات المستقلة تعتبر مناسبة لتفسير التغيرات التي تحدث في المخاطر النظامية لأسهم المصارف المدرجة في بورصة عمان.

• إن قيمة معامل التحديد المعدل Adjusted R^2 تساوي 80 %، وهذا يعني أن ما نسبته 80 % من التغيرات التي تحدث للمتغير التابع (المخاطر النظامية) يمكن إرجاعها إلى المتغيرات المستقلة الموضحة في النموذج.

• إن قيمة (D-W) المحسوبة تساوي 1.62، وهي قيمة تقع بين الحد الأدنى (1.46) والحد الأعلى (1.80) لقيمة (D-W) الجدولية، وهذا يعطي دلالة على انعدام الارتباط بين البواقي.

وسنقوم بمحاولة أخرى لتحسين النموذج، حيث سنستبعد متغير الربحية (PROF)، الذي لم يظهر أن له دلالة تفسيرية في التغيرات التي تحدث للمتغير التابع (β_{it}). أي أننا سنبقي على ثلاثة متغيرات مستقلة في النموذج هي: كفاية رأس المال، وجودة الأصول، وجودة الإيرادات، التي أظهر النموذج السابق وجود علاقة إحصائية قوية بينها وبين المخاطر النظامية.

النموذج المعدل:

تظهر نتائج التقدير للنموذج المعدل في المعادلة التالية التي تبين قيمة توزيع t داخل القوس أسفل قيمة معامل الارتباط الخاص بالمتغير المستقل:

$$\beta_{it} = -3.918 + 0.0197\,ADEQ_t - 0.0102\,AQUL_t - 0.0100\,RQUL_t$$

(-7.7723) (-3.1768) (3.6805) (-0.0678)

- معامل التحديد (R^2) = 0.812
- معامل التحديد المعدل (Adjusted R^2) = 0.799
- الخطأ المعياري للتقدير (S.E. of regression) = 0.1418
- ديربن واتسون (D-W) = 1.69
- معنوية F (P-Value) = 0 (F=66)

وهنا نلاحظ أن حذف ثلاثة متغيرات هي الربحية، والسيولة، والرفع المالي، من النموذج الأصلي لم يؤثر على النتائج التي تم التوصل إليها سابقاً، وساعد في الوقت ذاته على تحسن بعض جوانب النموذج، وتبين ذلك من الآتي:

- إن اتجاه العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع لم يتغير بعد استبعاد ثلاثة متغيرات من النموذج، فالمخاطر النظامية ترتبط بعلاقة إيجابية مع كفاية رأس المال، وبعلاقة سلبية مع جودة الأصول وجودة الإيرادات.

- تحسن قيم t لكل متغير من المتغيرات الثلاث التي تم إبقائها في النموذج.
- تحسن قيمة F من 38 في النموذج الأصلي إلى 66 في النموذج المعدل يعني ارتفاع المعنوية الكلية للنموذج.
- إن قيمة معامل التحديد المعدل $Adjusted\ R^2$ تساوي 80 %، وهذا يعني أن حذف ثلاثة متغيرات مستقلة من النموذج الأصلي لم يؤثر على القوة التفسيرية للنموذج المعدل.
- إن قيمة (D-W) المحسوبة تساوي 1.69، وهي قيمة تقع بين الحد الأدنى والحد الأعلى لقيمة (D-W) الجدولية، وهذا يعطي دلالة على انعدام الارتباط الذاتي بين البواقي.

اختبار الفرضيات:

استناداً على التحليل السابق، يمكننا اختبار فرضيات الدراسة كالتالي:

H_{01}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين النسب المالية التي تقيس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

رفض الفرضية لوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين النسب المالية التي تقيس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع F الخاص بالمتغيرات المستقلة. حيث أشارت النتائج إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين ثلاثة متغيرات هي: كفاية رأس المال، وجودة الأصول،وجودة الإيرادات، مع المخاطر النظامية لأسهم المصارف المدرجة في بورصة عمان، وأن هذه المتغيرات المستقلة الثلاث تفسر ما نسبته 80 % من التغيرات التي تحدث للمخاطر النظامية لأسهم المصارف المدرجة في بورصة عمان.

H_{02}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ربحية المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

قبول الفرضية لعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين ربحية المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع t الخاص بمتغير الربحية.

H_{03}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الرفع المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

قبول الفرضية لعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الرفع المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع t الخاص بمتغير الرفع المالي.

H_{04}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين سيولة المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

قبول الفرضية لعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين سيولة المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع t الخاص بمتغير السيولة.

H_{05}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين كفاية رأس مال المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

رفض الفرضية لوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كفاية رأس المال للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع t الخاص بمتغير كفاية رأس المال.

H_{06}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة أصول المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

رفض الفرضية لوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة أصول المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع t الخاص بمتغير جودة الأصول.

H_{07}: لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة إيرادات المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها.

رفض الفرضية لوجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة إيرادات المصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهمها، كما يشير اختبار توزيع t الخاص بمتغير جودة الإيرادات.

النتائج والتوصيات:

توصلت الدراسة إلى أنه يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ثلاث نسب مالية تقيس الأداء المالي للمصارف التجارية الأردنية المدرجة في بورصة عمان والمخاطر النظامية لأسعار أسهم تلك المصارف. وأن المتغيرات المالية تفسر ما نسبته 80 % من التغيرات التي تحدث في المخاطر النظامية لأسعار أسهم تلك المصارف. حيث بينت نتائج التقدير أن المخاطر النظامية تتأثر إيجاباً بمؤشر كفاية رأس المال، وسلباً بمؤشرات كل من جودة الأصول وجودة الإيرادات. وبالتالي يستطيع المستثمر في بورصة عمان أن يحدد المخاطر النظامية لأسعار أسهم المصارف التجارية الأردنية المدرجة في البورصة من خلال تحليل مؤشرات كفاية رأس المال وجودة الأصول وجودة الإيرادات لتلك المصارف. فزيادة كفاية رأس المال بمعدل 100 % سيؤدي لزيادة المخاطر النظامية بمعدل 1.9 %، وزيادة جودة الأصول بمعدل 100 % سيؤدي لانخفاض المخاطر النظامية بمعدل 1.0%، وزيادة جودة الإيرادات بمعدل 100 % سيؤدي لانخفاض المخاطر النظامية بمعدل 1.0 %.

وبناءً على هذه النتائج، فإننا نوصي بما يلي:

1. اهتمام المستثمرين والمدراء الماليين بدراسة اتجاهات المؤشرات المالية في المصارف عند اتخاذ قراراتهم الاستثمارية انطلاقاً من التأثير الذي أظهرته بعض النسب المالية على المخاطر النظامية.

2. ضرورة قيام الباحثين والدارسين بتطبيق الدراسة على القطاعات الأخرى المدرجة في بورصة عمان؛ لتقصي العلاقة بين المخاطر والنسب المالية في الشركات الخدمية والصناعية والتأمين.

3. ضرورة قيام إدارة بورصة عمان بالاستفادة من التطور التكنولوجي للتسريع في إتاحة كافة المعلومات المتعلقة بالنسب المالية للشركات المدرجة لكافة المهتمين في بورصة عمان وبشكل دوري وبأقل التكاليف، ولعل استخدام شبكة الإنترنت لهذه الغاية يُعدّ خطوة على الطريق الصحيح.

4. ضرورة قيام دائرة الأبحاث في بورصة عمان باستحداث آلية عمل جديدة عند

إعداد دليل الشركات المساهمة العامة، يتم من خلالها احتساب قيمة معامل بيتا لكافة الشركات المدرجة في بورصة عمان وتوزيعها على المهتمين كمعلومات تساعد على اتخاذ القرار الاستثماري.

الحواشي:

1. Robert Hamada, "Portfolio Analysis, Market Equilibrium and Corporate Finance", **Journal of Finance**, V.24, No.1, 1969, PP13-32.

2. _____, "The Effect of the Firm's Capital Structure on the Systematic Risk of Common Stock", **Journal of Finance**, V.27, No.2, 1972, PP435- 452.

3. R.G. Bowman, "The Theoretical Relationship between Systematic Risk and Financial (Accounting) Variables", **Journal of Finance**, V.34, No.3, 1979, PP617-630.

4. William Beaver, Paul Kettler, and Myron Scholes, "The association between market determine and accounting determined risk measures", **Accounting Review**, V.45, No.45, 1970, PP654-682.

5. Dennis Logue, and Larry Merville, "Financial policy and market expectations", **Financial Management**, V.1, No.2, 1972, PP37-44.

6. A. Jahankhani, and M. Lynge, "Commercial banks financial policies and their impact on market-determined measures of risk", **Journal of Bank Research**, Vol. II, 1980, PP169-178.

7. Mansur Zangeneh, and Mark Zitz, "The Association between Banks' Performance Ratio and market-Determined measures of Risk", **Applied Economic**, V. 25, No.12, 1993, PP1503-1510.

8. Abdulkader Abdullah, "The Relationship between Commercial banks' Performance and Risk Measures: A Case of Saudi Arabia Stock Market", **Humanities and Management Sciences Journal**, Vol.4, No.2, 2003, PP169-187.

9. Ghassan Omet, "The Behavior of Systematic Risk in the Securities Exchange (Amman Bourse) and Muskat Securities Market", **Dirasat**, Vol.28, Issue 1, 2001, PP187-193.

10. C. Erol and R. El-Bdour, "An Empirical Investigation of Risk of Stocks Traded on the Less Developed Capital Market: Jordan as a case Study", **Abhath Al-Yarmouk**, Vol. 6, No. 3, 1990, PP25-44.

11. Abdalla Shamia and Hussain Talafha, "Amman Financial Market Stability, Effectiveness, and Efficiency: An Economic Analysis", **Abhath AL-Yarmouk**, Vol.6, No.2, 1990, PP41-71.

12. زكريا القواسمي، "كفاءة سوق عمان المالية"، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الأردنية، 1990.

13. عبدالكريم المطوري، "فحص الكفاءة شبه القوي في سوق عمان المالي"، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الأردنية، 1996.

14. علي هيلات، "كفاءة واستقرار سوق عمان المالي"، **رسالة ماجستير غير منشورة**, جامعة اليرموك، 2004.

15. هشام غرايبة ورتاب الخوري، "الأسواق المالية في الدول النامية وتطورها وأهميتها"، **مجلة أبحاث اليرموك**، م 10، ع 3، 1994، ص ص 425-449.

16. Mishiel Suwaidan, & Ritab El-Khouri, "An Empirical Examination of the Relationship Between Increased Disclosure in Jordanian Industrial Corporate Annual Reports and Risk", **Dirasat**, Vol.27, Issue 2, 2000, PP467-476.

17. أحمد محفوظ، "تذبذب أسعار الأسهم: دراسة تطبيقية على أسهم الشركات المدرجة في سوق عمان المالية"، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الأردنية، 1995، ص9.

18. راشد سلامة، "التنبؤ بأسعار الأسهم المتداولة في سوق عمان المالي"، **مجلة البصائر**، 1997، ص ص 201-220.

19. نسرين الأدهم، "أثر المخاطر في تفسير اختلاف مؤشرات الربحية دراسة تطبيقية على الشركات المساهمة العامة الأردنية"، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الأردنية، 2000.

20. حنان أبو فرحة، "العلاقة بين المخاطر النظامية وكل من الرفع المالي والرفع التشغيلي: دراسة تطبيقية على

الشركات المساهمة العامة الأردنية المدرجة في بورصة عمان"، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الأردنية، 2001.

21. عبد الحفيظ كريم, "العلاقة بين مقاييس الأداء المحاسبية والاقتصادية والعوائد السوقية للأسهم"، **رسالة دكتوراه غير منشورة**، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، 2004.

22. بورصة عمان، **"التقريري السنوي"**، أعداد مختلفة.

23. _____، **"النشرة الإحصائية الشهرية"**، أعداد مختلفة.

24. _____، **"دليل الشركات المساهمة العامة الأردنية"**، أعداد مختلفة.

25. William Sharpe, "Capital Asset Prices: A Theory of Market Equilibrium under Conditions of Risk", **Journal of Finance**, V.19, No.3, 1964, PP425-442.

26. Ghassan Omet, and Mamoun Al-Debi'e, "The Association between Systematic Risk and Debt-to-Equity Ratio in Amman Financial Market", **Dirasat**, Vol.27, No. 2, 2000, PP461-466.

27. بورصة عمان, **"دليل الشركات المساهمة العامة الأردنية"**، أعداد مختلفة.

28. William Greene, **Econometric Analysis**, 4th Ed., (Prentice-Hall: NJ, USA, 1998).

29. Damodar Gujarati, **Basic Econometrics**, 3rd Ed., (Mc. Graw-Hill Book Company: USA, 1995).

ملحق رقم (1)

المصارف الممثلة في عينة الدراسة

الرقم	اسم المصرف	سنة التأسيس
1	العربي	1930
2	الأردن	1960
3	القاهرة عمان	1960
4	الإسكان للتجارة والتمويل	1974
5	الأردني الكويتي	1977
6	الاستثمار العربي الأردني	1978
7	المؤسسة العربية المصرفية/ الأردن	1989
8	الأردني للاستثمار والتمويل	1989
9	الاتحاد للادخار والاستثمار	1991
10	سوسيته جنرال / الأردن	1993
11	المال الأردني	1996

ملحق رقم (2)

معدل الأداء المالي للمصارف والعلاقة المتوقعة مع المخاطر

(للفترة كانون ثاني 2000 إلى كانون أول 2006)

المصرف	PROF	LEV	LIQ	ADEQ	AQUL	RQUL
العربي	0.093	0.898	0.467	0.129	0.066	0.827
الأردن	0.161	0.918	0.534	0.102	0.082	0.890
القاهرة عمان	0.085	0.922	0.425	0.096	0.164	0.796
الإسكان للتجارة والتمويل	0.101	0.850	0.459	0.191	0.082	0.775
الأردني الكويتي	0.189	0.906	0.674	0.133	0.043	0.769
الاستثمار العربي الأردني	0.106	0.890	0.291	0.134	0.088	0.754
المؤسسة العربية المصرفية	0.131	0.903	0.586	0.153	0.114	0.643
الأردني للاستثمار والتمويل	0.101	0.920	0.342	0.116	0.291	0.656
الاتحاد للادخار والاستثمار	0.117	0.884	0.394	0.147	0.076	0.767
سوسيته جنرال / الأردن	0.024	0.820	0.726	0.205	0.416	0.806
المال الأردني	0.156	0.846	0.892	0.260	0.057	0.675
المعدل	0.115	0.887	0.526	0.151	0.135	0.760
العلاقة المتوقعة مع المخاطر	+	+	+	-	+	-

ملحق رقم (3)

نتائج تقدير المخاطر النظامية (β) لأسعار أسهم مصارف العينة

الرقم	المصرف	β
المجموعة الأولى:		
1	الاتحاد للادخار والاستثمار	1.5425
2	الأردني للاستثمار والتمويل	1.1762
3	القاهرة عمان	0.8442
4	الأردن	0.5842
5	سوسيته جنرال / الأردن	0.5138
6	العربي	0.3937
المجموعة الثانية:		
1	المؤسسة العربية المصرفية	0.5753-
2	المال الأردني	0.4249-
3	الأردني الكويتي	0.3091-
4	الإسكان للتجارة والتمويل	0.1438-
5	الاستثمار العربي الأردني	0.0571-

ملحق رقم (4)

مصفوفة الارتباط بين متغيرات الدراسة

	β	PROF	LEV	LIQ	ADEQ	AQUL	RQUL
β	1.0000						
PROF	0.3127	1.0000					
LEV	-0.0544	0.0297	1.0000				
LIQ	-0.0393	0.3309	-0.4777	1.0000			
ADEQ	0.0887	0.1835	-0.8322	0.6979	1.0000		
AQUL	0.0384	-0.4964	-0.2027	-0.1074	-0.0082	1.0000	
RQUL	-0.3866	-0.4292	0.1102	-0.1733	-0.3132	-0.1141	1.0000

ملحق رقم (5)

نتائج تقدير نموذج المخاطر النظامية بعد حل مشكلة الارتباط والعلاقة بين المتغيرات

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	P-value
C	-1.3911	9.2757	-0.1500	0.8813
PROF	0.0054	0.0032	1.7109	0.0923
ADEQ	0.0194	0.0053	3.6298	0.0006
AQUL	-0.0080	0.0034	-2.3431	0.0225
RQUL	-0.0082	0.0017	-4.8467	0.0000
AR(1)	0.9881	0.0563	17.5655	0.0000

R-squared	0.8209	Mean dependent var	0.1778
Adjusted R-squared	0.8060	S.D. dependent var	0.3169
S.E. of regression	0.1396	F-statistic	55.0162
Sum squared resid	1.1689	P-value	0.0000
Durbin-Watson stat	1.6190		

موقف الأرمن في إقليم قيليقية من الحملة الصليبية الأولى 490هـ/1095م

فاطمة سليم الطراونة
كلية الآداب والعلوم
جامعة البترا

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة موقف الأرمن في إقليم قيليقية من الحملة الصليبية الأولى سنة 490هـ/1095م، للكشف عن موقفهم من الصليبيين في هذا الإقليم، ودور أمراء مدن قيليقية وهي أدنة –أضنة– والمصيّصة وطرسوس من الأمير تانكريد (Tankred) أمير الحملة الصليبية الأولى، وبيان أهمية موقف الأرمن من كل من الإمبراطوريّة البزنطية وسلاجقة الروم بعد قدوم الحملة ذاتها.

ومع أن بعض الدراسات تناولت جوانب من تاريخ الأرمن في الحروب الصليبية، إلا إنها لم تتحرى دراسته خلال هذه الحقبة التاريخية المهمة، للكشف عن العوامل التي حكمت العلاقات الأرمنية الصليبية، وبالتالي الإجابة على التساؤلات التالية: ما هو موقف الأرمن من الصليبيين في قيليقية(كيليكية)؟ مع أنهم كانوا يعيشون في وسط من أكثر مناطق العالم الإسلامي البيزنطي اضطراباً آنذاك. ولقد اتبعت هذه الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً حيث قمت بتحليل الروايات الخاصة بها، ومقارنتها مع بعضها البعض ونقدها، للتعرف على أراء ووجهات نظر كل من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين، حول موقف الأرمن من الصليبيين.

The attitude of the Armenians in the Cilicia Region toward the First Crusade (490.H/1096 A.D)

Dr. Fatima Saleem Tarawneh

faculty of arts and sciences

Petra University

Abstract

This study discusses the attitude of the Armenians in the Cilicia Region toward the First Crusade 490 AH, 1096 A.D. The study sought to disclose the attitude of the Armenians in the above-mentioned region toward the Crusaders, the position of the Princes of the Cilician cities of Adana, Msysia, and Tarsus toward Prince Tankred, Commander of the First Crusade, and the significance of the position of each of Byzantium and the Seljuks of Rum toward the First Crusade. It should be pointed out that this topic was discussed as part of a Master's Degree thesis. However, it deserves to be handled in a detailed and expanded fashion.

توطئة:

عندما توجهت الحملة الصليبية الأولى سنة (490هـ/1095م) [1]، نحو بلاد الشام بدعوى إنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين، اتخذت طريق البر عبر الأناضول خطاً لسيرها، وشمل تحركها هذا المناطق التي كان الأرمن قد اتخذوها مهجرا لهم، بعد اضطرارهم للخروج من وطنهم الأم أرمينية الكبرى [2]، لذا فقد كان متوقعا أن يكون للأرمن موقف من ذلك التحرك، وهو ما تتحرى هذه الدراسة الكشف عنه.

اختلفت الدراسات الحديثة حول اسم الأرمن وأصولهم العرقية، وأجمعت أنهم من الشعوب الهند أوروبية التي وصلت آسيا الصغرى وأرمينيا بعد تمازجهم مع سكانها الأصليين في القرن الثامن قبل الميلاد، حيث بدأت عشائر الأرمن بالانتشار في أجزاء من أرمينيّة ثم كونوا دولة هناك حملت اسمهم، أصبحت فيما بعد منطقة صراع بين القوى المجاورة لأرمينية كما سيشار لاحقاً[3].

أرمينية وصراع القوى السياسية قبل مجيء الحملة الصليبية الأولى (490-456هـ/1096-1063م):

تعتبر أرمينية الكبرى [4] (Greater Armenia) إقليما رئيسا في منطقة القوقاز التي تقع في أقصى شمال شرق البحر المتوسط، وهي محمية بسلاسل جبال القوقاز شمالاً وبحر قزوين شرقاً، والبحر الأسود غرباً، أما في الجنوب فإنَها تطل على آسيا الصغرى، وبلاد الشام، والجزيرة الفراتية، وبلاد فارس. وهي تقع بين خطي طول (37) و (49) شرقاً، وخطي عرض (37.5) و (41.5) شمالاً. وتمتد من أعلى الفرات غربا حتى ملتقى نهري الكور (Alcure) والرس (Arexes) قبيل مصبيهما في بحر قزوين شرقاً. كما تمتد من نهر دجلة وجزيرة ابن عمر حتى تفليس الواقعة على نهر الكور شمالا[5].

تمثل أرمينية الكبرى وحدة جغرافية في طبيعتها فهي تتألف من سلاسل جبلية متوازية ومتعددة ترتفع فوق مستوى سطح البحر (6000 قدم) وأعلاها جبل أرارات (Ararat) [6] الذي يبلغ ارتفاعه (5160 قدما) فوق مستوى سطح البحر[7].

أما جبال الأُغوز (Alagoz)، وجبال سيفان داغ (Suphen Dugh)، وجبال بنغول داغ (Bingol Dugh) فتتميز أنها جبال ذات فوهات بركانية خامدة، لذا فقد كثرت المعادن في أرمينية الكبرى، وتتقابل هذه الجبال في شمالي آسيا الصغرى وجنوبها بجبال إيران، وتكّون إقليما معقدا في تضاريسه ذا سلاسل جبلية وأودية وأحواض داخلية حول عقدة جبل أرارات. ويعد سهل آراكس (Arax) من أهم سهول أرمينية الكبرى التي ينخفض ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوال (3000قدم) وتعد أرمينية الكبرى من أغنى الأقاليم بالأنهار والبحيرات فهي تمتلك نهري الرس والكور، كما أن نهر دجلة ينبع من جبال طوروس الواقعة على حدودها الجنوبية إضافة إلى بحيرات سيفان (Suphan) وفان (Van) وبحيرة أُرمية (Uramia)[8].

إن أرمينية موقع بلادهم الحيوي بين الشرق والغرب، ومرور بعض طرق التجارة العالمية عبره جعل من بلادهم درعا واقيا ومنطقة حاجزة (Buffer Zone) أمام

القوى السياسية المحيطة بهم عبر العصور المختلفة[9].

وعلى الرغم من أن هذه الحصانة التي وفرتها الطبيعة قد حمت أرمينية كما تقدم، إلا أنها كانت محاطة بقوى أكبر منها، ابتداء بالإمبراطوريتين الرومانية والساسانية وانتهاء بالإمبراطوريتين: البيزنطية، والإسلامية. وأنها كانت ساحة صراع لهذه القوى وأنَ تلك الحصانة لم تعطها الفرصة الكافية للتوحد السياسي، على الرغم من المحاولات التي بذلت في هذا الاتجاه[10].

وقد ساعد على ذلك أن الأرمن الذين قدموا من آسيا الوسطى واستقروا في أرمينية الكبرى جاءوا على شكل قبائل فاستقرت كل قبيلة مع رئيسها في وادٍ أو أكثر من وديانها [11] وتحول رؤساء هذه القبائل —بمرور الزمن— إلى أمراء إقطاعيين [12]كل يحكم إقطاعيته متنافساً مع الآخرين، مما ساعد على تدخل كل من الإمبراطوريتين الرومانية والساسانية من أجل كسب لهذا الأمير أو ذاك تحقيقا لنفوذٍ لها فيها [13] وقد امتد صراع القوتين أمداً طويلاً وتمكن الفرس والروم من التحكم في كثير من الحالات في مصير أرمينية الكبرى. ولم يقتصر ذلك التأثير على الأمراء، بل شمل عامة الأرمن حيث حاولت كلتا القوتين أن تفرضا ديانتيهما عليهم لكي يكون ذلك وسيلة للتقارب مع أهلها، وقد جاء رد فعل الأرمن على هذه المحاولات باعتناقهم المسيحية على المذهب المونوفيزتي (Monphistism) مما يمكن اعتباره محاولة من الأرمن للحفاظ على هوية أرمنية دينية متميزة بعيدة عما يعتقده الفرس ورثة الساسانيين، والبيزنطيين ورثة والروم [14].

ومع أن الأرمن تعرضوا لاضطهاد مشترك من الفرس والروم بسبب موقعهم هذا، إلا أنهم صمدوا في وجه هذه الضغوط التي استمرت في العهد البيزنطي كذلك، وكان للكنيسة الأرمنية موقفها الصلب في هذا الاتجاه، فقد تمسكت بالمذهب المونوفيزتي ورفضت التحول إلى المذهب الأرثودوكسي وأعلنت ذلك صراحة خلال المجامع الدينية التي عقدت في مدينة دوين [15] (Duin) سنة 555م،وسنة 556م على التوالي[16] ومع أن صراع القوى السياسية الكبرى من أجل السيطرة على أرمينية الكبرى يرجع إلى حقب تاريخية قديمة[17] فإن ما تجد هذه الدراسة ضرورة التركيز عليه —ضمن هذا الصراع— هو صراع الإمبراطوريتين الإسلامية والبيزنطية خلال الحقبة التي سبقت

قيام الحروب الصليبية بأكثر من ثلاثة عشر عقداً من الزمن (490-358هـ/-967 1096م)، نظراً لعلاقة ذلك بالهجرة الأرمنية من أرمينية الكبرى إلى أرمينية الجديدة من جهة ولأنه كان – من نتائجه– بروز أحد أهم العوامل المؤثرة في تحديد الموقف الأرمني من الحروب الصليبية من جهة أخرى، وهو ما ستوضحه الدراسة فيما يلي:

أرمينية الكبرى وسياسة ضم بيزنطة لها (455-358هـ/1062-966م):

مرّ الصراع بين القوتين البيزنطية والإسلامية والذي كانت الساحة الأساسية فيه أرمينية الكبرى في حقبتين مختلفتين، كان لهما أثر كبير في مستقبل الأرمن وفي علاقاتهم الخارجية، أما الحقبة الأولى التي استمرت قرابة مائة عام (455-358هـ/-966 1062م) فقد شهدت توجهاً بيزنطياً لضم أرمينية الكبرى إليها، وتهجير الأرمن إلى بلاد أخرى تابعة لها كما سيتضح لاحقاً.

أما الحقبة الثانية والتي استمرت قرابة خمسون عقداً (490-456هـ/-1063 1096م) فقد شهدت إزاحة للنفوذ البيزنطي من أرمينية الكبرى من قبل السلاجقة الذين لم يهيمنوا على هذه البلاد فحسب بل رسخوا نفوذهم في معظم الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى خاصة، وهذا الأمر أزعج الأرمن وشعروا كأنهم فقدوا وطنهم الأم.

إن أخطر ما تعرضت له أرمينية الكبرى في إطار صراع القوى السياسية للسيطرة عليها هو ما بدأ(في أواسط القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي)،حيث استغلت الإمبراطورية البيزنطية ضعف غريمتها في الصراع على هذه البلاد وهي الدولة العباسية[18] فعملت على إزاحة نفوذها مما كان تحت سيطرتها في أرمينية الكبرى، وبدأت خطوات بضمها كليا إليها[19] من أبرز من قام بذلك أبناء الأمير أشوط الطاروني Ashot of Taron (329-356هـ/940-966م) -- الذي توفي سنة(357هـ/965م)[20] فقد تنازلوا لبيزنطة عن إقليم الطارون (Taron)، الذين كانوا يتصارعون عليه بعد وفاة والدهم سنة(385هـ966-م) وحصلوا مقابل ذلك على ضيعة خصبة في آسيا الصغرى ثم استولت بيزنطة سنة(359هـ/967م) على ملاذكرد ((Manazkert[21]) ثم تمكنت في السنوات التالية (455-382هـ/1062-999م) من أن تفرض

هيمنتها على مدن خلاط [22] وأرجيش [23] وعدة نواح في أرمينية الكبرى، ويبدو أن سياسة بيزنطة هذه بدأت تفعل فعلها، حيث تنازل الملك داؤود (Davud) لبيزنطة عن إقليم الطاييك (Tayk) سنة(391هـ/1001م) وهو ما دفع أمراء آخرين إلى مزيد من التنازلات وشجعهم على ذلك قيام السلاجقة بتكثيف هجماتهم على مدن أرمينية الكبرى سنة(412هـ/1021م) [24] وكان من أبرز الأمراء الذين تركوا البلاد هو الأمير الأرمني سنحاريب (Senekarim) أمير الفاسبوراكان (Vasborakan) سنة(421هـ/1021م) مقابل منحه إقطاعية بديلة في سيواس ([25]Sabastia) والأقاليم المحيطة بها ومنحه لقب ماجستروس ([26] Magedtrous) وقد أعقبه الملك يوحنا سمباد (434-413هـ/1042-1022) الذي تنازل عن العاصمة الأرمنية آني، وإن كان قد أرجأ هذا التنازل إلى ما بعد وفاته. ومع أن ابنه جاجيك الثاني (437-434) (Gagik IIهـ/1045-1042م) الذي حل محله في الحكم تردد في تنفيذ ذلك إلا أن بيزنطة لجأت إلى استخدام الدبلوماسية معه، حيث دعته لزيارة القسطنطينية فقبل ذلك مرغماً، فلما وصلها عُرض عليه أن يتنازل لها عن آني عاصمة أرمينية آنذاك والأقاليم التابعة لها، وأطلعته على وثيقة التنازل التي سبق لوالده الملك يوحنا أن قدمها لهم من قبل، فلم يجد جاجيك أمام ذلك سوى التنازل عنها سنة(437هـ/1045م) [27] مقابل منحه إقطاعات في آسيا الصغرى ضمن قبادوقيا وهكذا ضمت بيزنطة لها معظم أرمينية الكبرى[28].

ولم تحل سنة(455هـ/1062م) حتى شمل ذلك مدن سيوني وقرس الأرمنيتين ، ومنح أمير قرس إقطاعات في آسيا الصغرى في قيصرية وغيرها وبذلك تحولت أرمينية إلى مجموعة من الثيمات البيزنطية وخضعت إلى نظام إداري صارم ارتبط مباشرة بالإدارة البيزنطية في القسطنطينية. ومع أن أعدادا من الأرمن غادروا أرمينية الكبرى تبعاً لأمرائهم المشار إليهم، فإن أولئك الذين آثروا البقاء فيها منهم وقعوا تحت وطأة الضرائب الباهظة التي فرضتها عليهم بيزنطة كتلك التي فرضتها على رجال الدين الأرمن كما قامت الإدارة البيزنطية بإجبار بعض الأرمن على العمل بالسخرة[29]، ثم حاولت إرغامهم على ترك مذهبهم المونوفيزتي وعرضت بعض أساقفتهم إلى ألوان من التعذيب كالأسقف هوفهانس (Hovhannes) والأسقف سيون (Sion) مما جعل الهجرة متصلة ودفع أعدادا كبيرة من الأرمن للالتحاق بالمهاجرين السابقين [30].

في ظل هذا الوضع الذي عاشه الأرمن في موطنهم؛ أرمينية الكبرى وفي ظل تحول ميزان القوى فيها –أرمينية الكبرى– لصالح بيزنطة بالشكل الذي انتهى إليه فيها سنة(455هـ/1062م) لم يكن هذا ليرضي الدولة العباسية التي خسرت نفوذها وأصبحت مهددة باعتداءات بيزنطة عبر حدودها المجاورة لأرمينية فما هو رد فعلها ؟ وكيف تطور الموقف بين الدولة العباسية وبين بيزنطة ؟ وما هي تأثيرات ذلك على الأرمن سواء أولئك الذين بقوا في أرمينية الكبرى، أو الذين هاجروا إلى جهات أخرى ؟ هذا ما ستجيب عنه الدراسة في الفقرات اللاحقة.

إن حصول بيزنطة على هيمنة كاملة على أرمينية الكبرى، وتحويل أقاليمها إلى ثيمات عسكرية بيزنطية كان يعني إزاحة للنفوذ العباسي في أرمينية الكبرى، وخللاً في التوازن السياسي بين هاتين القوتين بل أنه شجع على قيام بيزنطة بمهاجمة ثغور [31] الدولة العباسية والتغلغل عسكرياً في البلدان التابعة لها في شرقي الأناضول [32].

جاء رد فعل الخلافة العباسية . متمثلا بالسلطنة السلجوقية .[33] التي كانت قد اعترفت بها سنة(429هـ/1037م)وعهدت إليها منذ سنة(447هـ/1054م) بمسؤولية الدفاع عن بلدان الخلافة، فقد قام السلطان طغرلبك (455-429هـ/-1037 1062م) بتوجيه غزوات خاطفة على أقاليم أرمينية الكبرى [34] وهاجم إقليم الفاسبوراكان سنة(412هـ/1021م)، وملاذكرد وآرزن سنة(440هـ/1048م)، وقرس وآرجيش والطارون بين سنتي (450-446هـ/1058-1052م) [35].

كانت هذه الغزوات مقدمة للهجوم الواسع الذي قاده السلطان ألب أرسلان (464-456هـ/1072-1063م)[36] والذي نجح في السيطرة على مدينة آني[37] العاصمة الأرمنية في(26شعبان 456هـ/16 آب 1063م) [38]ثم مدينة قرس ولوري وقيصرية سنة (458هـ/1065م)[39] ثم تلاه بعد أربع سنوات من هذا التاريخ سيطرته على خونيه وأرجيش سنة(462هـ/1070م)[40].

لقد كانت سنة(456هـ/1063م) واحدة من أهم السنوات في التاريخ الأرمني، فقد أعقب سقوط العاصمة الأرمنية آني اتساع السيطرة السلجوقية لتشمل أرمينية الكبرى، ولتضع الأرمن أمام حالة جديدة من الاضطراب والقلق انقسموا معها إلى

قسمين: القسم الأول ويمثله أولئك الذين بدأوا هجرة جديدة نحو أقاليم هجرتهم الأولى التي كانوا قد بدأوها منذ أكثر من تسعة عقود (455-358هـ/1062-966م) [41] أما القسم الثاني فهم الذين آثروا البقاء في أرمينية الكبرى ووجدوا – على ما يبدو – في الإدارة السلجوقية خلاصاً لهم من هيمنة الإدارة البيزنطية ومما كانت تمارسه من اضطهاد ديني ضدهم [42].

لقد كان سقوط آني ثم سيطرة السلاجقة على أرمينية الكبرى مقدمة لصراع سلجوقي بيزنطي عليها، ومع أن رد فعل الدولة البيزنطية تجاه هذه المتغيرات جاء متأخرا ثماني سنوات بعد ذلك . فقد دفعت بأقصى قدراتها العسكرية نحو أرمينية الكبرى بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينس((Romanous Diogenes 460-464)هـ / 1060-1072م) [43]غير أن تحركها هذا انتهى بفشل ذريع في معركة ملاذكرد [44]، الشهيرة التي وقعت سنة(463هـ/1071) [45] فقد أُسر الإمبراطور المشار إليه وتغلغل السلاجقة في عهد ألب أرسلان [46] ثم في عهد ابنه ملكشاه (465-485هـ/1065-1092م) فسيطروا على كل المرتفعات الشرقية وهضبة الأناضول [47]وأقاموا فيها سنة(470هـ/1077م) كيانا مستقلا وهو ما يعرف بسلطنة سلاجقة الروم [48] والتي أصبحت نيقية عاصمة لها، ثم أُقيم كيان سياسي آخر في سيواس تمثل في الإمارة الدانشمندية (Danshmand) سنة (477هـ / 1084م) [49]، كما أن إمارة جديدة أخذت في الظهور في أعالي الجزيرة الفراتية تمثلت بالأراتقة [50].

أمام هذه التغييرات في أوضاع أرمينية الكبرى السياسية والذي لم يقتصر على سيطرة السلاجقة عليها، بل تعداه إلى تمكنهم من التغلغل في أرجاء واسعة تحيط بها في آسيا الصغرى، حصل للأرمن هجرة جديدة هي الأوسع قياسا على ما سبق، توجهت إلى ذات الأماكن التي استقرت فيها الهجرة الأولى والثانية المشار إليهما، وكونت هناك عددا من الإمارات إضافة إلى تجمعات أرمنية انتشرت في هذه المدينة أو تلك [15].

هذا وقد شملت مناطق الأرمن الجديدة التي هاجروا إليها إقليمي قيليقية (Cilicia) [52] وقبادوقيا (Cappadoice)[53]، ومدناً عدة في أعالي الفرات وأطرافه أبرزها: مدينة الرها (Edessa)، إضافة إلى مدينة أنطاكية (Antoich .

وتقع قيليقية موضوع الدراسة جنوب شرق أرمينية الكبرى، غربي قبادوقيا وجبال البنطس من الجزء الجنوبي.

ترى كيف أصبح عليه الواقع الأرمني في أرمينية الجديدة، أمام القوى السياسية المجاورة والمحيطة بها ؟ وما هي طبيعة علاقتهم بالدولة البيزنطية، والسلطنة السلجوقية، اللتين كانتا السبب المباشر في هجرة الأرمن من بلادهم الأم، أرمينية الكبرى ثم اضطرارهم للاستقرار في وطن بديل، هو أرمينية الجديدة، وكيف كان موقف الأرمن في واقعهم هذا تجاه قوة سياسية جديدة، تزامن ظهورها مع هذه المرحلة تمثل بالصليبيين الذين وصلت حملتهم الصليبية الأولى إلى آسيا الصغرى سنة(490هـ/1095م).

الأوضاع السياسية لإقليم قيليقية (490هـ/1095م):

تركّزت التجمعات الأرمنية في إقليم قيليقية، في مدن أضنة، طرسوس، المصيصة، عين زربة، فقد كانت موئلاً لأعداد كبيرة من المهاجرين الأرمن منذ القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، وظلت كذلك. وما أن سقطت عاصمة أرمينية الكبرى (آني) بيد السلاجقة سنة(456هـ/1063م)، حتى بدأ الأرمن هجرة جديدة نحو قيليقية ثم جاءت موقعة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م) لتدفع بأعداد كبيرة أخرى من المهاجرين إليها، وقد عاش هؤلاء حياة غير مستقرة بين هيمنة البيزنطيين تارة والسلاجقة تارة أخرى. ولقد كان بين من هاجر إلى قيليقية عدد من نبلاء الأرمن منهم الأميران: روبين [54]، وأوشين [55]، اللذان نجح كل منهما في تأسيس إمارة أرمنية له سنة(474هـ/1084م)،هذا في الوقت الذي حاول فيه أمير ارمني آخر هو فيلاريتوس [56]من تأسيس إمارة أرمنية موحدة ضمن قيليقية أيضاً وأخذ يدعم مركزه فيها، إلا أنّ السلاجقة هاجموهُ وسيطروا على معظم إمارته بالتعاون مع خصومه من الأرمن أنفسهم، وبخاصة في الرها وأنطاكية [57].

ومع أن إمارة روبين في شرقي قيليقية، وإمارة أوشين في غربيهاكانتا متنافستين منذ سنة (470هـ/1077م)، إلا أنهما (وبخاصة إمارة روبين) استفادتا من انشغال فيلاريتوس بأوضاع إمارته وخاصة في الرها وأنطاكية، وتمكنتا من تأكيد شوكتهما [58]. وعلينا هنا تحقيقاً لمتطلبات الدراسة استعراض الأوضاع التي كانت تعيشها الإمارات

الصليبية إبان وصول الحملة الصليبية الأولى سنة(490/1095م) إلى آسيا الصغرى (الأناضول).

1. إمارة أوشين بن هيثوم في غربي قيليقية (623-470هـ/-1078 1221م):

أسس هذه الإمارة الأمير أوشين بن هيثوم، بعد هجرته إلى قيليقية أثر موقعة ملاذكرد سنة(463هـ/1071م)، فاتخذ من قلعة لامبرون ([59] (Lamperon) مقراً وعاصمة لإمارته منذ سنة(474هـ/1081م) [60].

سعت هذه الإمارة إلى ضم مدن قيليقية (أضنة، طرسوس، المصيصة وعين زربة) والتي كانت تحت الحماية السلجوقية، متنافسة مع إمارة روبين الأرمنية عليها، نظراً لأهمية تلك المدن الاقتصادية، وبخاصة أن منطقة شرقي قيليقية التي سكنها آل روبين منطقة جبلية، والمدن التي يتنافس عليها مع أوشين ذات طبيعة سهلية وهي كذلك ثرية [61]، وقد أعلن أوشين تبعيته لبيزنطة واعتنق مذهبها الأُرثوذوكسي.

ويبدو أنه أراد بذلك تعزيز موقفه في التنافس مع إمارة روبين، وبما يمكنه من تنفيذ تطلعاته المشار إليها في التوسع في مدن قيليقية المتقدم ذكرها، وبقي هذا الصراع قائما بين الإمارتين دون أن تستطيع إحداهما حسم الأمر لصالحها، وكان هذا هو الوضع عند وصول الصليبيين في حملتهم الأولى إلى قيليقية سنة(490هـ/1095م) [62].

2. إمارة روبين شرقي قيليقية (777-474هـ/1375-1082م):

كان الأمير الأرمني روبين من النبلاء الأرمن الذين هاجروا إلى قيليقية بعد موقعة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م) [63]، وكان له رفاقه وأتباعه من الأرمن وقد دأب على فرض هيمنته على بعض مواقع في قيليقية [64]. وقد اتخذ هذا الأمير قلعة كورموزول (بارتزبرت) الحصينة قاعدة لعملياته العسكرية فالتف حوله الأرمن في تلك الأرجاء، وقدم له أحد الامراء الذين كانوا قد هاجروا بعد موقعة ملاذكرد(463هـ/1071م) [65]، وهو الأمير كوغ واسيل (Kugh wail) عونه في السيطرة على مدن عدة في قيليقية مكنته من أن يؤسس سنة (474هـ/1082م) إمارة له شرقي قيليقية متخذا من

مدينة سيس (Sis) عاصمة لإمارته [66].

وقد عمل الأمير روبين (489-474هـ/1095-1082م) على تنظيم شؤون تلك الإمارة حسب الأُسس الإقطاعية، وقد أفاد من شبكة الطرق التجارية التي تمر عبر إمارته لتنميتها اقتصادياً [67]. وتأكيدا على استقلال إمارته، رفض إعطاء الولاء لبيزنطة، كما رفض أن يترك مذهبه المونوفيزتي [68]، وهذا ما اكسبه شعبية بين الأرمن الذين عرفوا بكرههم لبيزنطة وتمسكهم بمذهبهم الديني المناهض لمذهب بيزنطة الأُرثوذكسي [69]. ودفعه صراعه مع بيزنطة إلى محاولة كسب السلاجقة بدفع جزية مقررة لهم تبعده عن الاصطدام بهم، وتوفر له حرية الحركة لتوسيع نفوذه في مدن قيليقية، والربط بين إمارته وبين المدن الواقعة على الطرق التجارية المؤدية إلى المنافذ البحرية [70]..

استمرت السياسة التي اتبعها الأمير روبين، ضد بيزنطة من جهة، وضد حليفتها إمارة أوشين من جهة أخرى، في عهد خلفه ابنه الأمير قسطنطين الأول (494-489هـ/1100-1095م) حتى قدوم الحملة الصليبية الأولى إلى هذه الأرجاء [71]، مما سيفتح بابا لحلقة أُخرى من حلقات الصراع في بلاد الأرمن .

موقف الأرمن في إقليم قيليقية من الحملة الصليبية الأولى سنة (490هـ/1095م):

وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى مشارف القسطنطينية سنة(490هـ / 1095م)، ودخل قادتها في مفاوضات مع الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الأول الذي كان حريصاً أن يقنعهم بقسم يمين الولاء له، وأن تسير الحملة حسب توجيهاته [72]. نجح الإمبراطور البيزنطي في حمل القائد الاعلى للحملة وهو بوهيمند النورماني، [73] ومن معه من القادة على الانصياع لأوامره وأداء اليمين وقد كان من أبرز عناصر الاتفاق بين الإمبراطور والقادة الصليبيين تعهّدهم [74]، برد المدن البيزنطية التي سبق أن استولت عليها سلطنة سلاجقة الروم إلى السيادة البيزنطية في حالة تمكنهم من استعادتها [75].

وقد كان هذا يعني أن السلطنة المشار إليها ستكون الهدف المباشر للحملة

الصليبية الأولى، وهو ما حصل فعلاً، إذ بدأ الصليبيون أول عمل عسكري لهم بمحاصرة العاصمة السلجوقية نيقية[76] لتي استسلمت لهم في سنة(490هـ / 20 حزيران 1095م)، ثم أعقب ذلك هزيمة الجيش السلجوقي في معركة دوريليوم Doryleaum (أسكي شهر الحالية)، مما أتاح للصليبيين التوغل باتجاه التجمعات والإمارات الأرمنية الخاصة بسلاجقة الروم في قبادوقيا ثم في قيليقية وما جاورها [77]. فما هو موقف الأرمن تجاه هذه المتغيرات وتجاه الصليبيين بشكل خاص؟.

بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي تحدثت عن احداث الحملة الصليبية الأولى، والتي وردت عند ريموندجيل، والشارتري، وماثيو الرهاوي، وأناكومنينا، وميخائيل السوري، والمؤرخ السرياني المجهول، وابن القلانسي، وابن الأثير، يتضح أنهم لم يتطرقوا لتحركات الحملة بعد مغادرتها قونية سنة(490هـ / تشرين أول 1095م) [78] وتوغلها في إقليم قيليقية، إلا عرضاً [79]. فهل يعني هذا غياباً، أم إغفالاً للدور الأرمني في هذا الإقليم تجاه الصليبيين؟ غير أنَ هذا النقص في معلومات المؤرخين ممن تقدم ذكرهم، عن دور الأرمن وموقفهم من الصليبيين في قيليقية، قد غطاه المؤرخ المجهول — وهو مؤرخ معاصر للحملة الصليبية الأولى — إلى حد كبير -، بل إنه تحدث صراحة عن أن الصليبيين "دخلوا بلاد الأرمن ... "، ويقصد بذلك مدن: قيصرية، كومانا، جكسو، وحصن سيمون [80].

ورغم أن وليم الصوري مؤرخ متأخر نسبيا، فإن مادته عن مدن قيليقية (طرسوس، أضنة، المصّيصة) غنية، كما وأنها تتكامل مع المادة التي قدمها المؤرخ المجهول، بما يمكن معه الوصول إلى صورة أكثر وضوحا عن دور الأرمن في المدن المشار إليها [81].

وإذا كان الصليبيون قد واجهوا قدراً كبيراً من الترحيب في التجمعات الأرمنية في قبادوقيا وما يجاورها ابتداء بحصن سيمون وانتهاء بمرعش فإن هذا الأمر لم يكن على هذه الشاكلة، عندما اقتربت حملتان صغيرتان تفرعتا من الجيش الصليبي الرئيسي في قيليقية كانت أولهما بقيادة الأمير الصليبي تانكريد [82] Tancred) التي وصلت أولا، ثم أعقبتها الثانية، والتي كانت بقيادة الكونت بلدوين البولوني ((Baldwin [83]). ويرجع سبب ذلك إلى أن قيليقية شهدت صراع أكثر من قوة سياسية أرمنية وسلجوقية كان لكل منها مصالحها وأهدافها الخاصة التي تعمل على تحقيقها. أما عن

هذه القوى فهي :

1. التجمعات الأرمنية الواسعة في مدن طرسوس، وأضنة، والمصّيصة .
2. إمارة أوشين بن هيثوم في غربي قيليقية.
3. إمارة آل روبين في شرقي قيليقية وعلى رأسها الأمير الأرمني قسطنطين بن روبين.
4. الحاميات السلجوقية في المدن المشار إليها أعلاه والتي كانت مهمتها فرض السيادة السلجوقية عليها وحمايتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين اثنين :

أ. أن حملتي تانكريد وبلدوين كانتا تتسابقان من أجل فرض سيطرتهما على الإقليم، وهو ما زاد الموقف تعقيداً في قيليقية .

ب. إن قائد إحدى الحملتين؛ وهو الكونت بلدوين البولوني كان يعتبر نفسه الأقرب إلى الأرمن —وهم غالبية أهل الإقليم- بحكم الصلة التي كانت تربطه بأمير أرمني اسمه بقراط (باكراد)، تعرف عليه في نيقية سنة(490/1095م)، والذي استطاع أن يقنعه بأن الأرمن بأمس الحاجة لمساعدته، وهو ما اعتبره الكونت بلدوين فرصه لتحقيق طموحاته. لذا فقد دخل الأمير الأرمني في صراع مع الأمير تانكريد قائد الحملة الثانية، رغبة منه في تحقيق طموحاته، وقد أدى هذا إلى زيادة الموقف في مدن قيليقية تعقيداً[48].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هو موقف الأرمن ودورهم نحو أميرين صليبيين يرغب كل منهما في فرض سيادته على أراضيهم ؟

أولا: موقف الأرمن في مدينة طرسوس من حملة الأمير تانكريد الصليبية سنة (490هـ/1095م):

كان أهالي طرسوس يتألفون من الأرمن والإغريق إلى جانب عدد من الترك،

أي سلاجقة الروم وقد ذكر وليم الصوري " أن الأرمن والإغريق لم يكن يسمح لهم باستلام السلاح، وأنهم لهذا السبب انصرفوا لممارسة التجارة والانشغال بالزراعة"، في حين أن ذلك –أي حمل السلاح- كان من حق القلة التركية -أي السلجوقية–" التي كانت حراسة الحصون موكولة إليهم في الوقت الذي كانوا فيه يتعاملون بغلظة مع السكان – كما يفهم من الصوري – الذي يذكر أيضا أنهم اعتمدوا سياسة قمع الأهالي بالشدة. لذا فقد كان طبيعيا أن يتطلع سكان هذه المدينة من الأرمن وغيرهم إلى الخلاص من الحكم السلجوقي، ويبدو أن أخبار الحملة الصليبية الأولى وقائدها الأمير بوهيمند كانت قد وصلتهم، وأنهم كانوا يتوقعون أن يكون خلاصهم من السلاجقة على يد هذا الأمير ، غير أنهم فوجئوا بوصول حملة صغيرة بقيادة الأمير تانكريد الذي ما أن وصل حتى قام بمحاصرة المدينة بمن فيها من الأرمن، والإغريق، والحامية السلجوقية[85].

وهنا ترد روايتان مختلفتان تصوران تطور الأحداث، الرواية الأولى رواية المؤرخ المجهول، الذي كان معاصراً للحملة التي يفهم منها أن تانكريد انتصر على الحامية السلجوقية التي خرجت لمواجهته ثم اضطرت إلى التراجع ثانية نحو مواقعها في المدينة، إلا أنها لم تلبث أن اتجهت هاربة إلى الأطراف القريبة من المدينة. ولقد أثار انسحاب الحامية هذا، ارتباكاً كبيراً لدى الأرمن، وسكان المدينة الآخرين، لذا فقد قام السكان بالمناداة على الصليبيين في ذات الليلة التي خرج فيها السلاجقة، وهم يرفعون أصواتهم، رغبة في أن يصل ترحيبهم إلى معسكر الصليبيين، حيث قالوا: "بادروا أيها الفرنجة المنتصرون، بادروا فإن الترك الذين اضطربوا خوفاً قد انصرفوا جميعا في آن واحد" [86].

ويبدو – حسب رواية المؤرخ المجهول – أن هذا الحدث تزامن صباح اليوم التالي مع وصول الحملة الثانية بقيادة الكونت بلدوين، الذي أظهر هو وقواته عدم رضاهم عن المكانة الجيدة التي حققها الأمير تانكريد بين الأرمن في طرسوس، وبدأوا يطالبونه باقتسام النفوذ فيها، مما أثار خلافا كبيرا بين الطرفين حسمه أشراف المدينة الذين بادروا من تلقاء أنفسهم وقالوا للمتنازعين حول هذا الموضوع: " أقصروا أيها السادة أقصروا، إننا نطلب إليكم ونسألكم أن تسودوا علينا هذا الأمير [تانكريد] الذي استبسل أمس في محاربة الترك" وأعلنوا له أنهم مستعدون لتسليم المدينة إليه فعلاً. إلا أن هذا القرار لم

يرق للكونت بلدوين كذلك فبدأ يحاجج تانكريد قائلا: " فلندخل المدينة معاً وننهبها وليقم على حراستها من يصب النصيب الأوفى، وليحتلها من يستطيع غزوها ". ويبدو أن جدلاً واسعاً قام بين الطرفين، على الأرجح لم يشأ المؤرخ المجهول أن يفصّله، بل اكتفى بذكر جواب تانكريد الذي قال فيه:" لقد اختارني رجال هذه المدينة أميراً عليهم وهم لا يريدون سواي أميراً ". ثم قدم المؤرخ المجهول صورة نبيلة عنه وعن شجاعته وكيف أنه انسحب من ميدان الصراع على المدينة لصالح منافسه الكونت بلدوين بقوله: " ثم لم يشأ تانكريد الشجاع أن يذهب أكثر من هذا في مناضلة الكونت بلدوين ذي الجيش القوي، وترك المدينة طوعاً أو كرهاً، وارتد بشجاعة مع جيشه" (87).

في ضوء رواية المؤرخ المجهول نستخلص ثلاثة عوامل كان لها تأثيرها في انسحاب تانكريد من الميدان هي :

1. قوة جيش الكونت بلدوين قياساً إلى جيش تانكريد.
2. أن انسحابه تانكريد جاء تحت ضغوط لم يوضحها المؤرخ المجهول في شهادته، وهي التي عبر عنها بكلمة "كرها".
3. أن انسحاب تانكريد جاء نتيجة تقييمه للموقف وأنه آثر ألا يمعن في قيام حرب بين الطرفين الصليبيين وفضّل الانسحاب ''طواعية'' (88).

أما عن الرواية الثانية، فقد أوردها المؤرخ وليم الصوري، حيث ذكر أن تانكريد قام بمحاصرة مدينة طرسوس وطالبها بالاعتراف بسلطته، ورفع رايته على أبراجها، واتّبع في تحقيق ذلك أسلوب الترغيب والترهيب، مما يعني أنه دخل في مفاوضات مع المدينة انتهت بالوصول إلى اتفاق أن يقبلوا ما رسمه من إدخال رايته ورفعها على أحد أبراجها، رمزا لاعترافهم بالخضوع له غير أن هذه الاستجابة كانت مشروطة بموافقته على:

1. " أن يظلهم بحمايته "من أي اعتداء قد يتعرضون له.
2. أن سيادته على المدينة تنتهي مع حضور الأمير بوهيمند القائد الأعلى للجيش الصليبي وتسليم المدينة إليه.
3. ألا يجعلهم يغادرون أراضيهم الزراعية.

ويفهم من الرواية الثانية للصوري أن حملة الكونت بلدوين وصلت إلى مشارف طرسوس، بينما كان الأمير تانكريد يتهيأ للدخول إلى المدينة، وكانت رايته قد سبقته إليها ورفعت على أحد أبراجها مما أغضب رجال بلدوين من جرأة تانكريد في الوقت الذي يوجد فيه كثيرون غيره من الأمراء الحاضرين وهم أكثر منه جنداً، وأكثف عسكرا على حد تعبير معارضي تانكريد .

وقد أوضح الصوري تطورات ما أعقب ذلك من صراع بين الأميرين الصليبيين على مرأى ومسمع من سكان المدينة من الأرمن وغيرهم فذكر أن بلدوين " تطاول على تانكريد سفيهة، وأدت غطرسته إلى مأزق أوشك فيه كل منهما أن يقاتل صاحبه ويفتك به " بل أن بلدوين" استدعى إليه أهل البلد وهددهم علانية بتخريب المدينة وما جاورها من النواحي، غير عابئ بما وعدهم به تانكريد من بسط حمايته عليهم، إن لم يبادروا إلى إنزال راية تانكريد ونصب رايته هو مكانها " (89).

ويبدو أن هذا الموقف المتأزم بين الأميرين الصليبيين هو ما دفع أهل المدينة من الأرمن والإغريق للتدخل، وحسم الموقف من جانبهم فقد" رأوا أن بلدوين أشد من تانكريد بأساً وأكثر منه جنداً" على حد قول الصوري فأثروا أن يذعنوا له على الشروط نفسها التي سبق لهم اشتراطها على الأمير تانكريد فقاموا بإنزال رايته ورفع راية الكونت بلدوين مكانها.

لقد كان هذا الموقف من قبل أهالي طرسوس هو ما دفع الأمير تانكريد إلى نقض معسكره وإلى أن يرتد إلى مدينة مجاورة. وقد اعتبر الصوري تصرف الأمير الصليبي متعقلاً وحكيماً بقوله :" ولما رأى تانكريد هذا الحيف الذي حاف به، أحرقه الغيظ عن حق، لكنه كظم غيظه، بفضل ما طبع عليه من رجاحة العقل ومن تعوده الصبر على تحمل الآلام وشفقة منه من حدوث شقاق خطير بين قوات المؤمنين ". يُفهم مما أورده الصوري عن وضع مدينة طرسوس بعد رحيل الأمير تانكريد عنها وتولي الكونت بلدوين عليها أن أهلها من الأرمن وغيرهم وقعوا تحت وطأة تأنيب وتهديدات الكونت بلدوين لهم، رغبة منه في تأكيد هيمنته عليهم غير أنه لم يذكر شيئا عن موضوع هذا التأنيب أو تلك التهديدات .

ومهما يكن من أمر، فقد قام الأرمن بإدخال "بلدوين وجميع عسكره [إلى المدينة] وخصّصوا له برجين جعلوهما سكناً خاصاً له في حين تفرق جنده في بيوت الأهالي"[90] وتؤيد المصادر الأرمنية ذلك حيث أن الأرمن ساعدوا الصليبيين وقدموا لهم " مواكيل (أكل) كثيرة وذخيرة وافرة .." [91].

ليس ثمة إشارة لدى الصوري أو غيره عن أية ردود فعل للأرمن تجاه السياسة التي اتبعها الكونت بلدوين، وإن كان بالإمكان أن يستنتج منها أنهم لم يكونوا على انسجام معه من خلال تعاونهم مع مجموعة من الفرسان الصليبيين، الذين وصلوا المدينة لنصرة الأمير تانكريد – ظنا منهم أنه ما يزال فيها – فلم يسمح لهم الكونت بلدوين بالدخول إليها وعندها راح سكان المدينة " يدلون الحبال بالسلال من الأسوار ملأى بالخبز وأمدوهم بالطعام الكافي " ويُفهم من هذا أن مشاعر أهل المدينة من الأرمن وغيرهم لم تكن مع الكونت بلدوين ذلك أنهم – كما قال الصوري – " لم تكن تنقصهم العواطف الأخوية ... " تجاه قوات محسوبة على الأمير تانكريد [92].

ويختتم الصوري روايته عن طرسوس بالإشارة إلى أن الكونت بلدوين غادرها بعد أن ترك جينمار البولوني (Gunimar)[93] نائباً عنه فيها على رأس حامية صليبية عسكرية لحماية المدينة .ويبدو أن الكونت بلدوين خاف أن تتعرض المدينة لمهاجمة السلاجقة، أو أن يحاول الأرمن فيها الاتصال مع الأمير تانكريد لإعادته إلى المدينة، خاصة أنهم لا يرحبون به، وأن مشاعرهم، وعواطفهم، لا تزال مع تانكريد.

نستنتج مما تقدم، استناداً إلى روايتي المؤرخ المجهول والصوري التالي :

1. إن ما جرى من حوار بين الأرمن في طرسوس وبين الأمير تانكريد، ثم بينهم وبين الكونت بلدوين من حيث إصرارهم على التعهد بحمايتهم وعدم إجبارهم على ترك دورهم أو مزارعهم، أنهم كانوا في ظل الحكم السلجوقي مفتقرين إلى حياة آمنة ، كما أن مصدر عيشهم الأساسي -- وهو الزراعة – كان مهدداً وأنهم كانوا يتطلعون إلى الصليبيين على أنهم الأمل في تحقيق وضع أفضل لهم .

2. إن إصرار الأرمن في طرسوس على أن يكون تسليم المدينة إلى الأمير تانكريد، ثم إلى الكونت بلدوين، تسليماً مرحلياً معلقاً على قدوم الأمير بوهيمند – وهو

الرأس الأعلى للحملة الصليبية—يشعر أنهم كانوا يتطلعون إلى ضمانات أكبر مما اشترطوه أساساً لتسليم المدينة وإعلان تبعيتها الصليبيين، وهو ما يبدو أنهم وجدوه في شخصية بوهيمند نظراً لما كان يتمتع به من سمعة ومكانة في الحملة مقارنة بغيره [49].

3. إن الدور الذي أداه الأرمن في طرسوس تجاه الصليبيين – وبغض النظر عما إذا كانوا قد حققوا أهدافهم المشار إليها آنفا أم لا – فأنهم كانوا عاملاً في تهميش القوة السلجوقية ومنعها من أن تتخذ من مدينتهم؛ ذات الموقع الحيوي، مجالاً لضرب القوى الصليبية، وقد ساعد هذا على تخفيف الضغط السلجوقي على الحملة الصليبية الرئيسة [59] ومكنها من تحقيق انتصارات سنسلط عليها الضوء في الصفحات التالية.

في ظل هذا الوضع الذي عكس صراعاً بين الأميرين الصليبيين الأمير تانكريد والكونت بلدوين والذي أظهر مدى ارتباطهما بمصالحهما دون المصالح الأرمنية كما هو واضح مما سبق ذكره ، لابد من التساؤل عن الشكل الذي ستكون عليه ردة فعل الأرمن في كل من مدينتي أضنة والمصّيصة اللتين توجه إليهما الأمير تانكريد، وهما على النحو التالي:

ثانيا: موقف الأرمن في أذنة من حملة تانكريد الصليبية سنة (490هـ/1095م):

تتناقض رواية المؤرخ المجهول بخصوص موقف الأرمن في مدينة أضنة من حملة تانكريد مع رواية الصوري، حيث يشير أولهما إلى أن المدينة استسلمت لتانكريد [96]، أما ثانيهما فيقول أن تانكريد عندما بلغ أضنة " لم يأذن له أهلها بدخولها "ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأرمن فيها كانوا تحت هيمنة أحد الفرسان من الصليبيين واسمه (جيلف) [97] الذي كان قد نجح بمهاجمة الحامية السلجوقية فيها مما اضطرها إلى الهرب – على حد رواية الصوري – لذا فقد تصرف تانكريد تجاه الموقف الذي استجد أمامه، باعتباره زائراً وليس فاتحاً، ولذا فقد قام بإرسال رسله إلى جيلف يعلمه فيه " أنه يبغي النزول بها وشراء ما يحتاجه عسكره من ضرورات العيش". وقد نجح الرسل، وقام جيلف

بإمداد تانكريد " بكل ما هو لازم لهم من كميات وفيرة جعل بعضها إليه هبة والبعض الآخر بأثمان معقولة" (98).

ويذكر الصوري أن مقام الأمير تانكريد في أضنة لم يطل حيث ترك المدينة واتجه إلى المصيصة. أما الصورة التي يقدمها كل من البرت أكس ورادولف عن أضنة عند وصول حملة الأمير تانكريد فتتلخص في أن المدينة كانت خاضعة لثلاث قوى هي(99): قوة " الأمير أوشين أمير لامبرون " الذي كان قد" قام حديثا بالإغارة على المدينة وترك بها قوة نازعت الترك [السلاجقة] السلطة " وقوة الأمير جيلف البرجندي – وهو أحد الفرسان الصليبيين الذي انفصل عن الجيش الرئيس – الذي استولى على قلعة المدينة، والحامية السلجوقية. أما مجرى الأحداث بعيد وصول الأمير تانكريد، كما تقدمه المصادر المشار إليها فتتلخص بقيام الترك [السلاجقة] بالانسحاب من المدينة بعد قدوم الأمير تانكريد وترحيب جيلف في قلعته بعساكر الأمير تانكريد الذي اعترف [تانكريد] امتلاكه للقلعة "ثم قدم الأمير أوشين "فحمد لتانكريد قدومه وتدخله... غير أنه ألح عليه أن يمضي إلى مامسترا أي (المصّيصة)، حيث تلهف جميع سكانها من الأرمن على الخلاص من قبضة الترك [السلاجقة]" (001).

وقد عقب ستيفن رنسيمان على نصيحة أوشين للأمير تانكريد بالتوجه إلى المصّيصة أنه كان حريصا على أن يرى الصليبيين ينفذون إلى دائرة نفوذ خصمه قسطنطين الروبيني.

يتضح من الروايات الثلاث بما تضمنته أحياناً من تناقض تام بين من يقول أن المدينة استسلمت للأمير تانكريد ومن يقول إنها أوصدت أبوابها أمامه وتتفق المعلومات التي قدمها ألبرت إكس إلى حد كبير مع رواية الصوري (101)، ربما تكون هي الأقرب إلى الحقيقة، وإن كان شيء من الغموض يبقى قائماً بخصوص موقف الأرمن وتصرفهم في المدينة وهو ما قد تكشف عنه وثائق جديدة مستقبلاً. إذ يلاحظ أن المصادر جميعا لم تشر إلى أي موقف لهم فيها تجاه الأمير تانكريد، إن وقوع الأرمن من سكان مدينة أضنة تحت وطأة القوى الثلاث قوة جيلف، وقوة أوشين وقوة الأمير تانكريد ورغبة كل منها بالسيطرة عليها ربما هو ما جعلها في وضع لا تستطيع معه أن تنحاز إلى هذه الجهة أو تلك .

ثالثاً: موقف الأرمن في المصّيصة من حملة الأمير تانكريد الصليبية سنة(490هـ/1095م):

لم تتجاوز المعلومات التي قدمها المؤرخ المجهول – وهو المعاصر لتلك الحقبة – عن موقف الأرمن في مدينة المصّيصة تجاه قدوم الأمير تانكريد وجيشه بهدف الاستيلاء عليها بأكثر من قوله أن المدينة استسلمت له وجاءت هذه المعلومة في إطار حديثه عما حققه الأمير تانكريد بعد فشله في تأسيس إمارة له في طرسوس حيث قال: " وسرعان ما استسلمت له مدينتان هامتان هما أضنة والمصّيصة،كما دان له كثير من الحصون " وهو ما يفهم منه أن المدينتين المشار إليهما قد حوصرتا من قبل الأمير تانكريد، ثم استسلمتا في إطار صيغة ما، وإن ذلك دفع كثيرا من الحصون في قيليقية للخضوع إليه (102).

وهنا نتساءل ما هو موقف الأرمن في المصّيصة في ضوء هذه الصورة، وبخاصة أنهم يشكلون غالبية بين سكانها ؟

إن هذا الغموض في رواية المؤرخ المجهول، وما يثيره من تساؤلات توضحه رواية الصوري الذي أعطى تفصيلات واسعة بهذا الصدد، حيث أشار إلى أن الأمير تانكريد عسكر على مقربة من المصّيصة، ثم قام بالإغارة عليها بسلسلة من الغارات وتمكن في أيام قلائل من الاستيلاء على المدينة (103).

وقد نسب الصوري استيلاء تانكريد على المصيصة إلى " إعمال السيف في رقاب أهلها ... " والذين وصفهم بـ " المارقين " مما يعني أنه اتبع سياسة صارمة في تعامله مع أهل المدينة سواء من الأتراك الذين وصفهم" بالمارقين " أو من سكانها الأرمن – وغيرهم من المسيحيين – وهذا يعطي انطباعاً بأن الأرمن وغيرهم من المسيحيين، لم يتعاونوا معه بل أنه دخلها عنوةً بعد سلسلة متواصلة من الغارات وقتل اهلها وإن مما يؤكد ذلك، استيلاءه على "ثروات ضخمة [فيها] وكميات كبيرة من الميرة من كل صنف فوزع على أتباعه كل ما وجده، في أنصبة يلائم كل منها ما أدّاه كل حاج من الخدمة، ففاضت أيديهم بما ملكوا وعوضهم الطعام الوفير عن أيام المسغبة التي قاسوها من قبل " (104).

ولكن لكل من حسن حبشي، ورنسيمان، قول تجاه موقف أرمن المصّيصة من الأمير تانكريد فقد أشارا إلى أن الأرمن قد تلهفوا لمجيء تانكريد والتعاون معه، حتى أن الأمير أوشين كان قد شجعه على التوجه إلى المصّيصة — عندما كان في أضنة— وبيّن له تلهف الأرمن لقدومه. ولكن ما ذكره الصوري عن موقف الأرمن في المدينة هو الراجح بدليل أن ما فعله الأمير تانكريد في المصّيصة —كما ذكرنا فيما تقدم- قد جعل بقية الأرمن في قيليقية يخافونه من جهة، ويتوددون إليه في الوقت نفسه. وما أن أحكم تانكريد قبضته على المدينة، حتى فوجئ بوصول الكونت بلدوين بقواته، معسكرا في البساتين المحيطة بها فثارت "ثائرته وتأججت نيران سخطه"، وتصدى له في معركة وقعت خارج المصّيصة، تضرّر فيها الطرفان، وإن كان الأمير تانكريد قد عاد بقواته سالماً ودخل المصّيصة. أما الكونت بلدوين فإن الصوري يذكر أنه وقع تحت ضغط رفاقه الذين نصحوه بالمغادرة حيث ترك المصّيصة، واتجه نحو مدينة مرعش ليرتبط بالجيش الصليبي الرئيسي فيها. استمر الأمير تانكريد في ترسيخ مكانته في المصّيصة بشكل خاص، ثم في قيليقية بشكل عام، وقد ساعده على ذلك من جاء من الرجال صحبة الأسطول ضمن المساعدات التي أرسلها له خاله بوهيمند فكثر جيشه به كثرة بالغة واستطاع بوساطة هذا الجيش اجتياح كل إقليم قيليقية [105] وهو أمر كان له ردود فعل سلبية لدى إمارتي روبين، وأوشين — وهو ما يلي تفصيله.

رابعاً: موقف الأرمن في إمارتي روبين وأوشين من نفوذ الأمير تانكريد في قيليقية (490هـ/1095م):

كانت مدن أضنة والمصّيصة موضع تنافس كبير بين إمارتي روبين الواقعة في شرقي قيليقية، وإمارة أوشين الواقعة إلى الغرب من قيليقية، كما سبقت الإشارة لذلك لذا فقد جاء ورود بعض أجنحة الحملة الصليبية الأولى المتمثلة — بحملة الأمير تانكريد وحملة الكونت بلدوين — إلى هذه المدن ومحاولة الإفادة من وضع الأرمن فيها لتأسيس إمارة صليبية متناقضا مع مصالح الإمارتين المشار إليهما، وهو ما حرك تقدمهما تجاه كل من الأمير تانكريد والكونت بلدوين إذ أن الأمير أوشين ما أن عرف بسيطرة الأمير تانكريد على مدينة طرسوس حتى بادر إلى التوجه بقواته نحو مدينة أضنة [106]، واستطاع فعلاً أن يسيطر على أجزاء من المدينة وإن كان قد فاجأه أن يعلم بنجاح أحد

الفرسان الصليبيين، وهو جيلف بالسيطرة على قلعة المدينة وقد حاول أن يظهر بمظهر المرحب بالأمير تانكريد ، ولكنه حاول من جهة أخرى أن يعطيه صورة عن مدى حاجة الأرمن إليه في المصّيصة وترحيبهم به، ودفع به بعيدا عن أضنة باتجاه المدينة التي كانت قريبة من أمارة خصمه قسطنطين أمير إمارة روبين، وهو ما يحقق له اهدافاً أهمها :

أ. إبعاد الأمير تانكريد عن أضنة التي كان يحلم بالسيطرة عليها دوماً.

ب. تشجيعه على التوجه نحو مناطق تعتبر من مناطق نفوذ خصمه قسطنطين.

ج. اتخاذه حليفاً في ما قد يفيده في صراعاته مع خصمه قسطنطين مستقبلاً.

في حين نجح أوشين في توجيه الأمير تانكريد إلى حيث أراد إلا أن ذلك شكل بداية لنفوذ متزايد للأمير الصليبي في معظم قيليقية، بعد أن تضخمت قدرته العسكرية بخاصة إثر انضمام قوات جديدة إليه ممن جاءوا في أسطول لمناصرته، يعطينا الصوري هنا النتائج التي ترتبت على ذلك، بحديثه عن" تمكُن [تانكريد] من اجتياح قيليقيا والاستيلاء قسراً على معاقل العدو ... أنّى وجدها" ويذكر أنه قتل من فيها. ورغم ما في هذا التعميم من مبالغة فليس من شك أنه يعكس الصرامة التي اتبعها الأمير تانكريد في قيليقية سواء مع سكانها الأرمن أم مع غيرهم من الأتراك والسلاجقة [107].

وإذا كان رد الفعل عند الأرمن الذين كانوا خاضعين للأمير تانكريد تجاه هذه السياسة ليس معروفا إلا أن ردود الفعل جاءت ممن أطلق عليهم الصوري صفة " الأرمن الجبليين "ويعني بهم أولئك الذين كانوا يعيشون في المنطقة الخاضعة لإمارة روبين فقد سيطر عليهم وعلى من كان يعيش إلى جوارهم من الترك [السلاجقة] الخوف " من أن يعرج تانكريد عليهم ويفتح مدنهم، ويسترق أهلهم". ويذكر الصوري بأن هؤلاء –أي الترك والأرمن الجبليون– "راح كل ينافس الآخر من سرعة المبادرة بإرسال الرسل إليه محملين بالهدايا الثمينة من الذهب والفضة والجياد والخيول والأقمشة الحريرية مؤملين أن يهدئ هذا الكرم حده غضب ذلك الزعيم القوي عساهم يكسبون وده، ويعقدون وإياه أواصر الصداقة" ويؤيد الصوري متى الرهاوي الذي أشار إلى أن الأرمن وأمراء الأرمن الأمير أوسين والأمير قسطنطين" قامة بإرسال الذخائر والمؤن التي كان الإفرنج بحاجة لها

" حتى الرهبان زودوهم بالطعام[108].

وإذا كان تانكريد قد نجح في فرض هيمنته على معظم قيليقية (490هـ/ 1095م) فإنه آثر بعد ذلك أن يدع فيها نوابا عنه وحاميات ويتجه باتجاه الجيش الصليبي الرئيسي الذي كان آنذاك يحاصر أنطاكية، وقد تمكن وهو في طريقه إليها أن يستولي على الإسكندرية الصغرى (الإسكندرونة) [109] بما جعله " مسيطرا على الإقليم كله" ومن الغرابة بمكان أن الأمير تانكريد وبعد تمكنه من السيطرة على قيليقية بكاملها وإخضاعه للغالبية الأرمنية فيها، يغادرها فجأة ليلتحق بالجيش الرئيسي الذي كان في طريقه لحصار مدينة أنطاكية تاركا فيها حاميات عسكرية ونوابا عنه في إدارة شؤونها [110].

ومع أن المؤرخ المجهول والصوري اللذين أوردا معلومات عن تحركات الأمير تانكريد في قيليقية وموقف الأرمن منه لم يذكرا الأسباب وراء مغادرته قيليقية، غير أن بعض المصادر الأرمنية أشارت إلى أنه غادرها بعد تلقيه مساعدات من الأمير الأرمني قسطنطين بغرض التوجه إلى أنطاكية والمساهمة مع الجيش الرئيسي للصليبيين في السيطرة عليها[111]. ويذكر المؤرخ الأرمني انطون خانجي أن قسطنيطن قدم لتانكريد هدايا ثمينة، مقابل ذلك اعترف به حاكماً على قيليقية وحصل بذلك على شرعية حكمه هناك حيث:"..أعطوه (ويقصد قسطنطين) شرف الوزارة (الحكم) ومدحوه كثيراً"، وأنّ " الصليبيين [ويقصد بهم تانكريد وقواته] لما نزلوا قيليقية وقد أضناهم التعب ... طلبوا معونة الأرمن فلم يقصر قسطنطين في المساعدة مادياً وعسكرياً وسيّر معهم جيشا أرمنياً إلى أنطاكية" [112].

ويبدو أن تصرف الأمير قسطنطين هذا ارتبط بالصورة التي قدمها الصوري عن "الأرمن الجبليين" –أي الخاضعين للأمير الأرمني قسطنطين ابن روبين– "ارفضّت قلوبهم خوفا من أن يعرج [تانكريد] ... عليهم ويفتح مدنهم ويسترق أهلهم" أي أن تخوفهم هذا جعلهم هم وأميرهم قسطنطين يبادرون بتقديم دعم مادي وعسكري له من أجل الحصول على شرعية من الصليبيين والتقرب إليهم خاصة أن له منافساً أرمنياً آخر في إقليم قيليقية وهو الأمير أوشين. [113].

يستنتج مما تقدم:

1. أن تانكريد الذي أحكم سيطرته على قيليقية كان بحاجة ماسة إلى استكمال ذلك، بالسيطرة على مينائها الحيوي المتمثل بميناء الإسكندرونة الذي توجه إليه بقواته، وبقوات أرمنية، زوده بها الأمير قسطنطين، وقد تمكن فعلاً من إخضاعه له. وقد علق الصوري على ذلك قائلاً: " ... وكان آخر ما كان عصف به جنده الإسكندرونة التي استولى عليها ..."

2. ارتباط قيليقية، ارتباطاً حيوياً بأنطاكية، لذا فإن قدوم تانكريد على رأس قوات صليبية وأرمنية ومشاركته في حصار المدينة، واحتلالها، يكسبه مكانة بين الصليبيين من جهة، ويخدم طموحاته ومصالحه من جهة أخرى .

3. إن الأمير قسطنطين ساعد الأمير تانكريد بقوات أرمنية تحقيقا لهدفين، أولهما التخلص من منافسته وإبعاده عن إمارته، وثانيهما تحسين علاقته مع الصليبيين بمشاركة الأرمن في تشديد الحصار على أنطاكية، ثم الاستيلاء عليها.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. أن الأرمن في قيليقية تعاونوا مع الحملة الصليبية الأولى، بهدف تخليصهم من التسلط السلجوقي، وتحقيق وضع سياسي واجتماعي مستقر وآمن لهم، وقد دفعهم هذا للتعاون مع الحملة الصليبية الأولى عبر أراضيهم في آسيا الصغرى، سواء في تقديم الخدمات الضرورية، أو المساعدة في توجيه الجيش الصليبي نحو الطرق الأكثر أمناً له.

2. ساهم الأرمن بطرد الحاميات السلجوقية بشكل فعال من مدن طرسوس، وأضنة، والمصّيصة، وقد شابَ موقف إمارتي روبين وأوشين المساند للصليبيين قدر كبير من الحذر خوفا من أية خطوات صليبية قد تهدد وجودهما السياسي.

3. أن عامة الأرمن في قيليقية تطلعوا إلى التعاون مع الحملة الصليبية الأولى بهدف إزاحة التسلط السلجوقي غير أن هذه الآمال بدأت تتلاشى خلال سنتين من الوجود الصليبي (492-490هـ-1097-1095م) وتحولت إلى حالة من الحذر والخوف والترقب.

4. إن التأييد الأرمني للصليبيين ، كان انعكاساً لحالة إحباط رافقتهم منذ اضطرارهم إلى ترك وطنهم الأم (أرمينية الكبرى) والتي سيطر السلاجقة على معظم أرجائها في أعقاب معركة ملاذكرد (463هـ/1071م)، وعانت أرمينيّة صراعاً بيزنطياً سلجوقياً عليها ترك أثره البالغ فيهم، خاصة أن نبلاء الأرمن وحكامهم في إمارات قيليقة نهجوا منهجاً حاولوا فيه استرضاء إحدى القوتين أو كليهما حرصاً منهم على البقاء مما أدى إلى فشل أي محاولة للتوحد فضجر الأرمن من ذلك الوضع وكان ضجرهم من التدخل البيزنطي وهكذا وجد الأرمن أنفسهم غير قادرين على التخلص من هيمنة القوتين المشار إليهما. في إطار هذه الأجواء وجد الأرمن في الصليبيين قوة جديدة مختلفة عن كل من البيزنطيين والسلاجقة كقوة قد تحقق لهم ما لم يستطيعوا هم تحقيقه، وبخاصة في ظل تشتتهم السياسي فوجدوا في الصليبيين من سيقدم لهم العون والمساعدة لذلك عملوا على استرضاء الصليبيين والتعاون معهم لتحقيق طموحاتهم بدولة ارمنية.

الهوامش والتعليقات:

1. هي الحملة التي توجهت من الغرب الأوروبي إلى الشرق، بعد عقد مجمع كليرمونت سنة (488هـ/1094م)حين دعا البابا أوربان الثاني (1099-1088/493-483م)، لحرب صليبية شاملة ضد الشرق، وقد اشترك في هذه الحملة عدد من النبلاء والعامة الغربيون، الذي اتخذوا من الصليب شارة لهم جعلوها على ملابسهم فأطلق عليهم الصليبيون، وكان الأمراء بوهيمند (Behemond) وروبرت كونت فلاندرز (Robert De flanders)والكونت جودفري (Jodefry) وأخوه الكونت بلدوين البولوني (Baladwin De Bolonge) من أمراء تلك الحملة. انظر: حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي**، القاهرة 1958، ص52، 68.

2. مروان المدور، **الأرمن عبر التاريخ**، دار مكتبة الحياة، بيروت 1982، ص1112-98؛ ك.ل استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ط1، دار الاتحاد الجديدة، الموصل 1951، ص46.

Vernon. V. Paspaturian, "Armenia", in the Encyclopedia Americana, first published, U.S.A. 1988, pp. 331-337. "Armenia", in the Encyclopedia Britanica, library of congress, U.S.A 1974, Vol I, pp-525-527

3. مروان المدور، **الأرمن عبر التاريخ**، ص1112-98؛ ك. ل استارجيان، **تاريخ الأمة الأرمنية**، ص46.

4. ذكرت بفتح أولها عند ابن الفقيه، وابن حوقل، والقزويني، وضبطها الحموي بكسر أولها "أرمينية". انظر: أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1988م، ص263؛ ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1979م، ص285؛ ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، ط1، دار صادر، بيروت 1991، مج1، ص190؛ زكريا بن محمد القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص495.

5. عبد الرحمن محمد العبد الغني، **أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (457-33هـ/1064-653م)**، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت 1989، ص-17 18. سيشار إليه تاليا: عبد الرحمن محمد، **أرمينية**. وللمزيد انظر: أحمد الشنتناوي وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، مراجعة محمد مهدي علام، القاهرة (د:ت)، مادة أرمينية، مج1، ص641-639.

6. أرارات: أطلق عليه ابن حوقل اسم الحارث، كما أسمى قمته الصغرى بالحويرث. انظر: **صورة الأرض**،

ص298-297

7. المدور، **الأرمن**، ص69-68.

8. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص301-300؛ الحموي، معجم، مج1، ص191-190؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص495-494.

9. فايز إسكندر، **الحياة الاقتصادية**، ص6؛ عبد الرحمن محمد، أرمينية، ص20-18.

10. عبد الرحمن محمد، **أرمينية**، ص22، 29.

* أفرزت هذه المحاولات عددا من الكيانات السياسية الأرمنية ابتداء بالمملكة الأرمنية الأولى سنة (331-189ق.م) بزعامة الأسرة اليراونتية (Orantids)، ثم أعقبها المملكة الأرمنية الثانية سنة (189 ق.م) والتي تزعمتها الأسرة الأرداشيسية (Artasheses) تخلل ذلك صراع روماني فارسي في أرمينية الكبرى أفشل تلك المحاولات فقامت المملكة الأرمنية الثالثة سنة (429-66م) برئاسة الأسرة الأرشاغونية (Arsacids) والتي أعتنق الأرمن فيها المسيحية على المذهب المونوفيزتي، ثم توالت الصراعات البيزنطية الفارسية استمرارا حتى الفتح الإسلامي لها وكانت آخر محاولة للتوحد على الأسرة البقراطية أو الباقرادونية (Bagratids) واتخذت من آني عاصمة لها حتى سنة (456هـ/1063م). انظر: **المدور، الأرمن**، ص132، 146، 196، 186، 209، 167

11. عبد الرحمن محمد، **أرمينية**، ص20-18.

12. المرجع نفسه، ص22، 29.

13. المرجع نفسه، ص20-18.

14. استارجيان، **تاريخ الأمة الأرمنية**، ص120-119؛ المدور، الأرمن، ص282، 286-285

15. ضبطها الحموي (**معجم**، مج2، ص491) بفتح أولها وكسر ثانيها، وهي من نواحي أران

16. عبد الرحمن محمد، **أرمينية**، ص213

17. المرجع نفسه، ص213.

18. كانت الدولة العباسية تعاني ضعفا سياسيا في هذه الفترة، تعود جذوره إلى تعاظم النفوذ التركي فيها منذ سنة (232هـ/846م) حيث استأثر الأتراك بالسلطة، وتحكموا بالخلفاء ثم أعقبت ذلك تسلط البويهيين

على الحكم (447-334هـ/1054-1034م)، ولم يعد للخلفاء إلا السلطة الأسمية. انظر: حسين محمد سليمان، **الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين**، ط1، دار الكتب، الرياض 1986، ص119؛ عبد الرحمن محمد، أرمينية، ص91-90.

19. أديب السيد، **أرمينية في التاريخ**، د.ط، (د.م) 1972، ص220-213؛ المدور، الأرمن، ص218-221.

20. عبد الرحمن محمد، **أرمينية**، ص192-192؛ فايز اسكندر، **غزو الإمبراطورية البيزنطية لأرمينية (437هـ/1044م)**، د.ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 1986، ص6.

21. ملاذكرد من نواحي خلاط، تكتب ملاذكرد، ملازكرد، منازكرد، منازجرد. انظر: أبو يعلي حمزة ابن القلانسي، **تاريخ دمشق (555-360هـ)**، تحقيق: سهيل زكار، د.ط، دار حسان، دمشق 1983، ص167؛ أحمد بن يوسف الفارقي، ت**اريخ الفارقي**، تحقيق: بدوي عبد اللطيف، ومراجعة محمد عزبال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1959، ص189؛ ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص65.

22. من نواحي أرمينية. انظر: ابن الفقيه، **مختصر**، ص264.

23. من مدن أرمينية فيها بحيرة اشتهرت بإنتاج السمك الطريخ (المملح). انظر: ابن الفقيه، **مختصر**، ص264.

24. يحيى بن سعيد الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي "المعروف بصلة أوتيخا"**، تحقيق: عمر تدمري، ط1، جروس برس، طرابلس 1990، ص382؛ أبو الفرج جمال الدين ابن العبري، **تاريخ الزمان**، نقله إلى العربية الأب اسحق أرملة وقدم له جان موريس، دار المشرق، بيروت 1986، ص71؛ فايز اسكندر، **غزو الإمبراطورية البيزنطية**، ص16.

25. تعد سيواس من مدن آسيا الصغرى الخصبة. انظر: القزويني، **آثار البلاد**، ص537.

26. ماجستروس أحد الألقاب الرفيعة التي تمنحها بيزنطة لكبار قادتها. انظر: عبدالرحمن محمد، **أرمينية**، ص206 هامش رقم (88).

27. عبد الرحمن محمد، **أرمينية**، ص213؛ فايز اسكندر، **غزو الإمبراطورية البيزنطية**، ص17؛ بول أميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، بيروت (د:ت)، ص23.

28. عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص171.

29. المرجع نفسه، جـ2، ص171.

30. فايز اسكنر، **غزو الإمبراطورية البيزنطية**، ص23-17.

31. عرفت الثغور بالأجناد أو البنود عند الحموي (معجم البلدان)، مج1، ص79، وهي المنطقة القريبة من أرض العدو، أما العواصم فهي ولايات عسكرية يحكمها عسكريون وهي أيضا قريبة من أرض العدو. انظر: فتحي عثمان، **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك والاتصال الحضاري**، دار الكتاب العربي، القاهرة (د.ت)، جـ3، ص30

32. ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ط1، دار الثقافة، بيروت 1997، جـ1، ص95.

33. السلاجقة من القبائل التركية التي جاءت من تركستان، سمّوا بالسلاجقة نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق الذي مات سنة (415هـ/1024م)، بسطوا نفوذهم على خراسان سنة (415هـ/1024م) ثم انتصروا سنة (431هـ/1040م) في معركة داندنقان على الغزنويين، ثم جعل طغرلبك مدينة الري عاصمة لهم، ثم أنه وثق علاقته مع سنة (432هـ/1042م)، وتم الاعتراف بهم، فدخل طغرلبك بغداد سنة (447هـ/1057م). انظر: محمد بن محمد الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية، تحقيق: عبد المنعم حسنين وحسين الأمين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد 1979، ص50-20؛ أرشيد يوسف، **سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين (570-435هـ)**، ط1، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان 1988، ص24-20.انظر: كليفوردا بوزورث، **الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامية**، ترجمة: حسن اللبودي ومراجعة سليمان العسكري، ط4، مؤسسة الشراع، الكويت 1995، ص169-168.

34. أحمد إسماعيل، **تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس**، ط1، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، (د.م) 1982، ص20-12.

35. عبد الرحمن محمد، **أرمينية**، ص220-209.

36. هو ثاني السلاطين السلاجقة العظام، الذين سعوا لتقوية الدولة السلجوقية، وهو الذي استطاع التوسع في آسيا الصغرى على حساب بيزنطة، ووضع حدا لنفوذها بعد نجاحه في معركة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م. انظر عنه: أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق، إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت 1978، جـ5، ص69؛ أحمد إسماعيل، **تاريخ السلاجقة**، ص21.

37. آني: قلعة حصينة تقع على نهر أخوريان انظر: فايز اسكندر، **الحياة الاقتصادية في أرمينية إبان الفتح الإسلامي**، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية 1983، ص6.

38. ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص40؛ شمس الدين أبو المظفر ابن قزا أوغلي، سبط ابن الجوزي، **السفر الأول من مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (أحداث 1056-1086م)**، عني بنشره على سويم، أنقرة 1986، ص170.

Dickran. K. RouymJian, "problems of Medieval Armenian and Muslim Historiography: the mix tar of Ani fracment", in international. Journal of middle east studies, Cambridge university press,1973, Vol.4, Num I, pp.465-470.

39. ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص40؛ شهاب الدين أحمد النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: محمد العنتيل ومراجعة محمد الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985، مج26، ص306.

40. ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص40.

41. عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص171-170.

42. أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون، ط1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 1991،ص51.

43. العريني، **الدولة البيزنطية**، ص822.

44. ملازكرت وتلفظ ملاذكرد ومنزكرت، وهي المعركة التي حصلت بين السلاجقة والبيزنطيين سنة (463هـ/1071) وكان سقوط آني عاصمة أرمينية ثم سيطرة السلاجقة عليها مقدمة المعركة بين السلاجقة والبزنطيين حيث كان رد فعل الدولة البيزنطية بإن دفعت بأقصى قدراتها العسكرية نحو أرمينية الكبرى بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجينس((Romanous Diogenes (464-460هـ /1072-1060م) غير أن تحركها هذا انتهى بفشل ذريع، فقد أُسر الإمبراطور المشار إليه، وتغلغل نفوذ السلاجقة في أملاكها في عهد ألب أرسلان. انظر: أبو يعلي حمزة ابن القلانسي، تاريخ دمشق (555-360هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق 1983، ص167؛ أحمد بن يوسف الفارقي، تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف،

ومراجعة محمد غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1959، ص189.

45. الفتح بن علي البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار من كتاب نصرة الفطرة وعصرة الفترة، للعماد الأصفهاني، تحقيق: لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت 1980، ص40؛ أبو الفرج غريغوريوس الملطي ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ط1، دار المسيرة، بيروت د:ت، ص185.

46. ابن القلانسي، تاريخ، ص167؛ صدر الدين أبو الحسن بن ناصر الحسيني، زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، تحقيق: محمد نور الدين، دار اقرأ، بيروت 1986، ص؛110 جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (1453-284)، مؤسسة شباب الجامعية، ط1، الإسكندرية 1984، ص149-143.

* تشير دراسة حديثة إلى أن الأرمن الذين شاركوا في موقعة ملاذكرد إلى جانب الإمبراطور رومانوس، تخلوا عنه وانضموا إلى قوات ألب أرسلان وحاربوا ضده، بل أن من الأرمن من رحب بالسلاجقة حتى أن بعضهم مدح السلطان ألب أرسلان. انظر: عبد الحفيظ علي، المسلمون والبيزنطيون، جـ2، ص172.

47. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة 1978، جـ1، ص90-87.

48. دامت سلطنة سلاجقة الروم قرابة قرنين وأربعة عقود (708-470هـ/1308-1077م)، وكان أول سلاطينها سليمان بن قتلمش (479-470هـ/1086-1077م) الذي استطاع التوسع على حساب بيزنطة في آسيا الصغرى، ثم حاول الحد من شوكة إمارة الدانشمند ولكنه لم يستطع، ثم جاء الصليبيون وحاول سلاطينها التصدي لهم. انظر: أحمد الشنتناوي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مادة السلاجقة، مج12، ص35-33؛ بوزورث، الأسرات الحاكمة، ص186-185؛ لين بول، الدول الإسلامية، نقله من التركية للعربية: محمد فرزات وأشرف على ترجمته: محمد أحمد دهمان،ط1، مطبعة الملاح، دمشق 1984، د1، ص315-315.

49. ظهر الدانشمنديون في سيواس في آسيا الصغرى، وحاولوا بزعامة أميرهم السيطرة على سيواس، وأماسيا، ونقصار، وقيصرية سنة (474هـ/1084)، وقد كان لخلفاء الأمير أحمد غازي دانشمند دور في التوسع على حساب بيزنطة وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى إلى أن تمكنوا من السيطرة على المدن المشار إليها سنة (474هـ/1084م) وكان لهم دور في مواجهة الصليبيين. انظر: عفاف صبرة، **دراسات في تاريخ الحروب الصليبية**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة 1985، ص281-280.

50. سمّوا بالأراتقة نسبة إلى مؤسس الإمارة أرتق بن أكسب؛ أحد الأمراء العسكريين لدى السلاجقة الذي اقطعوه عدة إقطاعيات منذ سنة (472هـ/1079م) وقد قويت شوكة الأراتقة في حقبة ضعف الدولة

السلجوقية، إثر وفاة السلطان ملكشاه سنة (485هـ/1192م)، وتمكنوا بزعامة أرتق، وسقمان، وإيلغازي من السيطرة على ديار بكر، وآمد، وسروج، وخرتبرت. انظر: الفارقي، **تاريخ الفارقي**، ص268؛ عماد الدين خليل، **الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام** (812-465هـ/1409-1072م)، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1980م، ص57، 247، 58، 88.

51. عماد الدين خليل، **الإمارات الأرتقية**، ص 58.

52. تلفظ كذلك كيليكية، "قاليقلا". انظر: أبو بكر محمد بن محمد بن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، د.ط.، دار إحياء التراث، بيروت 1988، ص263؛ حوقل، **صورة الأرض**، ص285. وتعرف أيضا بأرمينية الصغرى وقد اهتم المسلمون بإقليم قليقية وأطلقوا عليه اسم "ثغور الشام" لقربة من أرض الروم. انظر: فتحي عثمان، **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربيّ والاتصال الحضاري**، الدار القواتية للطباعة والنشر، مدريد 1966، ص226.

53. تلفظ كبادوكيا أيضا، وهي إلى الشمال من قيليقية، وذكره المؤرخ المجهول بـ"كبادوشيا. انظر: المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص46.

54. روبين يحيط بأصله الغموض، وكل ما ورد عنه أنه من سلالة آخر الملوك البقراطيين؛ وهو الملك جاجيك الثاني، الذي وضع أسس لدولة أرمينية استمرت نحو ثلاثة قرون وقرابة عقدين من الزمن (777-474هـ/1375-1081م). انظر: سعيد عاشور، **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**، القاهرة 1977م، ص235-234؛ عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص173

55. هو أحد النبلاء الأرمن، الذين هاجروا من أرمينية الكبرى إلى قيليقية بعد موقعة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م، وقد عمل لدى أحد الأمراء الأرمن هناك؛ وهو أبو الغريب في طرسوس كما تشير لذلك الدراسات الحديثة. انظر: سعيد عاشور، **بحوث**، ص234؛ عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص172.

65. كان فيلاريتوس موضع ثقة بيزنطة فهو ممن شارك إلى جانبها في موقعة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م) غير أنّ طموحه دفعه إلى أن يعلن استقلاله عن بيزنطة في نفس السنة التي كلف بالمهمة المشار إليها، وأسس إمارة أرمنية في مدن قيليقية وأنطاكية والرها (479-470هـ/1086-1077) فالتف الأرمن حوله وقدموا له عونهم، ولكن يبدو أن فجوة بين الأرمن وزعيمهم فيلاريتوس بدأت تظهر وتتسع بسبب تبعيته لبيزنطة واعتناقه مذهبها الارثودوكسي. ثم اتسعت الفجوة شيئا فشيئا خلال السنوات السبع الأولى من حكمه لهم

(477-470هـ/1084-1077م) بسبب تصرفاته تجاههم والتي ذكر سبط ابن الجوزي ضمن حديثة عن الأرمن في أنطاكية – أنه " أساء السيرة فيهم وصادر أرباب الأموال، وقتل خلقا كثيرا" حتى انتهى حكمه عليها على يد السلاجقة. انظر: سبط ابن الجوزي، السفر الأول، ص239؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص117؛ سعيد عاشور، بحوث، ص23.

57. الصوري، **تاريخ الحروب الصليبية 1184-1097م**، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992،جـ1، ص263.

58. سعيد عاشور، **بحوث**، ص228.

59. إحدى القلاع الحصينة غرب قيليقية وهي نفسها (النمرون). سعيد عاشور، **بحوث**، ص288.

60. أنطون خانجي، **مختصر تواريخ الأرمن**، ص 216؛ عبد الحفيظ علي، المسلمون والبيزنطيون، جـ2، ص172.

61. سعيد عاشور، **بحوث**، ص228؛ عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص-172 173.

62. سعيد عاشور، **بحوث**، ص234-233؛ رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج،1، ص283.

63. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار الثقافة، بيروت 1997، جـ1، ص284-283.

64. سعيد عاشور، **بحوث**، ص230 عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص173.

65. عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص173؛ استارجيان، **تاريخ الأمة الأرمنية**، ص207-205

66. سيس من أكبر حصون بلاد الأرمن وتقع بين طرسوس وأنطاكية الروم. انظر: البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع**، تحقيق: علي محمد البخاري، دار الجيل، بيروت 1992م، جـ3، ص766.

67. عبد الحفيظ علي، **المسلمون والبيزنطيون**، جـ2، ص173.

68. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، جـ1، ص283؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور

الوسطى، ترجمة: أحمد رضا ومحمد رضا ومراجعة: عز الدين فودة، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة 1991م، جـ2، ص4.

69. استارجيان، **تاريخ الأمة الأرمنية**، ص207-206.

70. أحمد يحيى بن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: سمير الدروبي، جامعة مؤتة 1992، ص73-72؛ أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1987، جـ8، ص30.

71. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، جـ1، ص283؛ عبدالحفيظ علي، المسلمون والبيزنطيون، جـ2، ص173؛ رفيق التميمي، الحروب الصليبية، مطبعة اللواء،القدس1945م، ص44.

72. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص 28 – 30. كان المؤرخ المجهول تابعاً للأمير بوهمند النورماني، أحد الأمراء المشاركين في الحملة الصليبية الأولى سنة 490هـ / 1096م، والذي أصبح القائد العام لها، أي أنه – أي المؤرخ المجهول – كان أحد المشاركين فيها، وممن شهد أحداثها لذا فإن كتابه هذا يعتبر من مصادر الدراسة الأساسية، ولم تتعرف الدراسات الحديثة حتى الآن على أسمه، وقد تحدث عن الحملة الصليبية الأولى منذ بدايتها وكان مرجعاً لكل من فوشيه الشارتري ووليم الصوري. انظر المؤرخ المجهول، أعمال، ص 51 – 53

73. بوهيمند، هو أبن روبرت جويسكارد النورماني، وقد كان بوهيمند أكثر اقتراباً من الإمبراطور البيزنطي، قياساً على غيره من أمراء الحملة، ويبدو أنه كان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق طموحاته في قيادة الحملة، وفي تأسيس إمارة خاصة به، وهو ما تحقق له فعلاً فقد أصبح هو القائد الأعلى للحملة الصليبية الأولى، كما تمكن من أن يؤسس إمارة أنطاكية الصليبية سنة 491 – 1098م. انظر: الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص169 – 171، 336 – 337؛ حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى**، ص74.

74. المؤرخ المجهول، **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة 1958م،ص 30؛ أناكومنينا، الحملة الصليبية الأولى، نشر في كتاب الحروب الصليبية، لسهيل زكار، ص 110 – 190، دار حسان، دمشق 1984، جـ1، ص 122 – 142؛ ابن الأثير، الكامل في **التاريخ**، دار صادر، بيروت 1982، مج10، ص 273؛ حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى**، ص 84.

75. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص 30 – 38؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: هـ. آمدروز، القاهرة 1908م، ص 135؛ حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى**، ص84، سعيد عاشور، العلاقات،

ص 104.

76. نيقية: من مدن آسيا الصغرى، وهي عاصمة سلطنة سلاجقة الروم، انظر: الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص 199

77. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص 44 – 46؛ الصوري، **الحروب الصليبيّة (حبشي)**، جـ1، ص 234 – 237؛ حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص94 – 100.

78. لم ترد إشارات لدى المصادر والدراسات الحديثة إلى وجود أرمن في قونية، غير أن المؤرخ المجهول أشار إلى وجودهم فيها حيث قال:"... وأشار عليهم من بها (أي قونية) من الأرمن أن يحملوا معهم كميات وفيرة من الماء ..." والراجح أن قونية كان فيها جماعات أرمنية، وأنهم قدموا للصليبين عونهم، لأن المؤرخ المجهول كان معاصراً للحملة، ومن المشاركين فيها، في حين لم يشر الشارتري والصوري إلى ما قاله المؤرخ المجهول عن قونيه. انظر: المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص 42 – 44؛ الشارتري، **تاريخ الحملة إلى القدس**، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان 1990م، ص 50؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص 34؛ حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى**، ص 94.

79. لم تشر المصادر المشار إليها أعلاه إلى تفاصيل الحملة في قيليقية وقبادوقيا، فاكتفى ريموناجيل بذكر تفاصيل الحملة في نيقيه ثم انتقل إلى ذكر تفاصيل حصار انطاكية، أما الشارتري فأشار إلى دخول الحملة إلى بلاد الأناضول، واهتم المؤرخ الأرمني ماثيو الرهاوي بأخبار الرها، أما آناكومنينا فاكتفت بذكر زحفها (أي الحملة) إلى نيقيه، واكتفى ميخائيل السوري، والمؤرخ السرياني المجهول بذكر سيطرة الصليبيين على قيليقية دون تفاصيل، أما أبن القلانسي وأبن الأثير فأشارا إلى موقعة دوريليوم والسيطرة على نيقيه. انظر: ريموناجيل، **تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس**، ترجمه إلى الفرنسية: جون هيوج وجيل ولوريتاجيل وترجمه إلى العربية: حسين عطية، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية 1989م، ص 77 – 80؛ الشارتري، **تاريخ الحملة**، ص 50– 51؛ كومنينا، **الحملة**، جـ1، ص 152 – 153؛ ميخائيل السوري، الحولية، **نشر في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية**، لسهيل زكار، دار حسان، دمشق 1984م، جـ5، ص 89؛ المؤرخ السرياني المجهول، **الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية**، نشر في كتاب **الحروب الصليبية** لسهيل زكار، دار حسان، دمشق 1984، جـ2، ص 454 – 455؛ ابن القلانسي، **ذيل**، ص 135؛ ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص 273 – 275.

80. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص 46-45.

* لم ينظر المؤرخ المجهول إلى مدينة هرقلية على أنها ضمن بلاد الأرمن التي أشار إليها، واكتفى بذكر المدن المشار إليها في المتن ضمنها، وأشار فقط إلى دخول الجيش الصليبي إليها، مع أن هرقلية من المناطق التي هاجر إليها الأرمن بعد سقوط عاصمتهم آني سنة (456هـ/1063م)، بعد الاجتياح السلجوقي لها، ثم بعد موقعه ملاذكرد سنة(0463هـ/1071م)، ويلاحظ أن الصوري لم يعط أية معلومات عن موقف الأرمن فيها تجاه الصليبيين. انظر: المؤرخ المجهول، أعمال، ص44؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص234.

81. الصوري، **الحرب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص 247-234.

82. تانكريد: ابن اخت بوهيمند، شارك معه في الحملة الصليبية الأولى، أصبح له نفوذ في أنطاكية فيما بعد توفي سنة (506 هـ/1112م). انظر: المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص45؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص236-235.

83. بلدوين البولوني: ولد سنة 450هـ/1060م، أسس أول إمارة لاتينية في الشرق وهي الرها، ثم عين ملكا على بيت المقدس، توفي سنة 511هـ/1117م، للمزيد انظر: الشارتري، **تاريخ الحملة**، ص51، 103، 162-163.

84. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص45؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1،ص240-238.

85. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص45؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1،ص240-238.

86. المصدر نفسه، جـ1، ص256.

87. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص45.

88. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص239 – 240.

89. المصدر نفسه، جـ1، ص239 – 240.

90. المصدر نفسه، جـ1، ص239 – 240.

91. أنطون خانجي، **مختصر تواريخ الأرمن**، ص 217.

92. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص240.

93. لم يصل عن جينمار معلومات، سوى أنه من بولونيا، من مقاطعة أسناس، وأن والد بلدوين كان سيدا

له، وقد قدم المساعدة للفرنج الصليبيين في فتح "القدس" ولكنه " ما كاد ... يعلم أن بلدوين، هو ابن سيده، حتى ترك الأسطول، وتهيأ لمرافقته إلى القدس، وكان جينمار فاحش الثراء ... وكان في خدمته رهط كثير من الناس، أبى معظمهم ألا مصاحبته، حين علموا بعزمه على اتباع القائدين لحماية المدينة، أما كل من سواهم فقد راحوا يتهيأون للخروج للبحث عن حظوظهم "وقد وصل أسطول جينمار إلى طرسوس بعد انتهاء النزاع بين بلدوين وتانكريد عليها. ويشير رنسيمان إليه بجنمار البولوني، ويسمه الصوري جينمار. للمزيد انظر: الصوري، الحروب الصليبية (حبشي) جـ1، ص242؛ رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، جـ1، ص243 – 244،279.

94. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص240)

Albertus Histoire Hierosolymitana, Radulf of caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis, Vol4, pp. 342-350

in Recuil Des Historiens. Des Historiens crusade occidentaux, Paris 1866, Vol 4, pp. 629-641

95. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص240.

96. المؤرخ المجهول، أعمال، ص45؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص240.

97. جيلف (ولف) أحد الفرسان البرجنديين الذي جاء مع الحملة الصليبية الأولى من الغرب من أجل تحرير القدس. انظر الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص239. ويشير له رنسيمان بـ"ولف" (Welf). انظر: رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص 280.

98. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1 ص 239.

99. المؤرخ المجهول، أعمال، ص45؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص240.

100. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص240.

101. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص241. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ1، ص283

102. المؤرخ المجهول، **أعمال**، ص 45.

103. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص247.

104. المصدر نفسه، جـ1، ص247.

105. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، جـ1، ص283؛ الصوري، الحروب الصليبية (حبشي)، جـ1، ص239.

106. تفاجأ تانكريد عندما أراد دخول أضنة، ورفض أهلها إدخاله لها، وذلك لوجود "جيلف" الذي " شاءت الصدفة أن تؤدي به إلى أذنة ..." ولما علم تانكريد أن مشيئة الرب قد اسقطت المدينة في أيدي شعبنا ... "، ويفهم من هذه الرواية أن تانكريد لم يكن يعلم بوجود "جيلف" في أضنة. انظر: الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص239.

107. الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، 241.

108. متى الرهاوي، ت**اريخ متى الرهاوي (الإفرنج الصليبيون، المسلمون، الأرمن**، ترجمة وتعليق محمود الرويضي وعبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، إربد 2009، ص 80.

109. الإسكندرونة: تقع إلى الشرق من أنطاكية، على ساحل بحر الشمال (البحر المتوسط). انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج1، ص216.

110. المؤرخ المجهول، أعمال، ص 28؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص247.

111. المؤرخ المجهول، أعمال، ص 28؛ الصوري، **الحروب الصليبية (حبشي)**، جـ1، ص247.

112. أنطون خانجي، **مختصر تواريخ الأرمن**، ص 217.

113. الصوري، **الحروب الصليبية(حبشي)**، جـ1، ص247.

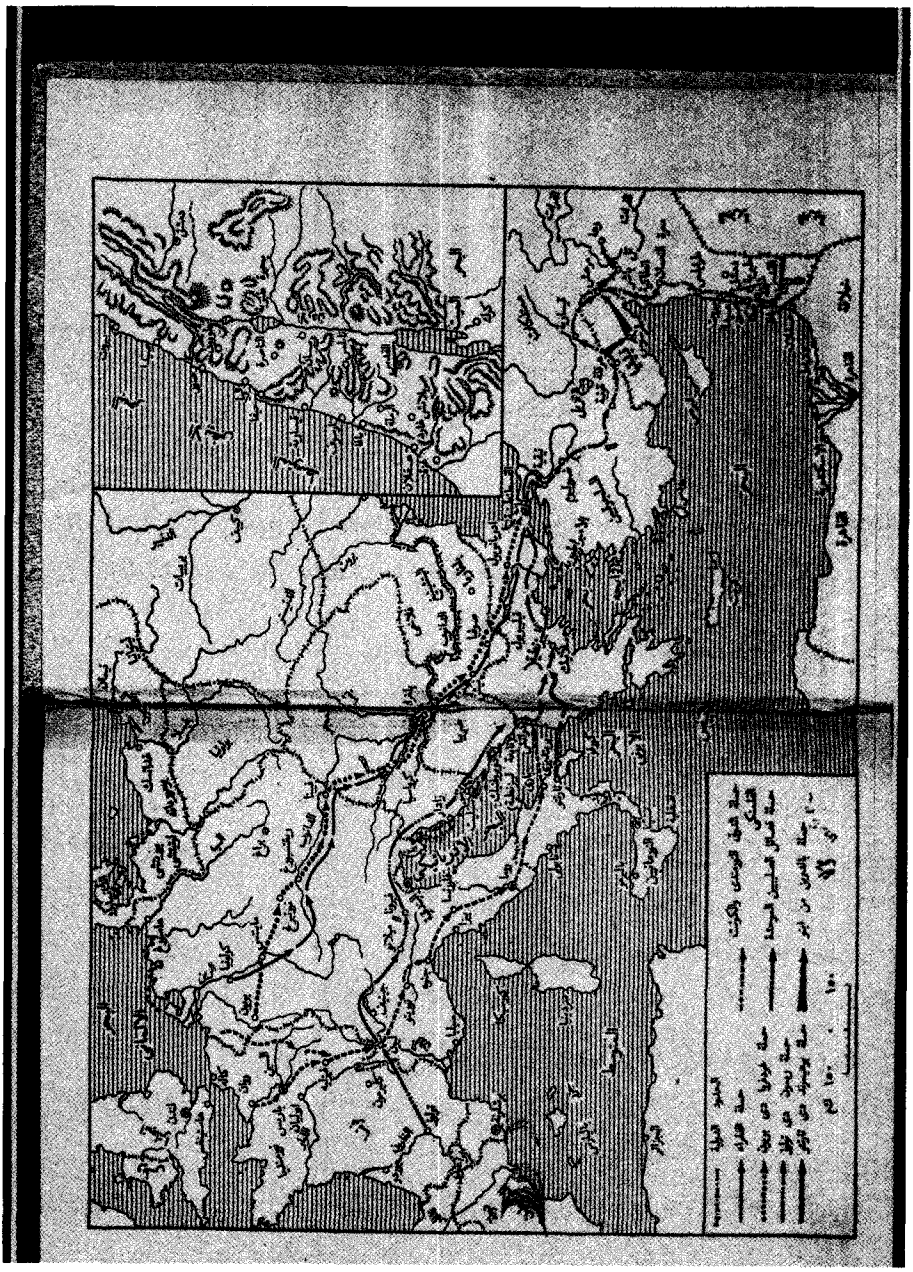

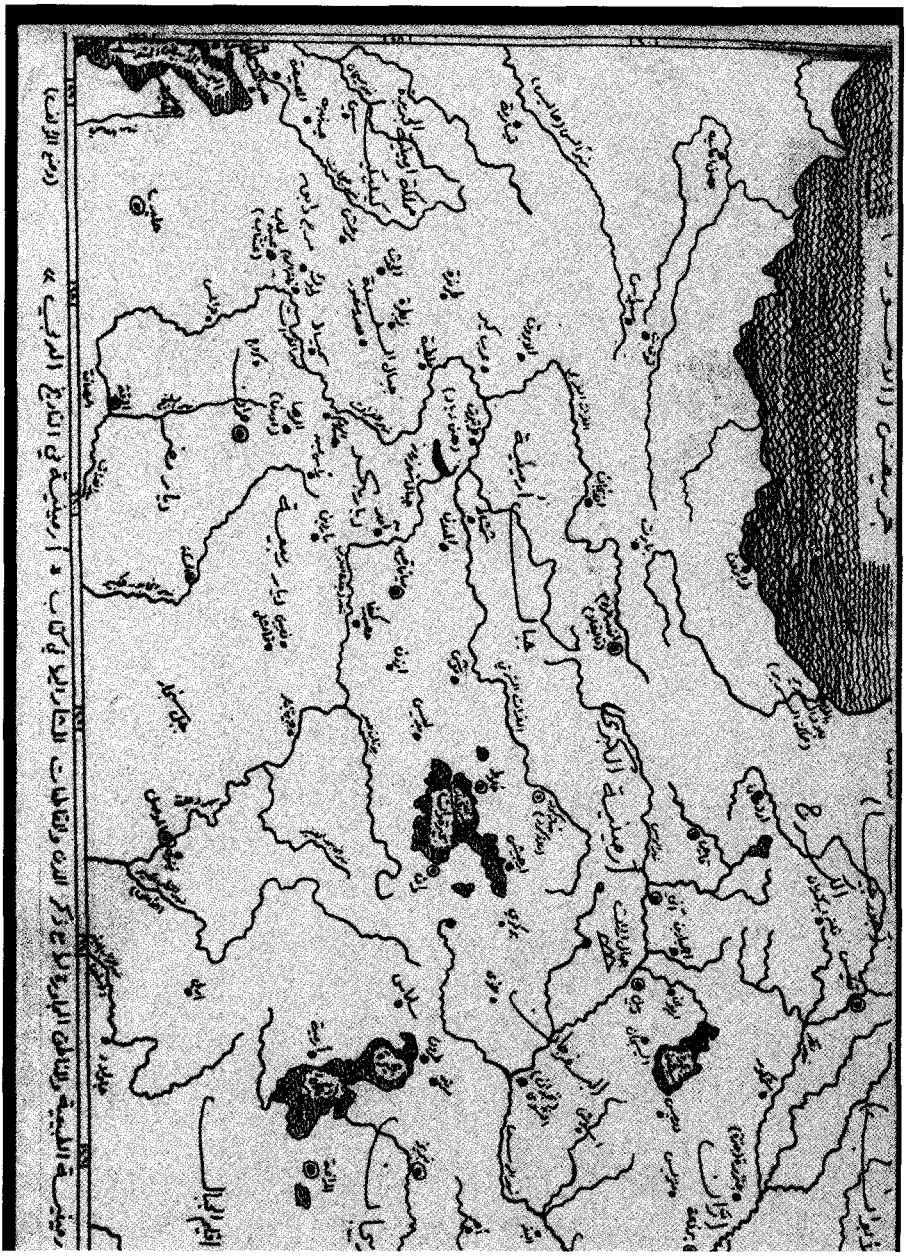

The village or town council has a role in maintaining Arabic.					
The political democracy in Israel helps the Arab minority in maintaining their .language					
The Israeli educational policy helps the Arabs maintain their .language					
The spirit of compassion between the Arabs and Jews in Israel has a positive role in preserving .Arabic					
My family and the home play an important role in .preserving Arabic					
The mosques / churches have a role .in preserving Arabic					
The Arabic social clubs have a role in .maintaining Arabic					
The Arabic political parties have a role in .preserving Arabic					
The Arabic schools have a role in .maintaining Arabic					

The segregation between Arabs and Jews at their workplaces helps in maintaining Arabic.					
The segregation between Arabs and Jews at their place of learning i.e. schools, helps in preserving Arabic.					
Discrimination against the Arabs encourages me to maintain Arabic.					
Internal marriages among the Palestinian Arabs help in keeping Arabic alive.					
The tight relations among the Palestinian Arabs of Israel help in preserving Arabic.					
The Palestinian Arab history of suffering makes me stick to the Arabic language.					
Visiting relatives in Arab countries, e.g. Jordan and Egypt, helps me in maintaining Arabic.					
Social and religious Arab leaders play an important role in maintaining Arabic.					
The pride in my Arabic identity has a role in maintaining Arabic.					

Appendix C

Factors that Support Using Arabic

Section 2: *Factors that support using Arabic:*

Please read the following statements and indicate to what degree you agree

with them by putting [x] in the proper box:

1- Factors that Support the Use of Arabic:	Strongly Agree 5	Agree 4	Un-decided 3	Disagree 2	Strongly Disagree 1
Arabic is a vehicle of a highly prized culture.					
Arabic unites me with the Arab world.					
Arabic is the backbone of my religion (Islam).					
Arabic unites me with the Islamic world.					
Arabic is a symbol of my childhood					
My work requires using Arabic.					
The segregation between Arabs and Jews in their residential areas helps in preserving Arabic.					

9- The language of your father:

1- Arabic [ ] 2- Hebrew [ ]

4- Other [ ] 3- English [ ]

10-The monthly income:

1- Bellow 5000 ILS: [ ]

2- Between 5001- 10000 ILS: [ ]

3- Between 10001 –20000 ILS: [ ]

4- Above 20000 ILS: [ ]

11-Professional Background:

1- Farming: [ ] 2 - Business [ ]

3- Education [ ] 4- Medical field: [ ]

5- Legal services: [ ] 6- Handicraft field [ ]

7- No occupation[ ] 8- Other: .....[ ]

3- Between 20 - 29: [ ] 4- Between 30 – 39: [ ]

5- Between 40 – 59: [ ] 6- More than 60 [ ]

5- Level of education:

1- Grade 1- 6: [ ] 2- Grade7- 9: [ ]

3- Grade 10 – 12:[ ] 4 - Two years collage: [ ]

5- B.A. or B.Sc.: [ ] 6- M.A, or equivalent [ ]

7- Ph.D, or equivalent [ ]

6- The type of school attended:

1- Private Arabic School [ ] 2- Public Arabic School [ ]

3- Private Hebrew School [ ] 4- Public Hebrew School [ ]

7- Place of living:

1- In an Arab village [ ]

2- In an Arab city [ ]

3- A mixed Arab - Jewish town [ ]

4- A non-mixed Arab - Jewish town [ ]

8- The language of your mother:

1- Arabic: [ ] 2- Hebrew: [ ]

4-Other: [ ] 3- English: [ ]

Appendix B

The Sociolinguistic Questionnaire

Section 1: *Demographic Data & Social Background:*

Please choose one item by putting [x] inside the box provided:

1-Sex:

1- Male: [ ] 2- Female: [ ]

2-Marital Status:

1- Single [ ] 2- Married [ ]

3- Engaged [ ] 4- Divorced [ ]

5- Widowed [ ] 6- Separated [ ]

3- Religion:

1- Muslim [ ] 2- Christian [ ]

Other.....

4- Age:

1-Between 10 - 14: [ ] 2- Between 15- 19: [ ]

Appendix A

Panel of Experts and Validation Committee

Name	Position	Specialization	Place of Work
1-Riyad Hussein	Professor\ Department Chairman	Sociolinguistics	MEU
2-Rasoul Khafaji	Professor	Contrastive Linguistics & Translation Studies	MEU
Zakaria 3- Abu Hamdia	Professor	Sociolinguistics	Jordan University
Jawdat 4- Sa'adeh	Professor\ Dean of Academic .Research	Curriculum and Instruction	MEU
Mohmoud 5- Kanankri	Professor\Dean of Academic .Research	Sociolinguistics	Aal – Albait University
6-Atef Jalabneh	Associate Professor	English Syntax & Semantics	MEU
- Hamid Al 7- Hajjaj	Associate Professor	Linguistics & Translation	MEU

Jordan", **Al-Basaaer Journal**, 3, (1999), p. 10.

(10) ---------, "Linguistic and cultural maintenance among the Chechens of Jordan", **Language, Culture and Curriculum**, 13, (2000), p.193.

(11) Muhammad Amara & Abd el-Rahman Mar'i, **Language education policy: The Arab minority in Israel,** (Boston: Springer, 2002), P.64.

(12) Mahmoud Al-Khatib & Mohammed Al- Ali, "Language and cultural maintenance among the Gypsies of Jordan", **Journal of Multilingual and Multicultural Development**, 26, (2005), pp187-215.

Works Cited:

(1) Campbell, L. "**Native American languages**",(1997). Retrieved November 3, 2008, from http://encarata.msn.com

(2) Mary Jane Norris, "Canada's Aboriginal languages", **Canadian Social Trends**, 11, (1998), p. 9.

(3) Robert Dixon, **Australian languages: Their nature and development**, (New York: Cambridge University Press, 2002), P.2

(4) Joshua Fishman, "Language maintenance and language shift as fields of inquiry", **Linguistics**, 9, (1964), p. 424.

(5) Heinz Kloss, "German-American language maintenance efforts". In J. Fishman (Ed.) **Language loyalty in the United States,** (The Hague: Mouton, 1966, Pp.52-206)

(6) Uriel Weinreich, **Languages in contact: Findings and problems,** (The Hauge: Mouton, 1974), p.99-100.

(7) Joshua Fishman, Language **and ethnicity in minority sociolinguistic perspective**, (England: Multilingual Matters LTD, 1989)

(8) Janet Holmes, Mary Roberts, Maria Vervaki, and Anahina Aipolo, "Language maintenance and language shift in three New Zealand speech communities", **Applied Linguistics**, 14, (1993), pp1-24.

(9) Bader Dweik, "The language situation among the Circassians of

the Israeli social segregation policies.

Recommendations and Suggestions for Future Research

On the bases of the results of this study, the researcher proposes a number of points to be taken into consideration by researchers:

- Conduct further research on the language situation among the Palestinian Arabs of 1948 after three or four decades to see how future generations behave towards their language.
- Conduct further research on Jewish attitudes toward Arabic language and Arab citizens of the State of Israel.

Conclusions

Data explored and pointed out some factors that are responsible for the actual use of Arabic among the Palestinian Arabs of 1948. The factors that support the use of Arabic are:

9. Habitual language use of Arabic in a variety of situations and locations. This result agrees with Fishman (1966), and Amara and Mar'i (2002). Fishman pointed out that habitual language use at more than one point in time or space under conditions of intergroup control is one indicator of language being maintained. Amara and Mar'i found that "Within Arab society in Israel, the Arabic language is in use …in daily life."(p.47).

10. 2- The religious affiliation of the majority of the respondents with Islam.

11. 3- The Arab nationalistic sentiments which identify Arabic with great traditions and cultural heritage and which unite and associate them with Arabs in the Arab countries.

12. 4- The internal marriages and the tightly- knit community of the Palestinian Arabs of 1948.

13. 5- The existence of different Palestinian Arab institutions such as homes; mosques; Arabic schools; social clubs; political parties and village councils.

14. 6- The psychological feelings of the Palestinian Arabs of 1948 as oppressed and discriminated against in addition to

Visiting relatives in Arab countries, e.g. Jordan and Egypt, helps me in maintaining Arabic.	27%	54%	9%	6%	4%
Social and religious Arab leaders play an important role in maintaining Arabic .	25%	44%	11%	13%	7%
The pride in my Arabic identity has a role in maintaining Arabic.	64%	32%	3%	-	1%
The village or town council has a role in maintaining Arabic.	26%	49%	17%	4%	4%
The political democracy in Israel helps the Arab minority in maintaining their language.	20%	30%	9%	23%	21%
The Israeli educational policy helps the Arabs maintain their language.	13%	31%	10%	26%	20%
The spirit of compassion between the Arabs and Jews in Israel has a positive role in preserving Arabic.	11%	23%	16%	24%	26%
My family and the home play an important role in preserving Arabic.	72%	27%	-	-	1%
The mosques / churches have a role in preserving Arabic.	70%	26%	3%	-	1%
The Arabic social clubs have a role in maintaining Arabic.	31%	56%	7%	4%	1%
The Arabic political parties have a role in preserving Arabic.	23%	40%	24%	11%	1%
The Arabic schools have a role in maintaining Arabic.	59%	33%	-	6%	2%

Table 1

Factors that Support the Use of Arabic

Factors that Support the Use of Arabic:	Strongly Agree 5	Agree 4	Un-decided 3	Disagree 2	Strongly Disagree 1
Arabic is a vehicle of a highly prized culture.	77%	23%	-	-	-
Arabic unites me with the Arab world.	73%	26%	1%	-	-
Arabic is the backbone of my religion (Islam).	84%	12%	3%	1%	-
Arabic unites me with the Islamic world.	73%	23%	4%	-	-
Arabic is a symbol of my childhood	61%	36%	3%	-	-
My work requires using Arabic.	16%	28%	3%	46%	7%
The segregation between Arabs and Jews in their residential areas helps in preserving Arabic .	29%	53%	12%	6%	-
The segregation between Arabs and Jews at their workplaces helps in maintaining Arabic.	30%	46%	11%	10%	3%
The segregation between Arabs and Jews at their place of learning i.e. schools, helps in preserving Arabic.	31%	44%	11%	12%	2%
Discrimination against the Arabs encourages me to maintain Arabic.	42%	34%	7%	14%	3%
Internal marriages among the Palestinian Arabs help in keeping Arabic alive.	51%	43%	3%	3%	-
The tight relations among the Palestinian Arabs of Israel help in preserving Arabic.	37%	56%	3%	4%	-
The Palestinian Arab history of suffering makes me stick to the Arabic language.	46%	43%	6%	4%	1%

disagreed with this point; they believed that there is no such discrimination between the citizens of the State. Moreover, the majority of the respondents 89% believed that the Palestinian Arabs' history of suffering made them stick to their language.

Results also indicate that 50% of the respondents agreed that the political democracy in Israel helped the Arab minority in maintaining their language, whereas 44% disagreed with this point. In addition, only 44% of the respondents thought that the Israeli educational policy helped the Arabs maintain their language while 46% did not agree. Moreover 34% believed that the spirit of compassion between the Arabs and Jews in Israel had a positive role in preserving Arabic while 50% did not agree.

preserving Arabic. It also indicates that the majority of the respondents asserted that the following institutions had influenced the preservation of Arabic:

The first institution is the home; the overwhelming majority of the respondents 99% believed that home played an important role in preserving their language. The second institution is the mosques; 96% of the respondents reported that mosques played crucial role in maintaining Arabic. The third institution is Arabic schools; 92% of the respondents believed that schools had an important effect on preserving Arabic. The fourth institution is social clubs; 87% of the respondents agreed that social clubs had a significant role in maintaining Arabic. Other important institutions are political parties; 63% agreed that they had an important role in preserving Arabic. Another institution is the village council and its activities; 75% of the respondents believed that these councils had a great effect in the retention of Arabic.

Results reported in this Table also indicate that the majority of the respondents 97% preserve Arabic because it connects them with their childhood, their memories about parents and grandparents. Furthermore, the feeling of being a second degree citizen in the State of Israel encouraged them to stick to their language more than ever, and this is very clear in the results reported in the Table above which asserted that a high percentage of the respondents 76% thought that the discrimination against the Arabs encouraged them to maintain Arabic. A small percentage of the respondents 17%

them with the Islamic world. Moreover, the overwhelming majority of the respondents 96% emphasized the role of mosques and churches in preserving Arabic.

Results reported in Table 1 indicate that all the Palestinian Arabs of 1948 100% viewed Arabic as a vehicle of a highly prized culture, and the vast majority of them 99% believed that Arabic unites them with the Arab world. Furthermore, the majority of them 96% asserted that being proud in their Arabic identity has a role in maintaining Arabic. Results also indicate that 69% of the respondents agreed with the idea that efforts made by the social and religious Arab leaders in the Arab community in supporting the unity of their groups play an important role in maintaining Arabic. The majority of the respondents 94% believed that internal marriages had a crucial role in maintaining Arabic.

Results reported in Table 1 also show that the high majority of the respondents 82% believed that the segregation between Arabs and Jews in their residential areas helped in preserving Arabic. Furthermore, the majority of the respondents 76% believed that the segregation between Arabs and Jews at their workplaces helped in maintaining Arabic. However, 75% of the respondents believed that the segregation between Arabs and Jews at their place of learning i.e. schools, helped in preserving Arabic.

Results also indicate that the majority of the respondents 93% believed that the tight relations among them helped in

the questionnaire (See Appendix C, p.18) covered the factors that were responsible for using Arabic. This section consisted of twenty-five questions that covered the factors that support the use of Arabic.

To insure the validity of the questionnaire, a panel of seven university professors who have teaching experience in linguistics and translation, (See Appendix A, p.15) were requested to determine the face and the content validity of the questionnaire.

For the purpose of achieving a high degree of reliability of the instrument, the researchers conducted a pilot study; the reliability of the questionnaire was determined by means of test – retest. The test was administrated in the first week of March of the academic year 2008/2009 to a group of eight Palestinian Arab students of 1948 who were not part of the main sample and who were selected purposively from three private Jordanian universities and whose characteristics were similar to those of the sample.

Results:

The study aimed to find out the factors that are involved in using Arabic among the Palestinian Arabs of 1948. Results reported in Table 1 present some factors that supported the use of Arabic. The majority of the respondents 96% viewed Arabic as the backbone of their religion (Islam), and a high percentage of the respondents 96% believed that Arabic unites

Al-Khatib and Al – Ali [12] conducted a study on the Gypsies of Jordan and had shown similar results. The researchers investigated language and cultural maintenance among the Gypsies of Jordan. Data were collected from 100 speakers by means of a questionnaire and interviews. Evidence is presented that Arabic is used for various functions and Gypsy is still used in a variety of social domains.

Method and Procedures of the Study:

The population of this study consisted of Palestinian Arabs who became citizens of Israel after the war of 1948. A sample of 70 Palestinian Arabs of 1948 was selected purposively from the Arab population of different cities and villages in Israel.

The instrument of this study was a questionnaire composed of two sections basically based on Fishman (1964;1966), Dweik (2000), Freed and Collentine (2004) and Al-Khatib and Al-Ali (2005). The first section of the questionnaire was a demographic background section (See Appendix B, p.16). It was intended to establish a community profile and serve as a bank of information about the social background of the participants. The demographic background information about the respondents' general background included data such as gender, age, religion, marital status, place of living, the language of the mother and father, level of education, type of school respondents attend, monthly income and professional background. The second section of

preserved their ethnic language. In his study the researcher used a simple random sample of 100 subjects to answer a questionnaire that measured their linguistic and cultural maintenance. The results were stated as the following: "Chechens of Jordan have maintained their language and culture despite the passage of over one hundred years". He added "The third and the fourth generations of Jordanian Chechens are proud of their national origin and their Jordanian national identity."(p.193)

Another study was performed by Amara and Mar'i [11] about the language situation among the Arab Israelis. Here they found that Arabs learn Hebrew for pragmatic reasons: for work, for communication in everyday matters but also they found that the Arab Israelis were proud of their Arabic language. The researchers used a survey among 999 respondents who were high school and college students from various geographical regions in Israel. The results showed that the respondents gave the highest rating to five statements relating to the symbolic importance of Arabic such as "my national language", "proud of the Arabic language". Moreover, the results asserted that;

> Within Arab society in Israel, the Arabic language is in use …in daily life. It is the language of daily communication in places of work, although many words from Hebrew have taken root as a result of daily contact with the Jewish society."(p.47)

8. a positive orientation to the homelands.

Empirical Studies:

On the other hand, many researchers were interested in investigating language maintenance among different minority groups, i.e., Dweik (1999; 2000); Amara and Mar'i(2002); and Al-Khatib and Al – Ali (2005)

Dweik [9] conducted a study about the language situation among the Circassians of Jordan. Data were collected from 50 informants residing in Amman. The method which was used in this study is based on the best possible knowledge of the community before beginning the language study. Such knowledge covers different aspects such as social divisions; demographic data, occupational activities. Moreover, the researcher used a questionnaire which was composed of five parts to examine the language situation among the Circassians of Jordan. The result of this study asserted that the Circassian language and culture have been maintained despite the passage of over one hundred years, and that "the Circassian language did not die in the Circassian community. It has been used side by side with Arabic among third and fourth Circassian generations".(p.10)

Similarly, Dweik[10] investigated the linguistic and cultural maintenance among the Chechens of Jordan. The researcher reported that the third and the fourth generations of Chechens- on the contrary to other ethnic groups- had

(e.g. American Indian Languages) interacts with an intrusive immigrating language (e.g. English); here the indigenous language is lost. The third and the final possibility occurs when an indigenous language (e.g. Arabic in Jordan) interacts with an intrusive immigrating language (e.g. Chechen in Jordan); the result is that both languages are maintained. Thus, the current study is based theoretically on the third resolution where the indigenous language (e.g. Arabic) is used side by side with the intrusive language (e.g. Hebrew). Each language is used for different reasons and under different circumstances and enjoys different attitudes from its speakers.

Holmes et al. [8] examined the language situation among three ethnic minorities in New Zealand. The results showed that there were some factors which lead to language maintenance; the factors were:

1. regular social interaction between community members;
2. use of community language in the home;
3. positive attitudes to the language and high values placed on it in the relation to ethnic identity;
4. residential contiguity;
5. resistance to inter-ethnic marriage;
6. support for community – language school;
7. community – identified religious organizations;

- Linguistic and cultural similarity with the dominant group
- Attitude of the dominant or majority group toward the language and group.
- Socio-cultural characteristics of the group.

Weinreich[6] fully elaborated on the terms of language loyalty and language shift. He drew attention to the notion of language loyalty which he defined as a "principle in the name of which people will rally themselves and their fellow speakers consciously and explicitly to resist change in...their language". (p.99). He suggested that some ethnic groups stick to their mother tongue because "it becomes a symbol of group integrity, based on the extensive emotional involvement of the speakers with the language during the period of its acquisition in childhood."(p.100)

The current study is based theoretically on the third resolution which Fishman (1989) proposed about the fate of languages in contact. Fishman (7) elaborated on three resolutions that can be considered the outcome of languages in contact. He discussed the status of immigrant languages when they are in contact with the host languages. He gave three possibilities for the fate of languages in contact. The first possibility happens when an indigenous language (e.g. English in England) interacts with an intrusive immigrating language (e.g. Arabic); here the intrusive language is lost. The second resolution occurs when an indigenous language

He suggested three major subdivisions:

1. habitual language use at more than one point in time or space under conditions of intergroup control;
2. psychological, social and cultural processes related to stability or change in habitual language use under conditions of intergroup contact;

3-behavior toward language in contact setting.

Kloss [5] used, in his model, the American immigrant situation, particularly German-English language contact; here he identified a range of factors which determine language maintenance and language shift. He categorized factors as either clear- cut or ambivalent. The clear -cut factors are clearly promoting language maintenance and they include:

- Early point of immigration.
- The existence of linguistic enclaves.
- Membership of a denomination with parochial schools.
- Religious and societal insulation.

Kloss also identified the ambivalent factors that include the individual and the group factors. These factors could promote either language maintenance or language shift, and they include:

- Educational level of immigrant
- Numerical strength of the group

(1974), Holmes, Roberts, Verivaki, and Aipolo(1993).

Fishman [4] pointed out, in his model, that the field of language maintenance and language shift;

> Is concerned with the relationship between change or stability in habitual language use, on the one hand, and ongoing psychological, social, or cultural processes on the other, when populations differing in language are in contact with each other. (p.424)

Statement of the Problem:

Although investigations of language maintanance among indigenous groups have been conducted in many places around the world, there is a shortage of studies in this area in the Middle East. Most investigations focused on immigrating languages i.e. Dweik (2000), Al-Khatib (2001), Abd-el-Jawad (2006) but few of them tackled the issue of indigenous languages in contact with conquering languages. The current study is an attempt to fill this gap because relatively few works so far have dealt extensively with the factors that played a role in preserving the Arabic language in Israel. The present study of the Palestinian Arabs of 1948 aims at finding the factors that have helped the Arabic language to survive over 60 years in Israel.

Question of the Study:

The aim of this study is to answer the following question:

What factors are involved in maintaining Arabic among the Palestinian Arabs of 1948?

Review of Literature

Theoretical Studies:

Many theoreticians were interested in presenting and discussing different factors that support the use of an ethnic language, i.e., Fishman(1966;1989), Kloss(1966), Weinreich

Similarly, Norris [2] in her research about the Aboriginal languages in Canada stated that "only three of Canada's 50 Aboriginal languages had large enough populations to be considered truly secure from the threat of extinction in the long-run."(p.9). Similar results were found by Dixon [3] who conducted a study about Australia and the language situation there. He asserted that "we know of about 240 or 250 languages that are or were spoken by the indigenous people of mainland Australia. More than half of these are no longer spoken or remembered"(p.2)

Introduction:

One of the central concerns of sociolinguists has been the situation of minority languages which for various reasons are in danger of disappearing from usage either globally or locally. In studying the situation of minority languages, one should take into consideration the factors that lead to maintaining these minority languages.

Obviously, there is some research that tackled the issue of minority groups and their immigrating languages. This research dealt with groups who emigrated from their countries and settled in other countries due to different reasons, such as, the Chechens and the Caucasians who emigrated from their countries because of religious reasons, and the Kurds who emigrated to other countries due to political reasons.

On the other hand, a lot of investigations of language situations among indigenous groups have been conducted in many places around the world. These investigations showed that a large number of these indigenous languages have few speakers within the families and are rapidly disappearing.

Many researchers focused on indigenous groups and their languages such as the Indians in America, in Australia and in Canada. They tackled the idea of the relationship between the indigenous languages and the conquering languages. Campbell (1) reported that experts have identified approximately 300 Aboriginal languages in South America i.e. Mexico. Only half of these languages are still spoken.

ملخص الدراسة:

المحافظة على اللغة العربيّة عند فلسطينيي عرب 1948

دراسة لُغويّة اجتماعيّة

أ. د. بدر الدويك
جامعة الشرق الأوسط
الأردن

د. دالين كتانة
جامعة الشرق الأوسط
الأردن

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العوامل التي تدعم استخدام اللغة العربيّة عند فلسطينيي عرب الـ 1948(عرب الداخل) و اعتمدت على الإطار النظري لفشمان (1989 ;1966) و واينرايخ (1974) ، وركزت تحديدا على إجابة السؤال التالي:

ما هي العوامل التي تدعم استخدام اللغة عند فلسطينيي عرب الـ 1948؟

وللإجابة على هذه الأسئلة قام الباحثان باختيار عينة انتقائية من فلسطينيي عرب الـ 1948 تكونت من 70 مواطنا فلسطينيا يمثلون مناطق سكن مختلفة وأعمار وأجناس وخلفيات مهنية وتعليمية مختلفة. وقام الباحثان بتصميم استبانة لغويّة اجتماعيّة حول العوامل التي تدعم استخدام اللغة العربيّة عندهم.

أظهرت النتائج أن العوامل التي تدعم استخدام اللغة العربية عند فلسطينيي عرب الـ 1948 هي: الاستخدام اليومي للغة العربية في مواقف ومواضع مختلفة والاتجاهات والآراء الإيجابيّة نحو اللغة العربية والعوامل الاجتماعيّة والثقافيّة والنفسيّة والسياسية المختلفة، مثل: الزواج الدّاخلي والعزل الاجتماعيّ والمجتمع المتماسك وكذلك وجود مؤسسات اجتماعيّة مختلفة تدعم استخدام اللغة العربيّة.

the Palestinian Arabs of 1948.

The results of this study showed that the following factors support the maintenance of Arabic: habitual language use of Arabic in a variety of situations and locations, positive attitudes toward Arabic; different social, cultural, psychological and political variables such as the internal marriages; the social segregation; the tightly- knit community, and the existence of different institutions that support the use of Arabic.

Key Words

Factors – Language – Maintenance – Palestinian – Arabs – Green Line

1948 (the Green Line)

A Sociolinguistic Study

Prof. Bader S. Dweik
Middle East University
Amman

Dr. Dalin Kittaneh
Middle East University
Amman

Abstract:

This study aimed at investigating the factors that are involved in using Arabic among the Palestinian Arabs of 1948. It is based on Fishman's (1966; 1989), and Weinreich (1974) theoretical frame. Particularly, it aimed at answering the following question:

What factors are involved in maintaining Arabic among the Palestinian Arabs of 1948?

To achieve the goal of this study, the researchers selected a sample that comprised 70 PA 1948 who represented different residential areas, age groups, gender and educational and professional background. The researchers also designed a sociolinguistic questionnaire consisting of twenty - five qustions covering the factors that support using Arabic among

All correspondence be addressed to:

Editor-in-chief, Al-Basaer

University of Petra

P.O. box. 961343

Amman 11196 - Jordan

Annual Subscription

1- Jordan:

- Individuals: (5) J. D.
- Institutions: (10) J. D.

2- Abroad:

- Individuals: (10) U. S. $
- Institutions: (20) U. S. $

All rights reserved

This Journal or any part of it, stored in a retrieval system or transmitted in any means without prior permission, in writing, from the Editor-in-Chief.

AL –Basaer